

"الرواية الحائزة على جائزة جابوتي للأدب الترفيهي عام 2020 في البرازيل"
FIFA WORLD CUP Qatar2022
كيندل دينا نبيل
CRIME SERIES
امرأة في الظلام
رافاييل مونتيز
ترجمة : رانيا الرباط
العربي للنشر والتوزيع
روايات مترجمة





امرأة في الظلام

امرأة في الظلام

تأليف: رافاييل مونتيز

ترجمة: رانيا الرباط

تحرير ومراجعة: شروق طارق

مُراجعةٌ لُغوية: فاطمة محمود

الطبعة الأولى: يناير 2022

رقم الإيداع: 2021/29053

الترقيم الدولي: 9789773197179

60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة – مصر

ت:27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف:27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: سيد كامل



First published as *Uma mulher no escuro*.

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا





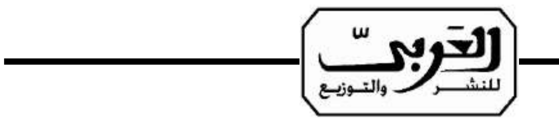

@alarabipd

رافاييل مونتيز

امرأة في الظلام

رواية من البرازيل

ترجمة: رانيا الرباط



تمت مراعاة المعايير البيئية أثناء إعداد هذا الكتاب

We took into consideration the environment while doing this book

بطاقة فهرسة

مونتيز، رافاييل

امرأة في الظلام: رواية/ رافاييل مونتيز، ترجمة رانيا الرباط.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2021.

ص؛ سم.

تدمك: 9789773197179

1- القصص البرازيلية

أ- الرباط، رانيا (مترجم)

ب- العنوان 869,3

مقدمة



الأحد، 31 مايو، 1998

استيقظت "فيكتوريا" مذعورة على صوت نباح الكلاب في حديقة الجيران. جلست في الفراش، ونظرت من نافذة غرفة نومها في الطابق الثاني. في الخارج، كان الوقت لا يزال ليلًا. وشجرتها المفضلة تتمايل بسبب شدة الرياح. فتهتز الأوراق الجافة لتسقط بعد أن ترتطم بالنافذة في الحديقة الخلفية. أمام خزانة الملابس، كان ظل كومة ورق تغليف الهدايا يشبه الوحش. أضاءت المصباح وعانقت دمية الدب الأبيض "أبو" أسفل الغطاء. سكنت لبضع ثوانٍ. ثم حدقت بعينيها إلى النجوم التي لصقها والدها في السقف، حتى تتوهج في الظلام.

شعرت بالعطش. لكن كسلها كان أكبر من قدرتها على النزول إلى المطبخ. يا له من يوم سبت رائع، لكنه مرهق. فقد أقام والداها حفلة عيد ميلادها على طريقة حفلات الأميرات. فزينت الحديقة بتيجان ذهبية، وبالونات زاهية الألوان. وكانت هناك كعكة ضخمة، وحلوى، ونقانق و"فيشار". تمت دعوة جميع أصدقائها بالمدرسة وجيرانهم بالحي. وارتدت

فستان الأميرة. وقدم لها والداها أجمل شريطة شعر (فيونكة) رأتها في حياتها، فضية اللون ومرصعة بالألماس. قضت "فيكتوريا" اليوم بأكمله في الركض والرقص مع أصدقائها، على أغنية "ارقص، ارقص، حرك يدك"، وتلقت الكثير من الهدايا. وشارك الجميع في غناء "عيد ميلاد سعيد".

الآن قدماها تؤلمانها بشدة. شراسة نباح الكلاب تزداد. أمر غريب؛ فهي هادئة عادة، على النقيض من قطط "تريسينا". كانت "فيكتوريا" تعشق التدحرج على العشب مع الكلاب، واللعب في الطين. ولحسن الحظ، لم تكن أمها تمانع. هناك صوت آخر. أنين حاد صاخب. يصدر من داخل المنزل. لكنه توقف فجأة.

نهضت من الفراش. أخذت نظارتها من فوق المنضدة الجانبية، وسارت متشبثة بـ"أبو" بجواربها الملونة التي أهدتها إليها العمة "إيميليا"، عمة والدها. أدارت مقبض الباب وخطت إلى الخارج، من دون أن تشعل الضوء.

كان الصياح يصدر من غرفة نوم والديها، بالقرب من نهاية الردهة. ضوء أصفر يتسلل من أسفل الباب. يضيء درجات السلم الأولى. كانت أمها تنتحب، وأبوها يتحدث بصوت عالٍ على غير عادته، كأنه مضطرب. هل يتشاجران؟

همست "فيكتوريا" لدميتها:

- لا تخف يا "أبو".

كيف لا يسمع "إيريك" هذا؟ صحيح أن أخاها ينام بعمق. لكن.. كان صوت بكاء أمها يزداد. سمعت "فيكتوريا" صوتًا لم تتعرف عليه. هل يتشاجر "إيريك" معهما أيضًا؟ لا بد أنهما يوبخانه على خروجه من دون إذنهما. كانت "فيكتوريا" تعرف جيدًا أن الكذب أمر سيئ. لكن لا يبدو أن "إيريك" الذي يبلغ من العمر عشرة أعوام قد تعلم ذلك بعد.

جذبتها يد من ذراعها، بينما تكتم الأخرى فمها حتى لا تصرخ. ركلت بعشوائية.

- اهدئي. إنه أنا.

تعرفت على صوت أخيها وتوقفت عن المقاومة. فكرت في توبيخه على إخافتها. لكن شحوب وجهه جعلها تصمت في الحال. فلم تره هكذا من قبل.

همس "إيريك"، وهو يجذب أخته إلى داخل غرفته:

- هناك شخص بالمنزل.

أغلق "إيريك" الباب ببطء وأدار المفتاح. فاحت من الغرفة رائحة علكة، وأقدام متعرقة وبسكويت. عدلت "فيكتوريا" نظارتها لترى بوضوح ما يبحث عنه أخوها خلف الدولاب. وعندما استدار، كان سيف فيلم "حرب النجوم" المضيء الذي تم إهداؤه إليه في عيد ميلاده التاسع بيده.

- انزلي أسفل الفراش يا "فيك".

أطاعت الصغيرة بسرعة. واستلقت على بطنها. خارج الغرفة، كان الشجار مستمرًّا، والنباح يزداد. ثم سمعا صوت ارتطام عندما تدحرج شيء

ثقيل من فوق السلم. ولم يعد باستطاعتها سماع صوت أبيها. وفجأة، ابتعد صوت صراخ أمها. وكأنها نزلت إلى المطبخ، وبدلًا من البكاء، كانت تتوسل طلبًا للمساعدة. أخرجت "فيكتوريا" رأسها من أسفل الفراش.

أمرها "إيريك" وهو يحاول إخفاء خوفه، إلا أن ساقيه كانتا ترتجفان:

– ابقي هنا. سأتصل بالشرطة.

كان التليفون الوحيد بالمنزل بالدور الأرضي، بجوار التليفزيون في غرفة المعيشة.

قالت وقد بدأت في التذمر:

–لا، لا تذهب.

اتجه "إيريك" إلى الباب وفتح القفل ببطء. وبسيفه المضيء في يده، استعد لمواجهة أي من كان بالخارج. من مخبأها أسفل الفراش، حاولت "فيكتوريا" أن ترى ما يمكنها بقدر الإمكان، من نصف الباب المفتوح، السجادة المتسخة، وقدمي أخيها العاريتين، تختفيان في ظلمة الردهة. انتظرت بضع ثوانٍ. لم تستطع سماع شيء، أي شيء آخر. لا صراخ ولا شتائم. لا أثر لوالديها. فقط نباح الكلاب من بعيد. كما لو كان الأمر كله مجرد كابوس. لكن كانت دقات قلبها تتسارع، عندما تتذكر أن كل هذا حقيقي للغاية.

عندئذ، أحست أنها قد بللت نفسها. ستوبخها أمها وربما تعاقبها أيضًا، فهي تكره ذلك. ستخبرها أنها كانت خائفة جدًّا، ثم سمعت "فيكتوريا" ضربة عنيفة، وأخرى، أكثر قربًا، شخصًا ما يتدحرج على

الأرض. صوت تحطم زجاج. صراخ "إيريك" من الألم. ثم سلسلة من أصوات ارتطام. مثل سقوط أشياء ثقيلة. لم تسمع قَطُّ مشاجرة كهذه. أرادت فعل شيء. لكنها تسمرت في المكان.

ظهر "إيريك" في مجال رؤيتها، زاحفًا على الأرض. واجهها للحظة. كان الرعب يطل من عينيه. رفع سبابته المرتعشة إلى شفتيه، لتلتزم الصمت. رأت الدماء على ساقيه وكتمت صرختها. ظهر ظل عند المدخل. أمسك بـ"إيريك" من رقبته وألقى به على الفراش. استلقت على جانبها ولفت ذراعيها حول ركبتيها، و"أبو" مندس في حضنها. مع كل ضربة، كانت صرخات أخيها تضعف، وتتحول إلى حشرجة. تدفق الدم من جانبي الفراش وتساقط على الأرض بالقرب منها.

تسسسسسسس، من أين تعرف هذا الصوت؟ تسسسسس. غزت رائحة نفاذة الغرفة، وشعرت "فيكتوريا" بدوار برأسها. أمسكت أنفها وأغلقت فمها، مثلما تفعل عند القفز في حمام السباحة. لكنها لم تستطع البقاء هكذا مدة طويلة. سعلت بهدوء. توقف المقتحم عن السير. فقد شعر بوجودها. وقبل أن ينحني، تدحرجت من أسفل الفراش، تاركة "أبو" خلفها. وركضت من دون أن تنظر خلفها. فقد كانت تعرف أنه وراءها.

صرخت من أعلى السلم:

- أبي، أمي!

تردد صدى صوتها في الأرجاء حتى تلاشى في اتساع غرفة المعيشة.

هبطت "فيكتوريا" السلم. كان المطبخ غارقًا في عتمة شديدة. وفقط ضوء التليفزيون الذي يعرض فيلمًا تم كتم صوته، وهو ما يضيء الغرفة. كانت شرائط الزينة الملونة وكلمات "عيد ميلاد سعيد" لا تزال معلقة على المرآة. وهناك علب حلوى فارغة، وأطباق بلاستيكية مستعملة، ومناديل مستخدمة فوق المنضدة. وعلى الأرض، بالونات تم دهسها، وفتات كعك، والنقانق سقطت في أثناء الحفل.

أسرعت لتتخطى الأريكة إلى الباب الجرار الذي يؤدي إلى خلفية المنزل. عندما اقتربت، كان مواربًا. تسده سيقان بيضاء مثل أكياس سكر مبعثرة. تعرفت على ثوب نوم أمها. ركضت نحوها وانحنت يائسة. ورغم تدفق الدماء من صدر أمها، وصعوبة تنفسها، كانت لا تزال حية. لم تكن لدى "فيكتوريا" الشجاعة الكافية للمسها. فقد كان هناك الكثير من الدماء.

تفوهت أمها بكلمة:

– اهربي.

من دون أن تصدر صوتًا. فقد كان حلقها يشبه فمًا مفتوحًا بابتسامة غريبة.

فجأة ازدادت إضاءة التليفزيون، فاستطاعت "فيكتوريا" رؤية وجه أمها بوضوح أكثر. كان أسود بالكامل. كما لو كان مغطى بطلاء لزج. ولأنها تحب أمها وأباها وأخاها، كان لا بد من التصرف. تتصل بالشرطة أو.. ركضت نحو حامل التليفون، وصعدت إلى الأرفف حتى وصلت إلى التليفون. وبسرعة، اتصلت بالرقم الوحيد الذي تحفظه عن ظهر قلب ثم انتظرت. وسرعان ما أجاب.

- عمتي "إيميليا" ساعديني.

تمكنت "فيكتوريا" من قول هذا قبل أن يتم سحبها بعنف إلى الخلف.

تحطم التليفون على الأرض. دفع المقتحم جسدها النحيل على الأريكة، ثم صعد فوقها. شل حركة ساقيها وكتم فمها بقفاز يده. حاولت "فيكتوريا" تذكر الأسطر الأولى من "صلاة الرب" التي كانت لا تزال تتعلمها، لكنها لم تستطع. حركت يدها، لكن المقتحم كان أقوى. تطايرت نظارتها. فرأت بشكل غير واضح وجه الرجل. شعره المجعد الذي يصل حتى عينيه السوداوين. رفع يده اليمنى فلمع سكين ضخم يقطر دمًا في الضوء. أغلقت "فيكتوريا" عينيها عندما أصابتها الضربة الأولى. وسرعان ما انتشر ألم حارق في جميع عضلاتها حيث مزق السكين ساقها المنفرجة. ثم ضربة أخرى. كانت طاقتها تتلاشى. لم يكن هناك معنى للمقاومة.

فجأة. توقفت الضربات. ألقى المقتحم السكين جانبًا، والتقط شيئًا من حزام عدته. هزه ثم صوبه نحوها. جمعت الفتاة الصغيرة كل قوتها وصرخت عاليًا بقدر ما استطاعت، لكن بعد فوات الأوان. فقد هاجمتها الرائحة السيئة مرة أخرى، احترقت عيناها وشعرت بمرارة في حلقها.

تسسسسسسس.

في الساعات الأولى من عيد ميلادها الرابع. كانت "فيكتوريا" تغرق في الظلام.



بعد عشرين عامًا



"ليس من السهل أن تعيش حياة "فيكتوريا برافو" . أراها كل يوم. أعرف نظامها، خباياها، أماكنها المفضلة. الأدوية التي تتناولها. برامج الرسوم المتحركة التي تحبها. الطعام الذي تشتريه. أكثر أسرارها ومخاوفها. أعرف أنها تزور عمتها الرائعة في أيام عطلتها، وأنها تحب قضاء أيام السبت في المنزل، وأنها تذهب بمفردها إلى حفلات منتصف الليل بالسينما. أراقبها من بعيد. أقضي أيامًا ساهرًا أنظر إلى النافذة الوحيدة في شقتها وأفكر فيها.

الساعات القليلة التي نقضيها معًا كل أسبوع ممتعة، مليئة بالتفاصيل، بالكلام غير المنطوق، بالنظرات المحملة بالمعاني. رغم ذلك، يصعب تعريف شخصيتها. فمنذ مدة ونحن على هذا الحال، بلا تغيير. خطوة إلى الأمام، وأخرى، ثم نتراجع إلى نقطة البداية. أشعر أن الوقت قد حان لاتخاذ خطوة. لاحتلال المزيد من الأرض. يداي تتعرقان، وقلبي يخفق بشدة. لا أطيق الانتظار.

هذه المرة أنا على يقين من أن الأمر سيكون رائعًا" .

1



على الناصية، توقفت "فيكتوريا" قليلًا، لتخرج خاتم الزواج النحاسي من جيبها وتضعه في يدها اليمنى، وكذلك فعل "أروز" بخاتمه. نظرت إلى أعلى حيث اللافتة الصفراء المكتوب عليها "للإيجار"، والمعلقة على نافذة بالدور الرابع. على حافتها أصيصان من الورد. وعلى الزجاج، ملصق كبير يصعب قراءته من تلك المسافة. كانت البناية قديمة، واجهتها مطلية باللون البيج. ويعلو مدخلها قوس رخامي جميل.

قال "أروز"، بابتسامة خبيثة:

- لم يكن من الصعب فعل ذلك.

استمرا في السير متجاورين على طول الرصيف المزين بالفسيفساء. من دون أن تتلامس أيديهما. وعبر "الإنتركم"، اتصل حارس العقار بالشقة رقم 407، وسمح لهما بالصعود. عند خروجهما من المصعد، سارا بممر واسع مغطى بسجادة حمراء تؤدي إلى باب الشقة، فدقت الجرس. سمعت بالفعل جلبة بالداخل، صوت برنامج للأطفال صادرًا من التليفزيون،

شخصًا يركض على الأرضية الخشبية، باب خزانة يغلق، ثم، صوت إدارة المفتاح بالباب.

فتحت الباب امرأة لم تتخطَّ الأربعين. وكأنها قد خرجت من ساحة المعركة. فشعرها مربوط بشكل سيئ، وعلى بلوزتها البيضاء ما يشبه بقع صلصة الطماطم، ووجهها مرهق. صافحها "أروز" بينما وضعت "فيكتوريا" يدها في جيبها عن عمد، واكتفت بأن أومأت برأسها. لم يكن الأمر شخصيًّا. لكنها كانت تتجنب الاحتكاك الجسدي بقدر الإمكان. سمحت لهما المضيفة بالدخول وأخبرتهما بأن يعتبرا نفسيهما في منزلهما. وقد كانت تلك هي اللحظة التي تعشقها "فيكتوريا". التعامل الأول مع المكان، الروائح، الألوان، الأثاث، ساكنو المنزل. فيض تلك التفاصيل المدهشة للغاية.

كانت غرفة المعيشة رحبة وجذابة، بها طاولة مستديرة قرب الباب، وإطارات فارغة تستند إلى الحائط، علب طلاء مفتوحة، بعض اللوحات التجريدية المعلقة على الجدران، مجموعة من لعب الأطفال المبعثرة على الأرضية. وعلى أريكة سوداء اللون، كان يستلقي طفل صغير، أشقر، يبلغ نحو ست سنوات، يثني ركبته، ويشاهد على "التابلت"، إذا لم تكن "فيكتوريا" مخطئة، كرتون "من الأرض إلى القمر". لم يرفع الصبي عينيه عن الشاشة عند دخولهم.

اتجهت "فيكتوريا" إلى النافذة حيث اللافتة الصفراء. وألقت نظرة عن قرب على الملصق. كان مكتوبًا به: "عائلة سعيدة تعيش هنا"، مع ملصقات لأربعة أشخاص متشابكي الأيدي؛ أب وأم وصبي وفتاة صغيرة.

غالبًا المرأة رسامة، لكن كان من الواضح أنها تكتفي في الوقت الحالي بوظيفتها كأم؛ تدل الانتفاخات بأسفل عينيها من ليالي السهر على ذلك. لا بد أنها متزوجة من رجل معيل وذكوري معًا. هو يجني المال، وهي تتحمل عبء الأطفال.

عندما استدارت إلى ربة المنزل، لاحظت "فيكتوريا" أنها تتفحصها أيضًا. فارتبكت، فزيارة الغرباء تصيبها بانزعاج بسيط.

سألت المرأة في محاولة للتودد:

- هل أنتما مخطوبان؟

قال "أروز"، وهو يريها خاتمه:

- أجل. وسنتزوج خلال ثلاثة أشهر.

- لقد عشنا في هذا المنزل منذ زواجنا. لكن تم نقل زوجي إلى "هيوستن"، وسننتقل معه.

حدثت "فيكتوريا" نفسها: "لقد أصبت! الزوجة المطيعة تتبع زوجها الناجح حيثما ذهب".

واصلت ربة المنزل:

- عشنا بسعادة هنا. فنحن نحب الشقة كثيرًا لذلك لن نبيعها. فقط نريد تأجيرها لثنائي لطيف ومؤتمن.

قال "أروز" بضحكة مفتعلة:

- نحن هذا الثنائي.

كان معرفة رأي المرأة بهما يهم "فيكتوريا" جدًّا. في ذلك اليوم، ارتدت سروالًا واسع الساقين، وسترة مريحة لونها أزرق داكن، وبإتقان، ربطت المشبك الذي تضعه دائمًا بشعرها القصير. ولم يكن مظهر "أروز" تقليديًّا أيضًا. فقد كان طويلًا، نحو ستة أقدام، نحيفًا، ذا خصلة شعر سوداء تصل إلى أسفل كتفيه إذا أسدلها. يميل بانحناءة قليلًا عندما يسير، تتدلى ذراعاه الطويلتان ويده الضخمة بمحاذاة جسده، كعملاق ضخم بائس. لم تكن "فيكتوريا" تعرف عمره الحقيقي، لا بد أنه في أوائل الثلاثينيات، لكنه يعتمد مظهر المراهق المتمرد، بالبنطال القصير زاهي الألوان، وقمصان بتصميمات البوب (أحدثها مطبوع عليه بوستر فيلم "بلب فيكشن"، ومن قبل رأته يرتدي قميصًا عليه "كلوكورك أورانج"، "بريكينج باد"، "كوين"، "آيرون مايدن"...) كما يرتدي قبعات مدربي ولاعبي البيسبول بالمقلوب لتغطي شعره. ربما ترى المرأة أنهما ثنائي بديل مميز.

- بالمناسبة، اسمي "مارثيا". تشرفت بمقابلتكما.

قال "أروز":

- "فيليب".

قالت "فيكتوريا":

- "بيانكا".

قادتهما "مارثيا" عبر الردهة إلى باقي الشقة، بينما تحكي عن الجيران، وعن المسؤول عن البناية، وعن مزايا هذا المكان من "بوتافوجو"،

الذي أصبح مميزًا بالمطاعم الجيدة في السنوات الأخيرة. في الحمام، كان رأس الاستحمام "الدش" يقطر. أدارت "مارثيا" الصنبور بغضب، لتغلقه بشكل صحيح، ثم تنهدت قائلة:

- الأطفال.. أحيانًا يدفعونك إلى الجنون.

فوق طاقم حوض الحمام الرخامي، كان هناك خليط من زجاجات العطر، وكولونيا ما بعد الحلاقة، وأمشاط، وقطع صابون، وزجاجة طلاء أظافر، وكأس طويلة بها أربع فُرش أسنان ومعجون للأطفال. تركت "فيكتوريا" "مارثيا" تتقدمهما للخروج، وتراجعت للحظة حتى تلمس الكأس. كانت هناك فرشتان صغيرتان، إحداهما على شكل دمية "باز يطير" والأخرى على شكل "سندريلا". وكلتاهما رطبتان من الاستخدام الأخير. ثم أمسكت بمعجون الأسنان، ووضعت القليل في راحة يدها، ولعقته. وسرعان ما أبهجها طعم الفراولة المنعش.

كانت غرفة النوم الأولى في الممر هي غرفة الوالدين. بها خزانة ملابس مفتوحة تظهر أكوام من الملابس. وجيتار مستند إلى الحائط في الركن، بالقرب من اللوح الأمامي للفراش غير المرتب. وتنتشر بها رائحة لوز خفيفة، لم تستطع "فيكتوريا" تحديد مصدرها. وبينما يواصلون إلى الغرفة الأخرى، ركضت فتاة شقراء نحوهم، واصطدمت بـ"أروز" بينما كانت تصرخ بشيء لأخيها.

سألت "مارثيا":

- أترغبان في إنجاب أطفال؟

تبادل "فيكتوريا" و"أروز" النظرات. ثم أجاب:

- أجل. نخطط لهذا العام المقبل.

- توجد غرفتا نوم، في الوقت الحالي، يمكنكما استخدام إحداهما كمكتب أو كغرفة لمشاهدة التليفزيون.

استمرت في التحدث عن مميزات الشقة وعن كيفية استخدام الغرف. و"أروز" يسألها كزبون مهتم. فقد كان كاذبًا بارعًا بصورة مدهشة. لكن التفاعل مع الآخرين كان دائمًا أكثر صعوبة بالنسبة إلى "فيكتوريا". يشعرها بالخجل، حتى إن شفتيها ترتجفان.

لقد دخل "أروز" حياتها بطريقة استثنائية للغاية. تعارفا منذ عامين عن طريق الإنترنت. في غرفة للدردشة خاصة بلعبة "السيمز". في ذلك الوقت، كانت "فيكتوريا" بالفعل تعالج لدى الدكتور "ماكس". وكانت الأمور مستقرة. بعد عدة أشهر من الدردشة "أونلاين"، وافقت على مقابلة "أروز" في مطعم للوجبات الخفيفة، بعد تشجيع من طبيبها. الذي كان يصر على ضرورة تكوين علاقات مع الآخرين.

وبسرعة، أصبح "أروز" صديق "فيكتوريا" المقرب. كانت تحب طريقة ضحكه، بكتفيه المائلتين إلى الخلف وميل ذقنه البارز. وكذلك شغفه بالفرق الموسيقية والأفلام التي لم يسمع عنها أحد. والأكثر، حقيقة أنها تعرف القليل جدًّا عن حياته. إنه يعيش بمفرده في شقته بـ"كوباكابانا". تدرب ليصبح ممرضًا، لكنه عمل بمجال التكنولوجيا، وشغفه الكبير بألعاب التسلية؛ الإلكترونية منها بصفة عامة. لا تعرف أيًّا

من أصدقائه، ولا مصدر دخله. في الوقت الذي تكافح هي فيه لدفع فواتير منزلها، بالإضافة إلى كلفة دار المسنين، وكل هذا بمرتبها كنادلة، ومعاش عمتها، وليس لديها أي فكرة عن اسمه الحقيقي. لقد حاول "أروز" إخبارها ذات مرة. لكنها غطت أذنيها، وكلما كان يحاول الإفصاح عن أي معلومة شخصية، كانت تتعمد تغيير الموضوع. فهكذا، لن يحق له سؤالها عن أي شيء يخص حياتها.

كانت "فيكتوريا" تستمتع دائمًا بقضاء أوقاتها معه أيام الآحاد. في البداية، كانت مترددة في زيارة شقته، لكنها استسلمت في النهاية. حيث يطهو "الأستروجانوف" السادة، من دون لحم، فقط بالفطر والقشدة. ويشغل موسيقى الروك الإنجليزية بصوت عالٍ، ويوجه عدسة تيليسكوب "الإيجريكي" باتجاه النافذة، حتى يستطيعا مشاهدة الشارع، والميدان، والمباني في الجهة المقابلة. كان الأمر أشبه بلعبة. فقد كان باستطاعتهما مشاهدة الخادمات وهن ينظفن زجاج النوافذ، وذات مرة شاهدا شابًّا يتدرب على الساكسفون، وامرأة تجلس أمام الكمبيوتر، وسياحًا متحمسين يستعدون للذهاب إلى الشاطئ. فيتخيلان نمط حياتهما.

لا تعرف "فيكتوريا" كيف تطورت اللعبة، ولا تستطيع كذلك تذكر مَن صاحب الفكرة. لكن في مرحلة ما، قررا مراقبة حياة أشخاص آخرين عن قرب. وضع "أروز" جدولًا لزيارة الشقق التي يعرضها أصحابها للبيع أو للإيجار، حيث يختار فقط تلك التي لا تزال مأهولة. وفي تنقلهما بين الغرف، كانت تحب "فيكتوريا" ملاحظة أدق التفاصيل. صندوق مجوهرات مكسور، تعلو راقصة باليه غطاءه، حقيبتان ممتلئتان

بالسترات ملقاتان على الأرض، خزانة بأبواب زجاجية تصطف بداخلها كؤوس من الكريستال. حقيبة تشيلو. كانت تجمع تفصيلة من هنا، مع معلومة من هناك. وبالتدريج، تكوِّن صورة تخيلية خاصة بالعائلة. فتعرف ما يغضبهم، وما يفتخرون به، إنجازاتهم وخططهم. كان غريبًا، رؤية تطور حياة البشر، الروتين الاعتيادي الذي يتوقف بسبب الاضطرار لمصاحبة الزبائن في "جولة بالمكان". حيث يتم عرض الخصوصية مثل الصور في متحف من الفوضى؛ غرف النوم والمطابخ والحمامات. كان الأمر وكأنها تتمنى أن تكون الحياة الطبيعية لهؤلاء الأشخاص معدية.

استغرقت زيارة ذلك الأحد أكثر من نصف ساعة. في النهاية، وعد "أروز" السيدة أنه سيتواصل معها. وهو ما لن يحدث بلا شك. وبمجرد أن خرجا إلى الشارع، تبادلا الانطباعات. كان هو أيضًا يعتقد أن مظهر المرأة يوحي وكأن جرارًا قد دهسها. لكن لم يخطر على باله أن يلقي باللوم على الزوج. فقد اعتقد أن الأمر برمته سببه الأطفال وعملها. فقال:

- ربما كانت ترسم حتى الساعات الأولى من الصباح.

وكعادتها، كانت "فيكتوريا" تتركه يتحدث في طريقهما إلى المترو، حتى لا يركز انتباهه عليها. ورغم أنها تدربت على هذا، فإنها كانت لا تزال بحاجة إلى التركيز عند سيرهما مسافات طويلة في الأماكن المفتوحة. وعندما وصلا إلى المحطة، اقترح "أروز" أن يواصلا حديثهما في بار قريب. ولأن الوقت كان لا يزال مبكرًا، وافقت. طلبا رقائق البطاطس، فهي أرخص شيء في قائمة الطعام. واحتار "أروز" بين احتساء كوكتيل "كايبيرينا" أو البيرة. حتى حسم أمره باختيار الأخيرة.

- أترغبين في تناول واحدة أنت أيضًا يا "فيك"؟

- أنا لا أشرب الخمر. تعرف هذا.

- أوه، كأس صغيرة، هيا، لأجلي، حتى تسترخي.

تكره عندما يصر.

- قلت لا.

تجاهل صديقها الأمر، وعقد ذراعيه، بينما يملأ النادل كأسه. شعرت "فيكتوريا" برغبة مفاجئة بالإمساك بيد النادل، وأخذ الزجاجة واحتسائها كاملة دفعة واحدة. لكنها سيطرت على نفسها. لم يكن خطأ "أروز"، فهو لا يعرف عن معاناتها مع إدمان الخمر. اعتدلت "فيكتوريا" في جلستها، وضبطت المشبك في شعرها. وحاولت التفكير في أمر آخر، لتصرف تركيزها عن صوت سكب المشروب المغري بالكأس. وسرعان ما جاء طبق البطاطس المحمرة. سأل:

- من أين جئت باسم "بيانكا"؟

- مثلما جئت باسم "فيليب".

- أسأل لأن "بيانكا" هو اسم أمي.

لم ترغب في الدخول في هذه المنطقة. فتجاهلت الأمر.

- مصادفة.

- أجل.

أدار الكأس في يده لبضع ثوانٍ، شاردًا.

- هل تخططين للزواج يومًا ما يا "فيك"؟

قالت بسرعة وعدائية:

- بالطبع لا. مستحيل.

كان الأمر معقدًا. لم تكن زيارة شقة أحد الغرباء، وما يسببه طفلان رغم ظروفهما من فوضى، كافية بالنسبة إليها لتفكر في الأمر. فهي تعلم جيدًا معنى أن يكون لديك عائلة، وفجأة لا يتبقى أي منهم على الإطلاق. كانت تعرف معنى فقدان كل شيء في غمضة عين. ولم تكن لديها القوة لتمر بكل ذلك مرة ثانية.

بينما كانت تراقب "أروز" وهو يشرب، كانت تتمهل في مضغ البطاطس حتى لا يسيل لعابها، فرغم أنها لم تقرب الخمر منذ فترة. لكنها لا تزال على حافة الهاوية، كما لو أنها قد أقلعت عن احتسائها بالأمس. لم تحب البيرة كثيرًا، لكن في أثناء أسوأ فترات حياتها، ثملت بمشروبات "كاتوابا" الرخيص، و"الفودكا"، و"كاتشاكا". أصابها تذكر المذاق الحلو للخمر وما تسببه من صداع في اليوم التالي بالغثيان. لقد حان وقت الذهاب. قالت وهي تنهض:

- سأرحل.

- إلى المنزل؟

أومأت "فيكتوريا".

تعيش "فيكتوريا" في شقة صغيرة من غرفة واحدة في حي "لابا". ورغم حبها للمكان هناك، كان يصعب عليها وصفه بالمنزل لسبب ما. قال "أروز"، وهو ينهي احتساء كأسه:

- فلنذهب معًا. فسألتقي بعض الأصدقاء بالقرب من هناك. في "ثيركو بوادور".

لم تستطع رفض مصاحبته، رغم حجته الضعيفة. فقد كانت ترغب في أن تكون أكثر مرونة، لتتوقف عن التشتت في مختلف أمور حياتها، كما كان يردد معالجها النفسي دائمًا. استقلا المترو معًا إلى محطة "سينيلانديا"، تحدثا عن برامج التليفزيون، واختلقا القصص عن الأشخاص الآخرين في عربة المترو. مرا بجوار سينما "أوديون" وواصلا حتى "لابا أرتشيس"، وتوقفا أمام "ثيركو بوادور" المزدحم بأكشاك المشروبات والمأكولات وبائعي التذاكر. قالت:

- شكرًا على مرافقتي.

وأضافت وهي تنتظر أن تهدأ حركة السيارات لتعبر شارع "ميم دي سا":

- أراك قريبًا.

اعترض "أروز" طريقها. كان ضخمًا حقًّا. مثل حائط أسمنتي. نظر إليها في صمت للحظة، ثم ألقى نظرة خاطفة على مَن يمر بجوارهما، في المكان. ثم إليها مرة ثانية، قائلًا بحزن:

- يا إلهي، يا "فيك". لقد أتيتِ إلى شقتي مرات عديدة. ألن تدعيني أبدًا إلى رؤية مخبئك؟

أزعجها ما بثه من إحساس مزيف بالعجز، ممزوج بتحديقه الشره. فأطبقت قبضتها، وبصمت، عَدَّت حتى العشرين، كما علمها طبيبها، ضغطت على أظافرها المقضومة بقوة داخل راحة يديها. ثم قالت:

- لا أريد.

تقدم خطوة ثم أمسك بذراعها، مقربًا وجهه من وجهها:

- بيننا علاقة خاصة يا "فيك". كم ستستغرقين من الوقت لفهم هذا؟

- توقف، من فضلك.

بحركة سريعة، جذبها نحوه وقبلها. تراجعت "فيكتوريا" إلى الخلف. استغرق الأمر ثانية واحدة فقط. لكن كان كل جسدها ينتفض. وبخاصة، حيث لمست شفتاه شفتيها. استدارت "فيكتوريا"، عفويًّا عندما رأت ظل شابين مقنعين على الجانب الآخر من الشارع يكتبان كلمة بذيئة على الحائط بطريقة منمقة. فغمرتها الطاقة السلبية، وشج ألم فجائي رأسها جعل شفتيها ترتعشان. صرخت، وهي تدفعه عنها:

- أنت وغد!

تعثر "أروز" على الرصيف وسقط بالقرب من شحاذ، كان نائمًا أمام "لابا أرتشيس". تركته ومشت من دون أن تنظر خلفها. اصطدمت بمجموعة من السكارى، سخروا من تعجلها، وكادت سيارة مسرعة تصطدم بها، عندما كانت تعبر أمام محطة الوقود إلى شارع "رياتشويلو"، متجاوزة الجدران المغطاة بالجرافيتي، أعلى الشوارع ذات الإضاءة السيئة، ورائحة البول المنبعثة من زوايا الشارع القذر. لم تستطع

التفكير بشكل صحيح. لم يكن ذلك جيدًا. كان عليها أن تسيطر على نفسها. لكن ذلك كان مستحيلًا بعد ما فعله "أروز". فكرت في الاتصال بالدكتور "ماكس". لكن سرعان ما تخلت عن الفكرة. خلعت خاتم الزفاف النحاسي وألقته داخل إحدى البالوعات.

عندما وصلت إلى شقتها، أسرعت مباشرة بملابسها إلى الحمام. شعرت بالتوتر رغم سخونة الماء. أمسكت بقطعة من الصابون، وأسندت نفسها إلى الحائط، وفركتها بقوة على جسدها. وعندما فقدت التحكم في نفسها. بدأت في النحيب. وتقوست بشدة تحت رأس الاستحمام "الدش"، حيث انزلقت الرغوة من جسدها لتهبط في البالوعة.



2



لم تكن ليلة هادئة. جاءها الحيض بغزارة، واعتصر الألم رحمها. كثر تقلبها على الفراش. نهضت مبكرًا خمس مرات، للذهاب إلى المرحاض، أو لشرب الماء، أو لتتجول في الشقة. وعندما تمكنت من النوم، انتابها كابوس بأن ألف عين تراقبها. استيقظت صارخة. تتصبب عرقًا باردًا، وتشعر بضغط غريب على عنقها، وكأن شيئًا يعلق بحلقها.

عندما أشرقت الشمس، نظرت في تليفونها فوجدت رسائل لا حصر لها من "أروز". جميعها رسائل اعتذار. لم تشعر بالرغبة في محادثته هو أو غيره. فكرت في إلغاء موعدها. لكنها أحست أن ذلك سيزيد الأمر سوءًا، ويفسد الأسبوع الذي بدأ للتو. جلست على المرحاض. وتجنبت النظر إلى فوطتها الصحية الغارقة في الدماء وهي تسحبها. اغتسلت بسرعة، وبينما ترتدي ملابسها، نظرت في المرآة من دون قصد، مما زاد من شعورها بعدم الراحة. لم يرق لها مظهرها على الإطلاق. الانتفاخات أسفل عينيها الزرقاوين. وجهها المربع بفكه العريض. إطار نظارتها السميك، قلل من إحساسها بأنوثتها. شاحبة جدًّا، "دائمًا تنتشر البقع الحمراء في كل جسدها". كان توزيع وزنها البالغ مائة وخمسة أرطال (ثمانية وأربعين

كجم) على طولها الذي يبلغ الخمس أقدام وخمس بوصات (مائة وستين سم) يمنحها مظهر الهيكل العظمي. وهذا بالضبط ما أظهرته المرآة.

أمام الحوض، أدت "طقوس التسمم الدوائي" اليومية، وابتلعت بكوب ماء 50 مليجرامًا من (الكلورديازيبوكسيد)، و50 مليجرامًا من (كيتيابين)، و750 مليجرامًا من (فالبورك أسيد)، و50 مليجرامًا من (فينلفاكسين)، ومليجرامًا واحدًا من (ريسبيريدون)؛ تركيبة الدكتور "ماكس" السحرية.

حملت "فيكتوريا" تليفونها، وحقيبة ظهرها الزرقاء، و"أبو" من على الفراش، ودخلت المطبخ. أكدت ساعة الميكروويف أنها تأخرت. فتجرعت كوب حليب، ووضعت موزتين ناضجتين في حقيبتها لتتناولهما في أثناء استراحة العمل. قبلت "أبو" وتركته فوق المنضدة عند المدخل. صفعت الباب وتشبثت بالدرابزين في نزولها على درجات سلم الطوابق الأربعة بأقصى سرعة. ليس في الكثير من العمارات في منطقتها مصاعد أو حارس عقار. وهذه ميزة تعني فرصًا أقل للاحتكاك بالبشر. كان الجيران هادئين ومنغلقين على أنفسهم، منشغلين بأمورهم الخاصة. وكانت تعرف أن من يسكن بطابقها رجل كفيف، وأختان من مدينة "جويانيا". وثلاث عاهرات متفاوتات الأعمار يعملن في فندق لافتته مضيئة على الناصية. ورجل يعمل بالدعارة طلب استعارة جهاز الخلاط الخاص بها ذات مرة.

كان يوم الإثنين ملبدًا بالغيوم. فقررت سلك الطريق الأطول، رغم تأخرها. لتتجنب المرور من مكان فرارها من "أروز" بالأمس. أخفضت رأسها وهي تسير عبر ناصية شارع "لافراديو"، برصيفه الواسع ومساحته

العريضة حيث غمره فيض رائحة العرق النتنة للموظفين التنفيذيين، وسيدات بحقائب ضخمة، وباعة جائلين يصيحون بأعلى صوتهم، مثل موسيقى "تروبادور" في العصور الوسطى. لم تتفهم قَطُّ حب بعض الأشخاص لإثارة الضوضاء. في الحقيقة، كانت تخافهم قليلًا، وقد ولد هذا الخوف غضبًا معه، وظلا يدوران في دائرة مفرغة من المشاعر.

حتى إن أسرعت، فالأمر يستغرق عشرين دقيقة للوصول إلى غرفة الكشف بعيادة الدكتور "ماكس" الذي يعد جزءًا من روتين "فيكتوريا" خلال السنوات الثلاث الماضية. بعد أن توفي الدكتور "جواو كارلوس" في حادثة، الطبيب النفسي الذي كان يعالجها في طفولتها، غرقت في حزنها في أعمال لا ترضى عنها وزادت حالتها سوءًا. وفقدت وظيفتها في المطعم حيث كانت تعمل نادلة، بعد أن لاحظ صاحب المكان أن زجاجات الفودكا تنفد سريعًا. ولم يستغرق الأمر طويلًا ليكتشف أن "فيكتوريا" كانت تقلل كأسين من كل زجاجة تقدمها للزبائن. حينها كانت تفرط في شرب الخمر. ولا تعرف كيف كان سينتهي بها الحال اليوم إذا لم يظهر الدكتور "ماكس".

في إحدى ليالي تلك الفترة المظلمة، عادت إلى شقتها "الإستوديو" القديمة في منطقة "سان كريستو". كانت بحاجة إلى كوب من الحليب الدافئ. لكنها نامت على الأريكة، بينما كانت المقلاة لا تزال على الموقد. ولم تستيقظ حتى عندما أشعلت الشرارة بلاستيك الموقد فانصهر وانتشر سريعًا. استنشق أحد الجيران رائحة الحريق قبل فوات الأوان واتصل بالمطافئ. بعد عدة أيام، عند وجودها بالمستشفى، اتصل الدكتور "ماكس". فأجابته كمحاولة أخيرة لإنقاذ نفسها ووافقت على مقابلته في

"ماكدونالدز" بميدان "لارجو دي كاريوكا"، حيث دخل في صلب الموضوع مباشرة قائلًا:

- حالتك تثير اهتمامي، لقد كرست حياتي لتحليل تأثير صدمات الطفولة في الصحة العقلية والجسدية للبالغين. وحتى أكون صادقًا، ليست تلك الأمور استثنائية. هناك الآلاف من حالات إيذاء أو سوء معاملة الأطفال تطورت إلى حالات مثل الاضطراب ثنائي القطب، والاكتئاب، وإدمان الكحول. تم إجراء دراسات كاملة عن هذا الموضوع. لكنني لا أنوي إعادة اختراع العجلة. كل ما أريده هو معرفة المزيد عن مثل تلك الحالات. من المستحيل أن أستهين بأي مآسٍ مؤلمة لطفل. لكنني تخصصت في المزيد. حالات شاذة. فواجع خطيرة لأطفال تعرضت إلى مستويات عالية من العنف الجسدي أو النفسي. في الوقت الحالي، أعالج "لورينكو"، ابن مصاص دماء "كاكسياس". وأيضًا "صامويل"، من "ليدو". لا بد أنك تتذكرينهما.

بالطبع تتذكرهما. فطالما ذكرت قصتيهما في التحقيقات الصحفية عن قصة ماضيها. في 2005، عرض البرنامج التليفزيوني "فانتاستيكو" تقريرًا خاصًّا يحلل أنماطًا مماثلة في الحالات الثلاث، برسومات وجداول متعددة الألوان.

كان مصاص دماء "كاكسياس" قاتلًا متسلسلًا ارتكب جرائمه في أفقر ضواحي "ريو" في أوائل التسعينيات. يقطع رأس النساء ويختفي برؤوسهن. بعد بحث استمر خمس سنوات، عاش خلالها السكان في رعب. تعقبت الشرطة المجرم. ميكانيكي أرمل يبلغ من العمر أربعين

عامًا. يعيش مع ابنه فقط في منزل متواضع في "دوك دي كاكسياس". كانت تجرى في الجزء الخلفي من المنزل طقوس شيطانية، يشرب دماء ضحاياه، ويدق بالمسامير مقل أعينهن على الجدران في عرض مروع للشر.

في الجراج، عثرت الشرطة على أكثر من عشرين رأسًا متعفنة معروضة جنبًا إلى جنب. مثل مذبح مقدس. في ذلك الحين، كتبت الصحف أن القاتل جعل ابنه البالغ من العمر عشرة أعوام يشارك في الطقوس. أرادت أن تسأل الطبيب النفسي إذا كان الصبي قد تناول بالفعل دم الضحايا مع والده أم لا. لكنها تحكمت في فضولها ولم تسأل.

وقعت حادثة "ليدو" بعد حادثتها. تم الإعلان عنها في أبريل 2000. حيث تبنى زوجان مسنان من الطبقة الوسطى يعيشان في شقة بميدان "ليدو" في "كوباكابانا" طفل امرأة مشردة بطريقة غير قانونية. عامل العجوزان الصبي الصغير "صامويل" كحيوان. فكانا يطعمانه أغذية الحيوانات الأليفة، ويجعلانه يتبول ويتبرز على ورق الجرائد في المخزن. ويجبرانه على النوم في بيت الكلب مع صور لكلاب "الدوبرمان" و"الشيواوا". وعلى النباح في الأرجاء مربوطًا بسلسلة، وكانا يضربانه باستمرار. عندما اقتحمت الشرطة الشقة، بعد أن أبلغ الجيران عنهما، وجدوا "صامويل" الذي كان يبلغ من العمر حينها أحد عشر عامًا. متكورًا في أحد الأركان، يرتعد وينبح بلا توقف. لم يكن يعرف كيف يسير على قدمين، ولا كيف يتكلم. لم يكن يرى نفسه إنسانًا.

قال الدكتور "ماكس":

- أعرف أنني أفضل شخص يعتني بك يا "فيكتوريا". ولن يتحتم عليك دفع مليم. فأنا بحاجة إليك بقدر حاجتك إليَّ.

إذا كان قد عالج "لورينكو" الصبي الصغير الذي شرب الدم، و"صامويل" الفتى الكلب. فربما يستطيع فعل شيء لها. أعجبت "فيكتوريا" بصراحة الطبيب، بحقيقة أنه لم يلجأ إلى وعود زائفة أو ابتزاز عاطفي. وفي الأسبوع التالي، بدأت الجلسات اليومية. وبعد عام، تم قصرها على أيام الإثنين والخميس والجمعة. كان قبول العلاج أفضل قرار اتخذته "فيكتوريا" في حياتها.

تقع العيادة في الطابق الثامن عشر في مبنى إداري بشارع "أوفيدور". في تمام السابعة ونصف، دقت الجرس وبدأت العد التنازلي في ذهنها. ظهر الطبيب في العين السحرية وفتح القفل عندما بلغت الحادية عشرة. قال بترحيب كالعادة:

- تسعدني رؤيتك يا "فيك".

بعد ما حدث في اليوم السابق، لم تشعر بأنها تود الاقتراب جسديًّا من أي شخص إذا كان بإمكانها تفادي ذلك. عقدت ذراعيها، ودخلت مباشرة. وجلست على أقرب الكراسي من النافذة العريضة. متشبثة بحقيبة ظهرها في حجرها.

لم يرفع الدكتور "ماكس" عينه عنها. أغلق الباب من دون أن ينطق بكلمة. كان طويلًا، قوي البنيان، خمريًا ذا بشرة ناعمة وكأنها نتيجة لعدة عمليات تجميل. له لحية رمادية كثيفة، وشعر رمادي لامع وطويل. مما

يعني أنه يتقدم في العمر. يرتدي دائمًا ملابس فاتحة الألوان. في ذلك اليوم، أراح "فيكتوريا" مظهره البسيط من سروال رمادي وقميص أبيض يحدد كتفيه العريضتين، فتأكدت أنها فعلت الصواب بحضورها إلى الجلسة.

سأل وهو يضع ساقًا فوق الأخرى:

- من دون شريطة شعر اليوم؟

رفعت "فيكتوريا" يدها إلى شعرها. اللعنة! لم تسمح حالتها عندما تركت المنزل بتذكرها. ضبطت خصلة من شعرها ثم أخفضت يدها ببطء. في محاولة لإخفاء دهشتها، قائلة:

- لقد قررت أن الوقت قد حان للتغيير.

كذبة واضحة. لكنه لم يشأ معارضتها.

- التغيير جيد دائمًا. وأيام الإثنين مناسبة جدًّا لهذا. أفضل من أيام الجمع بالتأكيد.

فضلًا عن رمادية شعره، يتمتع الدكتور "ماكس" بحس فكاهي قديم. رغم أن عمره يتراوح ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين. أخذ مفكرة من فوق المنضدة الصغيرة القريبة منه، وفتحها على ركبته، واستعد بقلمه.

- تبدين غاضبة. هل حدث شيء؟

- لا شيء جديد.

غلف صمت حرج الغرفة. كان الطبيب النفسي يعرف أن "فيكتوريا" تكذب. كما يتضح من الطريقة التي فحصت بها عيناه السوداوان وجهها

بسرعة. بمرور الوقت، تعلمت "فيكتوريا" لغة الجسد أيضًا. أصبحت أكثر وعيًا بحركاتها. ولكن بقدر ما، كانت تحاول السيطرة على نفسها، كان من المستحيل في بعض الأحيان أن تتوقف عن قضم أظافرها، أو هز كتفيها أو فك تشنج فمها. كان كل شيء يكشف عن قلقها.

جلست باعتدال وقربت ركبتيها. كتلميذة مهذبة. وحاولت تثبيت عينيها الغاضبتين على أي نقطة في قميص الدكتور "ماكس" الأبيض. أزعجها كثيرًا الفوضى الصغيرة التي أحدثها خروج خيط من الزر الموجود أسفل الياقة مباشرة. لم يقل الطبيب شيئًا حتى قررت "فيكتوريا" التحدث. استعادت السيطرة على المحادثة. ولم يكن هناك مبرر لتخفي على الطبيب ما حدث بالأمس. ففي النهاية، هذا بالضبط ما يفترض أن يساعدها فيه.

زمت شفتيها، واعترفت أنها التقت "أروز" وزارا شقة مأهولة أخرى. مثلما يفعلان أيام الآحاد. وعلى الرغم من أن الطبيب لم يعلق على الأمر قَطُّ، فإنها كانت تعلم أنه قد حكم عليها بسبب هذه العادة، واستخلص نتائجه. عمومًا، أنهت كلامها بإخباره أن "أروز" قد صاحبها حتى "لابا" وعند الوداع، قبلها بالقوة. حاولت التحدث بهدوء، وأخذت وقتها، من دون الكشف عن الغضب الذي ما زال يتملكها. كان الدكتور "ماكس" يقول دائمًا: "من الضروري أن نتعلم كيف نتحكم في عواطفنا".

سألها ليعرف:

– وبماذا شعرتِ؟

تنهدت "فيكتوريا":

- لا أعتقد أنني بالغت في ردة فعلي. هو مَن تصرف بحمق.

- هل أنتِ غاضبة من سلوكه، أم مما أثاره هذا السلوك؟

- ماذا تعني؟

حافظ الدكتور "ماكس" على تعبيره الغامض:

- ليس هناك ما يدعوني للدفاع عن صديقك يا "فيك". فمما لا شك فيه أن تقبيلك على غير رغبتك كان خطأً كبيرًا من جانبه.

وضع الطبيب القلم على المنضدة الصغيرة، كما لو كان في غير حاجة إلى تدوين شيء:

- لكن أن تكوني السبب في إثارة اهتمام رجل.. هل أزعجك هذا؟

- لم أرغب في إثارة أي شيء في أي شخص.

- لسوء الحظ، ليس الأمر بيدك. فالطبيعي أن يهتم الناس ببعضهم.

لا تعتقد "فيكتوريا" أن هناك علاقة بينها وبين ما فعله "أروز". تمامًا مثل الرجال الذين ينظرون إلى صدرها الصغير أسفل بلوزة ملابس العمل. أو في أثناء تبادل الحديث معها بينما تقدم لهم "الكابتشينو" و"الكريب". فهم يغازلون أي امرأة تصادفهم.

- أنا لا أعرف حتى كيف أتحدث مع الرجال.

- لقد تحدثت إليَّ لسنوات يا "فيك".

نظرت إلى أعلى. مسحت يدها المتعرقة في بنطالها. لم ترَ الدكتور "ماكس" كرجل، بل كطبيب. إنهما شيئان مختلفان جدًّا.

واصل خافضًا صوته:

- إذن من المهم توضيح أن ليس هناك ما يدعو الناس لعدم الإعجاب بك.

- لست مستعدة للتورط مع أحد. حتى إنني لست مستعدة لعقد صداقات.

تراجع الدكتور "ماكس"، واتكأ على مسند الكرسي. وشبك يديه أمام بطنه ونظر إلى مفكرته. تردد قبل الإمساك بها مجددًا. كانت برودة الغرفة تزداد. انتصب شعر ذراع "فيكتوريا". تمنت لو تنتهي الجلسة.

سألها الطبيب النفسي:

- والفتاة التي تعمل بالمقهى معك؟

- "مارجو".

- أخبرتني أنها كانت لطيفة معك ذات مرة.

هزت "فيكتوريا" كتفيها غير مبالية، كانت "مارجو" تكبرها قليلًا، لا بد أنها في السادسة والعشرين، وكانت تعمل خلف طاولة الطلبات. مسؤولة عن الطلبات التي تخرج من المطبخ وعن تسليم الصواني للنادلات. كانت بشرتها داكنة، وشعرها طويلًا وابتسامتها عريضة.

ذات ليلة، في منتصف عاصفة صيفية. قبلت "فيكتوريا" عرضها في توصيلها إلى منزلها. وخلال رحلة أقل من خمس عشرة دقيقة، حكت لها "مارجو" قصة حياتها بالكامل. حتى تفاصيل علاقاتها المتعددة

بالرجال. أداء كل واحد منهم في الفراش، أفضل طريقة للاستمتاع بالجنس الشرجي. حتى إنها أعطتها نصائح في كيفية جعل الرجل يقبل بعلاقة ثلاثية مع رجل آخر. ظلت "فيكتوريا" صامتة. تخيلت كيف سيكون الأمر لو كانت لديها صديقة. أزعجتها الفكرة من جميع الجوانب. ففي صداقات النساء، يحكين كل شيء؛ الأحداث، والمشاعر، والرغبات وعدد لا نهائي من الأشياء التي لا تنوي مشاركتها مع أحد. بالإضافة إلى أن بهجة "مارجو" وعواطفها كانت زائدة عن اللزوم، فقد كانت سعيدة بشكل مفرط.

- لا أفضل فعل هذا.

سأل الطبيب النفسي:

- وماذا عن الكاتب الذي يأتي إلى المقهى من حين إلى آخر؟ لقد ذكرته مرات قليلة. يبدو لطيفًا. ويحب نوع الموسيقى نفسه التي تفضلينها.

- وعمَّ سأتحدث معه؟ عن الموت، أم عن حياتي البائسة؟

- يجب ألا تخجلي من الماضي.

- سيختفي الرجل فورًا بمجرد أن أخبره. أنا مجرد نادلة يثرثر معها.

- حسنًا، وماذا إن كان الأمر كذلك؟ ليس من الضروري أن ينتهي بكما الحال في الفراش معًا. كان أمر مقابلة "أروز" صعبًا أليس كذلك؟ ومتى كان ذلك؟ منذ أكثر من عام. ربما حان الوقت للتعرف على أشخاص آخرين. تغلبي على مخاوفك.

شعرت بالضيق. لا بد أنه يستفزها.

– لست خائفة. لم يكن الأمر خوفًا قَطُّ.

انتظر الطبيب أن تكمل لكنها صمتت. ورغم ذلك كذبت مجددًا، وهي تنظر في ساعتها، كان الوقت قد تجاوز موعد الجلسة بدقيقتين. براحة نهضت وارتدت حقيبة ظهرها.

– قبل أن تنصرفي. هل تذكرين أنني كنت أسجل جلساتنا في البداية؟

– بالطبع، لماذا؟

نهض وسار حتى المكتب. فتح الدرج الثالث، ومرر أصابعه الطويلة على مجموعة من شرائط الكاسيت الصغيرة المرتبة حسب التاريخ. كانت تراه شخصًا تقليديًّا لاستخدامه جهاز تسجيل بدلًا من التليفون. لكنها لم تتفوه بكلمة في هذا الشأن. فقد كان ذلك يناسبه. بعد عدة دقائق، وجد الطبيب النفسي الشريط الذي كان يبحث عنه ولوح به في الهواء.

– هذا من جلستنا الأولى، هل تمانعين في أن أُشغله؟

– يجب أن أذهب إلى العمل.

– فقط جزء صغير. من المهم كما أعتقد أن تسمعيه. لن يستغرق الأمر طويلًا.

أخرج مشغل كاسيت من الدرج ووضع الشريط به. وسرَّعه. وتوقف عدة مرات ليرى إن كان في الجزء الصحيح. سمعت "فيكتوريا" أجزاء من جمل وأسئلة مفككة. جلست ثانية، أغلقت عينيها وأراحت ذراعيها على مسند المقعد. كأنها تعود في الزمن. سنوات قليلة مرت على هذا التسجيل.

لكنها كأنها تستمع إلى شخص آخر. عندما كانت في الحادية والعشرين، كان صوتها لا يزال رقيقًا ومرتعشًا، كصوت الأطفال. وكان تأثير الخمر يشوش سرعة كلماتها.

أخيرًا وجد الطبيب النفسي ما كان يبحث عنه. أصبح صوته القوي أعلى في التسجيل. يتخلله صوت قرقعة جهاز التسجيل.

- لماذا في رأيك يمارس الناس الجنس يا "فيك"؟

كانت هناك خمس عشرة ثانية من الصمت على التسجيل. ثم جاء الرد. بصوت ثمل:

- ليشعروا بالألم.



3



على الطاولة الخارجية بمقهى "أماريلينو"، في ميدان "سينيلانديا"، شعرت "فيكتوريا" بالندم على قرارها. كان الرجل الذي يجلس على الناحية الأخرى من الطاولة يطالع القائمة، بينما تطوي منديل المائدة على ركبتيها متسائلة كيف انتهى بها الحال إلى المجيء هنا. سلسلة من الأخطاء، مشاعر مضطربة، وربما توافق غير مسبوق بين الكواكب، هو ما جعلها تقبل دعوة "جورج" للخروج بعد العمل.

حتى ذلك الحين، لم يكن يعني أي شيء بالنسبة إليها. مجرد شخص غريب يأتي مبكرًا إلى المقهى يوميًّا تقريبًا. ودائمًا يختار الطاولة نفسها في الزاوية. بجوار النوافذ الكبيرة. ومقبس الكهرباء حيث يوصل اللابتوب الخاص به. ويقضي ساعات في الكتابة والاستماع إلى قوائم تشغيل موسيقى الموجة الجديدة على تطبيق "سبوتيفاي". وفي كل مرة تذهب لتقديم المزيد من القهوة، أو لتعرض عليه إحدى الوجبات الخفيفة المطهوة للتو، يضغط على أيقونة التصغير لملفه، ويسحب سماعات الأذن ليلفها حول رقبته، ويبدأ محادثة عشوائية معها. غالبًا هو كاتب سيناريو محبط، أو شخص يكسب قوت يومه من نشر التفاهات على مواقع التواصل الاجتماعي. ولأنه يدفع

نقدًا دائمًا، لم تكن تعرف اسمه. وفي ذهنها، كانت تتذكره بـ"الكاتب". أما الآن، فهي تعرف أن اسمه "جورج".

أتى النادل وسأل إن كانا مستعدين للطلب.

قالت "فيكتوريا":

- لست جائعة.

يعد الإثنين أكثر الأيام ازدحامًا في مقهى "مورا". حيث تعمل منذ الصباح حتى بعد الظهيرة. وخلال الاستراحة، ابتلعت بسرعة فطيرة، وموزتين أخرجتهما من حقيبتها. لذلك تشعر بالشبع.

- هل ستتناول شيئًا؟

أراح "جورج" مرفقيه على الطاولة.

- لست جائعًا أيضًا. أتريدين بيرة؟

- لا أظن. لكن اشرب أنت.

- ماذا تريدين؟

- "كولا".

- عظيم! سأتناول نصف لتر من الـ"كولا" أنا أيضًا.

ضحك "جورج" وأعاد القائمة إلى النادل.

- يسعدني أنك قبلت دعوتي للخروج.

خفضت "فيكتوريا" نظرتها. وقاومت الرغبة الملحة بقضم أظافرها. التي تسبب الالتهاب في احمرار أصابعها وتهيج جلدها. وقبل أن يحل الصمت. سألت عما يعمل عليه كل يوم في المقهى. كانت تعرف أن هذه هي الطريقة التي يتحدث بها الناس العاديون. فبينما تحمل الصواني وتتنقل بين طاولات المقهى، تستمع إلى مقتطفات من الحوارات، صفقات يتم عقدها، لقاء بين أصدقاء قدامى، اعتراف حب فاشل. بالقليل من الحظ، انتهت الليلة قبل أن يتاح له الوقت ليسألها عن شيء.

لم يتحفظ "جورج" في التحدث عن حياته الخاصة. بالعكس، كان يتحدث بسرعة شديدة. ينتقل من موضوع إلى آخر ويومئ ويتحرك في جلسته كثيرًا. ورغم رؤيتها لحركة فمه السريعة، فإنها لم تكن منتبهة. فقد كان المقهى مزدحمًا. ورائحة البيرة تبعث في نفسها الإحساس بالغثيان والإغراء معًا. جعلها صخب المكان تشعر بأن الجميع يراقبونها. بدأ اللقاء للتو وسينتهي سريعًا. كل ما أرادته هو أن تستلقي على أريكتها محتضنة "أبو". تشاهد الرسوم المتحركة في التليفزيون. حتى إنها فكرت عندما ذهب "جورج" إلى الحمام في الرحيل دون وداع.

أحضر النادل زجاجتي الـ"كولا" وكوبين بثلج وليمون. وبينما يواصل "جورج" ثرثرته، سكب الـ"كولا" خارج الكوب. من الواضح أنه يتوتر كثيرًا في اللقاء الأول. لا يعني هذا أن لـ"فيكتوريا" خبرة بالأمر. لكنها قرأت علامات لغته الجسدية. في النهاية، شعرت بأن قبولها للموعد كان نوعًا من الانتقام التافه مما فعله "أروز"، فازداد إحساسها سوءًا.

سأل رافعًا كوبه الممتلئ:

- مرحبًا، هل تنصتين إليَّ؟

بتلقائية، رفعت "فيكتوريا" كوبها أيضًا.

سأل ليعرف:

- لأي نخب نشرب؟

فكرت للحظة:

- "ديفيد بوي".

- ماذا، المغني؟

سألت:

- ألا تحب "بوي"؟

- أحبه لكن.. لماذا هو؟

- لأنني أحبه أيضًا. أمر مشترك بيننا.

شربت الكوب وسكبت آخر. حتى أفرغت الزجاجة. ساعدتها الـ"كولا" على التيقظ. فلم تكن ترغب في أن تبدو غير مبالية أو غير مهتمة بحديث "جورج".

قالت:

- أخبرني بالمزيد عنك.

سأل:

- أين توقفت؟

ثم سرعان ما تذكر:

- في لندن.. كنت في التاسعة والعشرين. مرحلة التغيرات الكبيرة أو كما يقولون بعمر "عودة زحل". سافرت إلى لندن برغبة في النجاح. كنت أتناول السمك والبطاطس كل يوم. سكنت الطابق الأخير في بيت للطلبة. على بعد أميال عن أى مكان. كالجحيم على الأرض. لكنه كالجنة أيضًا. كنت أحلم بتحسين لغتي الإنجليزية. واحتراف كتابة المسرحيات والقصص القصيرة للمجلات. وانتهى بي الحال بالحصول على عمل في مكتبة محلية. ادخرت بعض المال، لكن في النهاية، لم يكن الأمر كما خططت له، ولم أستطع التحمل.

شعرت "فيكتوريا" بأن هناك بقية للقصة فقالت:

- لم تنجح في شيء؟

- تعرفت على فتاة إنجليزية..

رغم هزه قدمه اليمنى بضعف، فإن الحركة كانت واضحة:

- "أليسون"، كانت فنانة، جميلة، مرحة. وقعنا في الحب، أو على الأقل، وقعت أنا في الحب. عشت معها لمدة. ركزت أكثر على عملي، حتى إنني بدأت تأليف كتاب.

كانت هي أيضًا ترغب في تأليف كتاب. وقد كتبت بعض سطوره بالفعل. لكن الأمر كان ينتهي بصرف النظر عن كل شيء، إما لإحساسها بالضياع في الحبكة، وإما بشعورها بالإحباط بسبب التشابه الدائم بينها وبين الشخصيات.

واصل:

- ثم استبدلتني بإيراني قابلته في معرض قبل ذكرى عيدنا الرابع.

- وعدت إلى البرازيل.

- أجل.

أنهى كوبه وأشار إلى النادل، وطلب زجاجة أخرى.

من الواضح أن الأمر ما زال يحزنه. كان "جورج" كاتبًا مثاليًّا مضطربًا إلى حد ما، أشعث الشعر قليلًا. يرتدي نظارة ذات إطار سميك، وكان ذا لحية خفيفة، يطوي أكمام قميصه حتى مرفقيه. لكن في الوقت ذاته، لا يزال شابًّا، بطفوليته الصريحة، على عكس ما يشاع عن الفنانين والمفكرين من الانعزال والتحفظ. فلم يكن لديه أي مانع في الإجابة عن أي سؤال. فقد حكى كل شيء بالتفصيل، كما لو كانا بالفعل صديقين مقربين، وليسا بحاجة إلى إخفاء الأسرار عن بعضهما. قال:

- أحيانًا أترجم ترجمة مستقلة لتعليمات التشغيل. لذلك أعرف كل شيء عن تركيب صمامات الحمام، إن احتجت إلى معرفة شيء أي شيء. لكنني قررت أخذ عامين تفرغ لأنتهي من كتابة روايتي. معتمدًا على المال الذي استطعت ادخاره. كاد الوقت والمال ينفدان، ولا يزال أمامي عمل كثير حتى أنتهي من الكتاب. ومن يدري ما الذي سيصبح عليه. لكن لا بد من المحاولة. فإما كل شيء أو لا شيء.

أعجبتها النبرة التي يتحدث بها. سريعة، ثرية بالمعلومات، كما لو كان يخشى عدم تغطية أي نقطة. حتى وقفته وسط فيض الكلمات، لم تبدُ

وكأنها دفاع عن النفس، بل بالأحرى شفقة على الذات. أمور صغيرة كانت تزعجها في العادة. لكن مع "جورج" تشعر بصدقها. كان من السهل قراءته. رجل عادي يعاني مشكلات الناس العاديين، يرى حياته مأساة. رغم أنه ليس لديه أدنى فكرة عن المعنى الحقيقي للمأساة.

تضاءل إحساسها بالرغبة في الرحيل، وشعرت بالارتياح الشديد حتى إنها تثاءبت. قال مبتسمًا:

- أعرف، قصة حياتي تسبب الإحساس بالنعاس.

كان ماهرًا في التواضع الساخر. ظنت "فيكتوريا" أن هذا نوع من الدفاع عن النفس.

- معذرة. لا، ليس الأمر كذلك أبدًا. أنا مرهقة فقط.

فركت عينيها بشكل واضح:

- ما الذي أتى بك إلى المقهى الذي أعمل به؟

- لأقابلك بالتأكيد. إنه القدر.

- لا، بصدق..

- من الرائع العمل بمكان نوافذه كبيرة. رؤية الناس يسيرون في الشارع. محاولة تخيل من أين أتوا وإلى أين يذهبون.

أرادت "فيكتوريا" التحدث عن اللعبة التي تمارسها مع "أروز". لكنها فضلت عدم خلط العالمين معًا.

واصل حديثه:

- ولأنه من المهم أن يكون هناك سبب للخروج صباحًا. فأنا أعيش بمفردي، كسول جدًّا حتى لتبديل منامتي في المنزل. وعليه لا أحرز تقدمًا كبيرًا في عملي. كان اختيارى لمقهى "مورا" من قبيل المصادفة. لكن وجودك هناك جعل كل شيء أفضل.

- ولماذا تدفع نقدًا دائمًا؟

فاجأه السؤال:

- أنت قوية الملاحظة، صحيح؟ حسنًا، لا أثق بالبطاقات الائتمانية. فهي تجعلك تنفقين المال من دون أن تدركي ذلك. ولهذا أيضًا لم أعد أتواصل على مواقع التواصل الاجتماعي. فالوقت من ذهب.

ابتسامته صادقة. يمكنها تمييز ذلك. لم يكن "جورج" رجلًا وسيمًا بالمعنى الدارج. لكن كثافة شعره الأسود تبدو رائعة مع بشرته السمراء. وقد أحبت الطريقة التي يحرك بها عينيه وهو يتحدث. قالت:

- ليس لديَّ أي حساب على مواقع التواصل الاجتماعي أيضًا، ولم يكن لديَّ قَطُّ.

أضافت بينها وبين نفسها: "ولكن لأسباب مختلفة".

- إذن، فأنت غريبة أيضًا.

ضحك وهو يضع يده في جيبه، ليخرج تليفون "نوكيا"، من طراز قديم.

- قالب الطوب هذا جيد لإجراء المكالمات وإرسال الرسائل فقط. عندما يراه الناس، ينظرون إليَّ كما لو كنت من كوكب آخر.

سألت:

- ما موضوع الكتاب الذي تكتبه الآن؟

- هل يجب أن أجيب عن هذا السؤال؟ فأنا أفضل أن تقتليني.

قالت:

- ليس هناك داعٍ.

ما تلا ذلك من صمت جعلها تشعر بأن وقت المغادرة قد حان. فقد عادت التقلصات بقوة.

- لا بد أن أرحل.

- حقًّا؟ لم أبدأ حتى في استجوابك أيتها الشابة.

- لا استجواب اليوم، أيها الشاب.

- لكن لمَ العجلة؟ هل يغضب والداك إذا عدتِ إلى المنزل متأخرة؟

- ليس لديَّ والدان.

ضمت "فيكتوريا" يديها. رفعت رأسها وحدقت إلى وجه "جورج". فقد أرادت رؤية رد فعله:

- لقد ماتا منذ فترة طويلة.

- يا إلهي، حقًّا.. يؤسفني هذا.

أخفض "جورج" نظرته إلى أكياس السكر على الطاولة.

- صحيح.

شعرت "فيكتوريا" بسعادة خفية مفاجئة، في مصادمة "جورج" بمشكلات حقيقية. ماذا تعني قصة حياته مقارنة بما حدث لها؟ لهذا واصلت:

- كان والداي يمتلكان مدرسة محلية في "إيها دو جوفيرنادور". ذات يوم، اقتحم صبي منزلنا وقتلهما بسكين، وقتل أخي أيضًا. ثم قام بطلاء وجه كل منهم باللون الأسود.

- طلاء؟

- أجل، طلى وجوههم.

أنزل يديه. متشبثًا بسطح الطاولة وكأنها صمام الأمان في قطار ملاهٍ.

أنهت "فيكتوريا" حديثها قائلة:

- أنا الوحيدة الناجية.

- هل تم القبض على الصبي؟

- في الليلة نفسها. اسمه "سانتياجو". طالب في مدرسة والدي. كان في السابعة عشرة من عمره، وعضوًا في جماعة مراهقين منحرفين. عرف في الصحافة باسم "الواصم".

- كم كان عمرك؟

- أربع سنوات. لا أتذكر الكثير.

قال "جورج" متأثرًا:

- يا للأسف.

- أنا **يتيمة عائلة "برافو"**. لا بد أنك سمعت عنها.

- هل هي القضية الشهيرة؟ التي تشبه نوعًا ما حادثة عائلة "ريتشوفين"؟

- قبل تلك الحادثة في عام 1998. كان يومًا حافلًا للصحافة. عن قتل عائلة مدير المدرسة، المتزوج من مدرسة الرياضيات، بالمنزل على يد أحد الطلاب.

- أنا آسف.. أنا.. لم أكن أعرف.

حدثت نفسها: "لا يبدو أن الجميع يحسنون التعامل مع هذه الأمور يا دكتور ماكس".

تفحصها "جورج" كما لو كان يشرح حيوانًا في المعمل. رغم محاولته إخفاء هذا، فإن ارتباكه كان واضحًا. سأل:

- لماذا فعل الصبي هذا؟ أعني.. اقتحام منزلكم و..

هزت "فيكتوريا" كتفيها:

- كنت صغيرة. لقد أخفوا عني كل ما يتعلق بهذه الحادثة الشنيعة.

- ألم تحاولي البحث في الأمر قَطُّ؟

- لماذا؟ كان كل هذا في الماضي.

خلال طفولتها وفترة مراهقتها، تحدثت بشكل مستفيض مع الدكتور "جواو كارلوس" عن هذا. لكنه كان يرى أن أفضل حل هو المضي قدمًا. الآن،

وهي تحكي قصتها علنًا، تشعر وكأنما تكشف ماضيًا غريبًا عنها أو تعلق على مأساة تشاهدها في التليفزيون. فلم تعد تشعر بارتباط مع ما تحكيه.

- أين كنت عندما حدث هذا؟

- في المنزل.

- عندما اقتحم القاتل المنزل؟

- أجل.

- هل كنت هناك عندما حدث كل هذا؟

- أتعني عندما قتل "سانتياجو" عائلتي وطلى وجوههم باللون الأسود؟ أجل كنت هناك.

تنهدت "فيكتوريا" وابتسمت ابتسامة قصيرة، تلك الابتسامة التي قال الدكتور "ماكس" إنها تختبئ خلفها من العالم. بمرور الوقت، أدركت أنه لا مفر من ذلك. فكانت بالفعل تبتسم حتى تؤلمها وجنتاها، ويكبر أنفها. كانت تعرف السؤال الذي يدور في عقل "جورج" في تلك اللحظة. وكأنه مكتوب على جبهته. فقد ظلت تسأل نفسها السؤال نفسه لمدة عشرين عامًا. لماذا؟ لماذا لم يواصل القاتل حتى النهاية المريرة؟ لماذا تركها وحدها على قيد الحياة؟

وجد "جورج" وسيلة أقل مباشرة للاقتراب من الموضوع، فسأل:

- هل آذاكِ؟

قالت كذبًا:

- لم يحدث لي شيء.

كانت هناك حدود لا ترغب في أن تتخطاها. مضغت الثلج الذي اكتسب مذاقًا خفيفًا لليمون في كوبها.

- هل نطلب الفاتورة؟

- بالطبع، بالطبع..

ظلا صامتين حتى أحضر النادل الفاتورة. قالت وهي تودعه:

- بالتأكيد قصة حياتي لا تسبب النعاس.

قال "جورج":

- كان من الرائع معرفتك عن قرب يا "فيكتوريا". وأنا آسف حقًّا.

لمس كتفها بلطف. ولم تهرب "فيكتوريا". بقيا هكذا ثوانٍ قليلة. قبل أن يذهب "جورج" نحو المترو، راقبته "فيكتوريا" وهو ينزل السلالم باتجاه المحطة من دون أن يستدير إلى الخلف. كانت على يقين من أنه سيختفي من حياتها إلى الأبد. سيتوقف عن الذهاب إلى مقهى "مورا". وسيختار مكانًا آخر لينجز روايته. وخلال أشهر قليلة، سيحكي لأصدقائه، ضاحكًا أنه قابل امرأة مجنونة لكنه نجح في النجاة بنفسه.

لكنها شعرت بالسعادة رغم كل شيء. أعجبها منظر منطقة "سينيلانديا" ليلًا. إنارة مسرح البلدية. الحمام الذي يطير حوله. الموسيقيون المتجولون يطلبون بعض المال. فوضعت سماعات الأذن. لم يكن الشارع مزدحمًا في ذلك الوقت من الليل. فقد رحل الباعة بالفعل. لهذا سارت على الرصيف معظم الطريق. تتفادى الزوايا المظلمة. لشعورها بالقلق من صغار النشالين. فأعدادهم تتزايد في هذه المنطقة من المدينة.

كانت الليلة أفضل مما توقعت "فيكتوريا". فقد كان "جورج" لطيفًا. حتى رغم شعوره بالاستياء تجاه العالم. لم يكن عنيفًا مثل "أروز". خلال محادثتهما، لم يسأل لماذا لا تشرب الخمر. لم يلاحقها بأسئلة مزعجة. ولم يصاحبها حتى المنزل كدليل على الشهامة الزائفة. ربما لهذا شعرت بالراحة الكافية لتخبره بكل شيء. والآن فقط فكرت أنها كشفت لشخص غريب عن الماضي الذي لم تذكره قَط لـ"أروز" خلال سنوات صداقتهما العديدة.

عندما عادت إلى المنزل، اتجهت مباشرة إلى غرفة نومها. جلست على الفراش، وخلعت سروالها، وهي تغني "كيلر كوين". كانت متعبة جدًّا ولم تستطع الاستحمام. وسمحت لنفسها بترك ذلك للغد. أما الآن، فلا بد أن "جورج" يبحث عن كل شيء يخص حياتها على الإنترنت. صور لمسرح الجريمة، فيديوهات للجيران يتحدثون برؤيتهم عن الواقعة، تقارير متعمقة. لم تهتم. فقد كان من الجيد التحدث علنًا عن هذا لمرة واحدة.

كذلك هي لم تخبره بكل شيء. فهناك بعض الأمور التي احتفظت بها لنفسها. أمور لا يعرفها أحد. ولا حتى الدكتور "ماكس". لم تذكرها الصحف حينها. وعلى مر السنين كانت تتدرب على القصة حتى تتأكد من أن أحدًا لن يستطيع ملاحظتها. في الفراش الآن، خلعت "فيكتوريا" ساقها الاصطناعية اليسرى، التي تركبها في الجزء السفلي من ساقها، أسفل ركبتها تمامًا. وأسندتها في الركن بجوار الفراش. واستلقت لتنام، وهي تفكر في "جورج" والأشياء الرقيقة التي جعلتها تعجب به كثيرًا.

4

ملعقة، وملعقة أخرى، وثالثة. كانت "فيكتوريا" تتابع العمة العجوز "إيميليا" المنحنية في فراشها، وهي تتذوق الزبادي باستمتاع بشفتيها المجعدتين، في سقف فمها قبل أن تبتلعه. ثم ترفع عينيها وتنظر إليها بابتسامة متواطئة. كأنهما ترتكبان جريمة خطيرة. غير مهتمة على الإطلاق بسكب البعض منه، من حين إلى آخر، أسفل ذقنها، وسقوطه على ثوب نومها المزركش. وعندما أنهته، سألت:

- هل هناك المزيد؟

أومأت "فيكتوريا". ثم أخرجت كوبًا آخر من حقيبتها، ونزعت الغطاء بأظافرها المقضومة.

قالت العمة "إيميليا" بامتنان:

- أنت لطيفة معي جدًّا يا حبيبتي.

مررت يدها على شعرها الخفيف وضبطته. ثم أمسكت الكوب وواصلت الأكل في صمت. كانت "فيكتوريا" سعيدة وهي تراها هادئة، تلعق الملعقة

فرحة بزبادي الفراولة الذي اشترته لها من المتجر. زيارتها كل أربعاء، يوم عطلتها من المقهى، كانت أقل ما يمكن أن تقدمه لها بعد كل ما فعلته. ففي الليلة التي اقتحم فيها "الواصم" المنزل، اتصلت بها طلبًا للنجدة. فحضرت على الفور. فمنزلها يقع على بعد ثلاث بنايات فقط. حيث وجدتها على الأريكة، فاقدة الوعي والدماء تغطيها. ورغم كل ما منيت به من خسارة، فإنها استجمعت شجاعتها، حمت "فيكتوريا". لدرجة أنها رفضت مبالغ طائلة، مقابل إجراء مقابلات والتقاط بعض الصور للطفلة المذعورة لوضعها على الصفحات الأولى، ولم تقبل مليمًا واحدًا من الصحفيين الانتهازيين. وظلت بجوارها طوال الشهور التي قضتها بالمستشفى، إلى أن عادت بها إلى منزلها لترعاها. في الوقت نفسه، كان عليها التعامل مع أزمة مالية استمرت أشهرًا قليلة حتى تم بيع المدرسة، وتحول المبنى إلى متجر للكتب. ثم أعيد بيعه بعد ذلك، وأصبح إحدى الكنائس الإنجيلية. أما المنزل الذي وقعت به الحادثة، فلم يتم بيعه لعدة سنوات، إلى أن انتهز شخص من المنطقة الفرصة واشتراه بمبلغ زهيد.

في عام 2014، وقع حادث عادي للعمة "إيميليا"، حيث شردت وهي تسقي النباتات على حافة نافذة غرفة المعيشة، فتعثرت في السجادة وسقطت، كسر حوضها وعظمة الفخذ. وعندما عادت "فيكتوريا" من العمل، وجدتها فاقدة للوعي فاتصلت بالإسعاف سريعًا. وبعد جراحة دقيقة، أخبرها الطبيب أنها ستستخدم العكازات لمدة. وإذا تحسن الوضع، فستكتفي بعكاز واحد خلال أشهر قليلة، لكن لن تعود الأمور كالسابق

أبدًا. حينها شعرت بالرعب من احتمال فقدان عمتها العزيزة، فهذا يعني أنها ستصبح وحيدة في هذا العالم.

وحتى تعتني بعمتها العزيزة في المنزل، أخذت إجازتها السنوية مبكرًا. لكن سرعان ما أدركتا أن لديهما مشكلة. فلا بد أن تعود "فيكتوريا" إلى العمل، وإلا ستفقد وظيفتها. لهذا اقترحت العمة "إيميليا" الانتقال إلى دار لرعاية المسنين. لكنها بدت فكرة سخيفة بالنسبة إلى "فيكتوريا". فما يحدث تبادل طبيعي للأدوار. فقد اعتنت بها العمة "إيميليا" طوال حياتها، والآن حان دورها لرد الجميل.

عندما أصرت العمة على الانتقال طواعية إلى دار للمسنين في منطقة "كاتيت"، شعرت "فيكتوريا" بالصدمة وبأنها قد تخلت عنها. فتوقفت عن زيارة طبيبها النفسي. وفي ظل غياب رعاية الدكتور "جواو كارلوس" وعمتها، أفرطت في الشرب، في أثناء العمل وخلال الليل في حانات مقاطعة "لابا". حتى استيقظت في أحد الأيام لتجد نفسها تفترش الرصيف تحت أشعة الشمس الحارقة. تعاني بعض الحروق ووجعًا في العظام. حتى إن المارة من حولها اعتبروها من المشردين. وبسبب ما أصابها من ضربة الشمس والجفاف. تم نقلها إلى المستشفى مباشرة. لكن ما إن عادت إلى المنزل حتى بدأت الشرب مرة أخرى.

لكنها لا تزال تشعر بعد كل هذه المدة بأنه ليس من الإنصاف أن تعيش العمة "إيميليا" في مكان خانق كهذا. فممراته ضيقة، ورائحة الكولونيا تنتشر بالمكان، ولا يعرض على التليفزيون صغير الحجم سوى البرامج الحوارية طوال اليوم. وعلى العشاء يقدم حساء بلا طعم.

بالإضافة إلى أنين العجائز في غرف نومهم، أو صراخهم بكلمات هذيان. فقد كان كل هذا يزعجها كثيرًا. لكن الحياة ليست عادلة. لقد تعلمت هذا في مرحلة مبكرة جدًّا.

بمجرد أن أنهت العمة طعامها، نهضت "فيكتوريا" من مقعدها وعانقتها في الفراش، محتضنة جسدها النحيل كما لو كان وسادة. كانت لحظة الحميمية تلك تشعرها بأن العالم بخير. وكان هذا أقصى قرب تستطيعه مع إنسان آخر. كانت تحب ملمس يد عمتها العزيزة، بشرة جسدها النحيف، الشفاف تقريبًا، بعروقها البنفسجية البارزة. كان ظهر جسد العمة "إيميليا" مغطى ببقع الشيخوخة، وكانت تستخدم سماعة أذن، تحاول إخفاءها بشعرها الرمادي الناعم.

قالت العجوز بينما تبتسم لها:

- أنت مختلفة.

أشاحت "فيكتوريا" بنظرها بعيدًا:

- أنا؟ لا.

أراحت وجهها على حجر عمتها، مستنشقة عطر ما بعد الاستحمام. لكن العمة "إيميليا" تريد أن تعرف، فسألتها بحسم وبطريقة مباشرة:

- هل قابلت أحدهم؟

- أجل، أعتقد أن لديَّ صديقًا جديدًا.

- هل هو وسيم؟

- إنه مجرد كاتب يقضي فترة المساء في الكتابة بالمقهى.

- هل طلب منك الخروج معه؟

- تناولنا الـ"كولا" معًا.

- يبدو أنك معجبة به.

- لقد قلت الشيء نفسه عندما قابلت "أروز".

رفعت العمة "إيميليا" حاجبيها مبتهجة:

- الأمر مختلف هذه المرة. فلم يحمر وجهك خجلًا عندما كنت تتحدثين عن "أروز".

لم تعرف "فيكتوريا" ماذا تقول. كما لو أن عمتها العزيزة تقرأ أفكارها. واصلت العمة "إيميليا":

- التشابه غريب بينك وبين أبيك. كان "ماورو" هكذا أيضًا. هادئ، غامض. كنا نسأله كل تلك الأسئلة، ولم يكن يجيب أبدًا.

الحقيقة أن "فيكتوريا" تتذكر القليل جدًا عن والديها وأخيها. فقد كانت صغيرة عندما حدث كل هذا. وحسب الدكتور "ماكس"، كان من الطبيعي أن يتناسى عقلها كوسيلة دفاعية. وعلى مر السنوات، جمعت "فيكتوريا" المعلومات عن تكوينها الوراثي من حديثها مع العمة "إيميليا". فهي تشبك ذراعيها مثل أخيها، ولها طباع ونظرة والدها نفسهما، وابتسامة وصوت أمها. كانت تعيد بناء عائلتها كمن يقرأ عملًا أدبيًّا، وتتخيل الشخصيات. تعرف أن أخاها من محبي فيلم "حرب

النجوم". وجمع قمصان لاعبي كرة القدم من الفرق المختلفة. وكذلك عرفت أن والدها شخص خجول، متحفظ، ولم يواعد أي امرأة قبل أن يقابل أمها. وأن أمها المرحة واللطيفة كانت تنتظر الكثير من تلاميذها في حصص الجبر، الكثير والمزيد من الحكايات والقصص.

أمام الفراش، فوق الأرفف الخشبية، بجوار الكتاب المقدس، والتماثيل الصغيرة للقديسين وصورهما معًا عبر السنين، كانت هناك صورة للعائلة بأكملها، تم التقاطها في حديقة مدينة "بوكوس دي كالداس"، في أثناء رحلة عيد الفصح. وقد انضمت إليهم العمة "إيميليا". يظهر بها "إيريك" في التاسعة، الوحيد الذي لا يبتسم، فقد كان غاضبًا لرفض والده شراء شيء يريده. "فيكتوريا" طفلة صغيرة، وسعيدة، تتشبث بسيقان "ماورو" الذي تقف "ساندرا" إلى جواره. جميلة كالعادة، شعرها طويل، بابتسامة على وجهها، وبوضعية شموخ المعلم. كان باستطاعة "فيكتوريا" أن ترى تشابهًا جسديًّا بينها وبين أمها. فلها عيناها الشاحبتان، والفم الصغير نفسه، وأنفها الدقيق. لكنها تبدو كنسخة فقيرة منها.

قالت "فيكتوريا" لتنهي الأمر:

– لست مهتمة بأحد.

قالت العمة "إيميليا" بلطف:

– لا أرى خطأ في هذا. أدعو لك في صلاتي كل يوم، أن تقابلي الشخص المناسب.

إنها امرأة كاثوليكية صادقة، تقضي يومها في الصلاة، قراءة الإنجيل، وتشاهد القداس المسجل في التليفزيون. هزت "فيكتوريا" رأسها وابتسمت. لقد فرحت فعلًا بمقابلة الكاتب. وصحيح أنها تفكر به، لكن من سيقضي حياته مع شخص مدمر مثلها؟ من الأفضل أن تظل وحيدة. فهذا أكثر أمانًا.

۞۞

غادرت دار المسنين قبل منتصف النهار مباشرة. كانت تنوي قراءة رواية "كورالين" للكاتب "نيل جايمان" ومشاهدة الكثير من الأفلام في المساء. فاليوم أرخص أيام الأسبوع في السينما. وبفضل بطاقة الهوية التي زورها لها "أروز"، لا يزال لديها تذاكر مخفضة. فما أنفقته على تذاكر السينما وفرته لمكيف الهواء بالمنزل. كانت تتجه إلى المترو عندما رن تليفونها في جيبها. كانت على يقين من أنه "أروز". فقد اتصل عدة مرات في الأيام القليلة الماضية. لكن الغريب أنه كان "بيلينو"، مالك مقهى "مورا". يتصل بها على غير العادة. خاصة أنه يوم إجازتها. فأجابت في الحال.

أخبرها "بيلينو" بلكنته البرتغالية أن "أيلين"، النادلة الأخرى، لديها بعض المشكلات العائلية وتحتاج إلى إجازة بعض الوقت، وأن المطعم مكتظ وستسوء الأمور وقت الغداء. لذلك ليس بإمكانه هو و"مارجو" بمفردهما إدارة الموقف. وعليها أن تسرع بالعودة إلى هناك حتى تشغل مكان زميلتها. وافقت على مضض. فمن الصعب ترك "بيلي" في هذا الوضع الحرج. كان "بيلينو" رجلًا سمينًا، تعبيرات وجهه صارمة، وانفعالاته حادة. تعرفه "فيكتوريا" منذ سنوات، فقد كان صديقًا عزيزًا للعمة "إيميليا". وربما

كان في الماضي أكثر من مجرد صديق عزيز. فبإمكانها أن ترى خلف حدة مزاج الرجل العجوز الظاهرة عذوبة. كما أنه قد عرض عليها هذا العمل عندما كانت محطمة تمامًا. تعاني انتفاخات أسفل عينيها، وصداعًا مستمرًا بسبب إدمان الخمر. إنها تدين له.

ركبت "فيكتوريا" قطارًا متكدسًا يتجه ناحية المنطقة الشمالية من المدينة. كانت رؤية كل هؤلاء البشر، بضجيجهم، وروائحهم، وأجسادهم المتعرقة، كالجحيم بالنسبة إليها. سارت بطول شارع "أسمبليا"، بمحاذاة الحواجز تمامًا تجنبًا لازدحام الرصيف. وعندما رفعت رأسها، رأت لافتة مقهى "مورا" الكبيرة. وبمجرد أن دخلت، اقترب "بيلي" منها، كان العرق يكسو جبهته ويرسم دوائر أسفل ذراعيه. سلمها المريول، سائلًا:

– هل ذهبتِ إلى دار المسنين؟

أومأت "فيكتوريا" برأسها.

– كيف حالها اليوم؟

– ثرثارة، كالعادة.

كانت "فيكتوريا" تعرف أن "بيلي" يزور عمتها باستمرار. لكنهما لم يتحدثا كثيرًا عن هذا الأمر. لاحظت أن المطعم مزدحم بالفعل. فالهمهمة تملأ طابقيه ممتزجة بصوت قرع الأطباق. كانت رائحة حبوب القهوة المحمصة تغطي على كل شيء. في طريقها إلى ماكينة الصرف، تجنبت "فيكتوريا" النظر إلى الطاولة التي يجلس عليها عادة "جورج". فقد

كانت تعرف أنها لن تجده هناك. فلم يأتِ بالأمس في أثناء فترة عملها. لكن مجرد التفكير في هذا جعلها تلقي نظرة سريعة. ولدهشتها، وجدته.

خلع الكاتب سماعات الأذن. اتكأ على لوحة مفاتيح اللابتوب ولوح لها. شعرت "فيكتوريا" بالقشعريرة وبسرعة أدارت وجهها بعيدًا، متظاهرة بأنها لم تره. وعند طاولة الطلبات، سألت "مارجو" إن كانت بحاجة إلى مساعدة. ثم ساعدتها بوضع شريحة من الشطائر في الطبق.

قالت "مارجو" وهي تضيف كوب كابتشينو إلى الصينية:

- منضدة رقم 12.

اللعنة، إنها منضدة "جورج". تسمرت "فيكتوريا" مكانها، متسائلة كيف تتصرف.

أصرت "مارجو":

- هل يمكن أن تذهبي بها حبيبتي؟

لم تستطع الرفض. تنهدت، ضبطت الشريطة التي في شعرها. وتمنت أن يكون مظهرها مهندمًا ثم حملت الصينية. كان غباءً شديدًا منها الموافقة على الخروج في موعد مع زبون. فلن تستطيع التخلص منه إذا أرادت. اتجهت نحو المنضدة، وهي تخفض نظرتها، وتحاول السيطرة على ارتعاش يدها. متمنية وجود مرآة على الحائط.

وضعت الفنجان بجوار اللابتوب، وهي تتجنب التواصل بالنظرات. قال:

- من الرائع رؤيتك اليوم.

- أترغب في تحلية يا سيدي؟

تنهد "جورج":

- ما الأمر؟ هل حدث شيء؟

أعادت:

- بديل للسكر؟

- هل أخطأت في شيء؟ تحدثي معي.

- لا أستطيع، فأنا مشغولة.

مال إلى الخلف في المقعد:

- حدث شيء بالأمس.. أردت المجيء إلى هنا، لكن..

قالت كاذبة:

- لا علاقة للأمر بهذا.

- جاءني عمل طارئ في "سان باولو". لا بد أن أذهب إلى هناك الأسبوع المقبل. لكنني غير مرتبط يوم الجمعة، وأود بشدة أن أراك. لسنا حتى بحاجة إلى فعل أي شيء. يمكننا فقط الجلوس ومراقبة مرور الناس بالشارع، أو الذهاب إلى المكتبة، أو..

- لا.

- هل يمكنك تدبر الأمر يوم الجمعة؟

أرادت قول أجل. بالطبع يمكنها. لكنها كانت غاضبة لأنه لم يحضر إلى المقهى بالأمس. استغل "جورج" ترددها وأعطاها منديلًا كتب عليه رقم تليفونه. نظرت "فيكتوريا" حولها وبسرعة أخذت المنديل وكرمشته بين يديها، قبل أن يلحظ أحد. ثم ابتعدت. على أمل ألا يطلب الكاتب شيئًا آخر. طوال الظهيرة كانت تعمل من دون أن تنظر تجاه طاولته. أما هو فقد كان يكتب على اللابتوب بلا توقف، كما لو كان يستفزها. كانت تسمع صوت الكتابة على أزرار لوحة المفاتيح بلا توقف. كيف حافظ على تركيزه؟ في نهاية اليوم، طلب الفاتورة فقدمتها "فيكتوريا" له.

قال وهو يترك بقشيشًا سخيًّا على الطاولة:

- الجمعة، إذن؟

قالت وهي تسير مبتعدة:

- تسعة، ثمانية، ثمانية، تسعة، ثلاثة، واحد، أربعة، ثلاثة، ستة. اتصل بي.

عند طاولة البيع، عدت "فيكتوريا" حتى رقم ثلاثين لتهدأ من ضربات قلبها المتسارعة. وعندما نظرت بقلق، كان "جورج" قد رحل بالفعل. هل جنت لتعطيه رقم تليفونها؟ هل سيتمكن من تذكره بسهولة؟ أم أنها فاجأته؟ فضلت ألا تعرف. حدثت نفسها قائلة إنه كان الدكتور "ماكس" محقًّا عندما قال كلما كانت أقل سيطرة على نفسها، تمتعت بقدر أكبر من الحرية. وهذا شيء جيد. فـ"فيكتوريا" بشخصيتها القديمة لم تكن لتعطيه رقم تليفونها إطلاقًا.

الأشخاص الطبيعيون يقضون أيام الجمع مساءً معًا. ويمكن أن يصبح "جورج" مجرد صديق فقط. أمر عادي مضحك ومبهج. فليس هناك حاجة إلى الاستمرار في رؤية المشكلات حولها في كل مكان. سيصبح الطبيب النفسي والعمة "إيميليا" فخورين بها. فجأة، غمر "فيكتوريا" الحنان تجاه العالم بأسره. حتى إنها كانت على استعداد لمسامحة "أروز"، فهو واحد من أولئك الرجال، الذين يعتبرون تقبيل النساء عنوة أمرًا عاديًّا. ومما لا شك فيه أنه قد تعلم الدرس. ربما حان الوقت للرد على رسائله.

❁❁

كانت السماء البرتقالية تغمر المبنى الإداري في وسط "ريو". قررت "فيكتوريا" الجلوس على مقعد في شارع "لافراديو"، لترى مغيب الشمس خلف الكاتدرائية مخروطية الشكل. وقرابة الثامنة، وصلت إلى البناية، من دون أن تزعجها بارات زاوية الشارع، المزدحمة بمن يشربون بعد انتهاء يوم العمل. في المدخل، التقت مصادفة "جاكسون"، جارها العاهر الذي حقق نجاحه من مقعد بجوار "ستاربكس" في "سينيلانديا"، معتمدًا على كمية كريم الحلاقة الذي يضعه وهو في طريقه إلى العمل.

صعدت "فيكتوريا" السلم سريعًا، متكئة على الدرابزين، مشتتة، تعيد استرجاع تفاصيل اللحظة التي أعطت "جورج" فيها رقمها. المحادثات الهامسة حولهما في المقهى. تعبيرات عينيه الواسعتين، نصف "الكرواسون" فوق الطاولة. سارت حتى نهاية الردهة بينما تبحث عن مفتاحها في الجيب الجانبي لحقيبة ظهرها. توقفت على بعد خطوات من الباب. فقد وجدته مفتوحًا. ومقبض الباب ملقى على السجادة. فكرت في

البداية: "اللعنة، لقد اقتحم لص المكان. فقد زاد معدل العنف وأصبح شائعًا في هذه المنطقة".

دفعت الباب المفتوح بحرص، من دون إحداث أي جلبة. كانت غرفة المعيشة مرتبة. ألقت نظرة حولها. المقاعد في مكانها الصحيح. الدمى على الأرفف، بجوار كتب المغامرات والخيال العلمي. اللابتوب، أغلى ما تملك، في مكانه على الأريكة. ولم تجد شيئًا ناقصًا في المطبخ أيضًا. التقطت أكثر السكاكين حدة من الدرج، واتجهت نحو الباب الجرار الذي يؤدي إلى غرفة النوم الوحيدة. كان مغلقًا، كما تركته. سارت على أطراف أصابعها وفتحت الباب. مستعدة، وجاهزة لأي شيء. فإذا صرخت فسيسمعها الجيران. لكنها لم تصرخ. على الحائط فوق الفراش، كانت هناك رسالة مكتوبة بالخط الأسود العريض، بالطلاء:

أترغبين في اللعب؟

خارت قوى "فيكتوريا" وسقطت على الأرض. تقيأت على جميع ملابسها. لكن سخونة ورائحة القيء الكريه الذي أغرق قميصها منعاها من فقدان الوعي. هل لا يزال بالغرفة؟ سقطت فأدارت خصرها حتى تضبط قدمها الخاطئة، ثم جثمت. حرَّكت السكين لإحدى الجهات. واستندت بكلتا يديها إلى الأرض لترفع جسدها. كان رأسها يدور. التصق شعرها بفمها ووجنتيها المتعرقتين. حاولت النهوض. لكنَّ يديها خانتاها فسقطت مجددًا على الأرض. تلقى صدرها ومعدتها الصدمة. زحفت

"فيكتوريا" نحو الفراش، كشخص يحاول ألا يغرق، انحنت على الملاءة. وجذبت الغطاء. رفعت جسدها قليلًا، مستندة إلى القدم الخاطئة.

برؤية مشوشة، تفحصت الغرفة. لكن لم يبدُ أن شخصًا يختبئ هناك. ربما داخل الخزانة. ثم رأت شيئًا أسود فوق الفراش. على بعد خطوات قليلة منها. وسط الوسائد. يبدو كقطعة كبيرة من الفحم. حدقت إليه، فسقط الدب. كان "أبو". زحفت نحوه وضمته في حضنها. فلطخ الطلاء الأسود الرطب ذراعها المرتعشة.





"لم تصدر "فيكتوريا" رد الفعل الذي توقعته. فبعد ما فعلته، كنت أتوقع أن تفقد السيطرة، أن تشعر بقلة الحيلة، وتستنجد بي في الحال. لكنها لم تفعل. بل على العكس، خاب أملي. لكنني فخور. فأنا أحب التحدي. أحب حقيقة أنها تهزم توقعاتي. فهذا يزيد الأمور إثارة.

أخيرًا، الأمر يتحقق، ولن أتعجله. فقد انتظرت عشرين عامًا. وأعددت كل شيء. فلن أفسده الآن. أمسكت بتليفوني واتصلت برقمها. وأنا لا أنتظر أن تجيب. لكن المهم أن تعرف "فيكتوريا" أنني بالقرب منها. أهتم بأمرها، وأن بإمكانها الاعتماد عليَّ.

فكل هذا جزء من الخطة".

5



عبر شعاع الضوء الوحيد المتسلل من عمود إنارة الشارع إلى نافذة غرفة المعيشة المغلقة، كانت "فيكتوريا" المتكومة على الأريكة تحدق إلى آلية الأقفال التي ركبتها على الباب صباح هذا اليوم. كان عليها تفرغة حسابها المصرفي حتى تدفع ثمن كل ما تريده. خمسة أقفال من ثلاثة أنواع مختلفة. بالإضافة إلى قفل سميك ثلاثي بسلسلة مطلية بالنيكل لتحديد المسافة التي يمكن فتح الباب بها. نوعان من أقفال "تيترا" الطويلة، أحدهما على مستوى العين والآخر بالقرب من الأرضية. واثنان من مزاليج الأمان. وكذلك وضعت أسفل مشاية الترحيب أمام باب الشقة طبقتين من ورق الفقاعات لكشف وصول أي شخص. مما منحها الإحساس بقدر أكبر من الأمان. بالطبع كانت تفضل شراء باب مصفح لكنه باهظ الثمن.

كانت قد قضت الساعات الأولى من صباح الخميس وبقية النهار في تنظيف حوائط غرفة النوم، وغسل "أبو" في الحوض. لقد فركته كثيرًا حتى إن فراءه تمزقت من أسفل إحدى ذراعيه وانسكبت كرات البوليستر الصغيرة التي كانت تملأه. وتحتم عليها جمعها قطعة قطعة وحياكة

"أبو" مرة ثانية. وقد أعادت طلاء الحائط بعلبة الدهان الأبيض التي اشترتها. فظلت الرائحة النفاذة تملأ الشقة حتى يوم الجمعة. نظرت "فيكتوريا" إلى ساعة المطبخ. كانت التاسعة مساء. وقلبها يحدثها أن شيئًا ما على وشك الحدوث.

ترتفع الأصوات القادمة من الخارج كل دقيقة. فليالي حي "لابا" في "ريو دي جانيرو" حافلة دائمًا. البارات مكتظة بخليط من كل طبقات المجتمع وفي متاجر الشطائر وكوكتيل "الكايبرينيا" التي تصطف على طول الشارع، في أماكن موسيقى "السامبا"، موسيقى "الريجي" أو "الفورو". بارات غناء "الكاريوكي" وصالات لعب "السنوكر". من موقعها الحالي، يمكنها مراقبة الباب والنافذة معًا في الوقت نفسه. كانت تشعر بالثقل في جفنيها ورأسها، فلم تنم منذ ثمانٍ وأربعين ساعة تقريبًا. من حين لآخر، تغفو على الأريكة، محتضنة "أبو" الباهت من شدة التنظيف. لكن سرعان ما تستيقظ متعرقة ومرتجفة جراء كابوس مخيف، لفأس تخترق الباب الخشبي، كما في فيلم "البريق" The Shining. كان ألم ظهرها الشديد يغريها باحتساء زجاجة كاملة من "الفودكا". فبالتأكيد كانت ستساعد على تخفيف الألم. لكن من حسن الحظ، لم تعد تحتفظ بزجاجات الخمر في المنزل. ليس بعد أن توقفت عن الشرب. ولقد تناولت بالفعل ما بالثلاجة من بقايا فاكهة وخبز وزبادي. حتى إنها قَلت بالأمس آخر شرائح الدجاج. لهذا سيتحتم عليها الذهاب إلى السوبر ماركت خلال عطلة نهاية الأسبوع، على ألا تشتري زجاجة خمر. وقد وضعت فوق المائدة بوسط الغرفة، على مسافة ذراع، سكين المطبخ

بجوار مطواة الجيش السويسري، وتليفونها أيضًا، مشحونًا تمامًا. في حال إن احتاجت إلى طلب المساعدة.

اتصل "بيلي" عدة مرات مساء الأمس. ربما ساوره القلق لعدم ذهابها إلى العمل من دون تقديم مبررات. كذلك اتصل الدكتور "ماكس" وترك العديد من الرسائل. لأنها لم تحضر جلستي الخميس والجمعة. واستمر "أروز" في الاتصال بلا توقف. تاركًا رسائل صوتية طويلة لم تهتم بسماعها. ورقم مجهول كان يواصل الاتصال منذ مساء الخميس. تذكرت هذا الصباح مقارنته بالرقم الذي كتبه "جورج" على منديل المائدة وتأكدت من أنه هو. لا بد أنه كان يحاول ترتيب موعد اللقاء. لكن بعد كل ما حدث، تبدو فكرة الخروج مع شخص غريب مستحيلة. في الحقيقة، مقابلة أي شخص على الإطلاق مخاطرة كبيرة. كم تمنت لو تبني حائطًا بدلًا من الباب والنافذة التي تطل على الشارع، وتعزل نفسها عن العالم. لكنها لا تملك الاختيار. فقد كانت النافذة وسيلة إستراتيجية للهرب في حال عاد المقتحم. ولو أن هذه بناية فخمة، كتلك التي يشتريها الأثرياء في جنوب "ريو"، لاستطاعت عن طريق الكاميرات في المدخل وعلى السلالم معرفة من دخل شقتها وكتب على الحائط. فكرت في سؤال الجيران، ربما شاهد أحدهم شخصًا غريبًا. لكنها أدركت أنها مضيعة للوقت. فشتى أنواع البشر يدخلون ويخرجون من البناية. "جاكسون" مثلًا، يأتي بالزبائن إلى شقته. وأحيانًا يمكنها سماع التأوهات من خلال الجدار. حتى نالت كفايتها من هذا الأمر. وأصبحت ترفع صوت الموسيقى.

لكنها لا تستطيع تشتيت انتباهها بالموسيقى الآن. كان جسدها يزداد ثقلًا. يصرخ من أجل تناول كأس أو نيل قسط من الراحة. سقطت على الأريكة، وببطء دخلت في هدوء مريح. كانت تقطر عرقًا. لكن في تلك الساعة، الشارع شديد الازدحام. إنها فرصة ذهبية ليعود المقتحم ثانية. لهذا لا بد أن تظل مستيقظة. نهضت وغسلت وجهها في الحوض لتنتعش قليلًا. ثم خلعت بنطالها الجينز وتركته على مقعد المطبخ، واكتفت بالقميص وسروالها الداخلي. شربت كوب ماء وأكلت آخر موزة في طبق الفاكهة، وهي تحاول فك شفرة الضوضاء البعيدة. تليفزيون في الطابق الخامس، صفع باب في الطابق الثالث، همسات صادرة من راديو في الطابق الأرضي، أصوات ضحكات من زاوية الشارع، خطوات ثقيلة صعودًا أو هبوطًا على السلم. الأفضل أن تركب كاميرا في الممر، وفوق الباب، أو في مدخل البناية. ربما عليها الاتصال بـ"أروز" وطلب مساعدته في تركيب نظام أمن في الشقة. سيعرف كيف يفعل هذا. يمكنها أيضًا أن تستعير التيليسكوب منه لتضعه أمام النافذة. كما أنها قد بحثت عن سعر شراء بندقية على الإنترنت. لكن لم يكن سعرها الباهظ هو المشكلة فقط، بل إن هناك صعوبة في الحصول عليها. لا بد أن "أروز" يعرف طريقة سهلة لإحضار واحدة.

عادت "فيكتوريا" إلى الأريكة. كانت ساقها اليسرى تؤلمها. فخلعت ساقها الاصطناعية وحاولت التركيز. في السنوات القليلة الأولى لفقدان قدمها، التي تحتم عليهم بترها لإصابتها بالغرغرينا بسبب السكين، ظلت تشعر بألم الطعن. كما لو أن قدمها لا تزال موجودة. فلم يكن عقلها قادرًا على استيعاب الأمر. لهذا كانت تشكو من ألم سحق قدمها في أحذية

الباليه. وكانت تتخيل وتشعر بأن أظافر أصابع قدمها تنمو حتى تلامس الأرض، وتخترق اللحم. لهذا جرب الدكتور "جواو كارلوس" عدة طرق. حتى تعلمت في النهاية أن تغلق عينيها، وتركز، وتعكس إحساس قدمها اليمنى، الحقيقية، على القدم اليسرى غير الموجودة. بهذه الطريقة، استجاب عقلها، فعندما تقص أظافرها، أو تحك ركبتها بالقدم اليمنى. كان الإحساس ينتقل إلى قدمها اليسرى. وبمرور الوقت، أصبح هذا الأمر أتوماتيكيًّا، مثل غسل أسنانها في الصباح أو رفع شعرها إلى أعلى لربطه بشريطة قبل الخروج. لكن الآن، والحكة تزداد سوءًا في قدمها المبتورة تغلق عينيها لكنها لا تستطيع التخيل. فكل شيء يزعجها؛ الحرارة، وموسيقى السامبا في البار المجاور، وإضاءة غرفة المعيشة الخافتة، والقشعريرة التي تسري في جسدها.

عادت لفتح عينيها. لكنها لم تجد في جزء منها سوى قدم مبتورة تنتهي أسفل الركبة مباشرة. كيف كان بإمكانها رؤية ما فقدته، وعقلها يرفض تصديق الأمر؟ إن العقل البشري مكان مخيف. في الحقيقة، كل الجسم البشري؛ الأمراض، البكتيريا، العدوى الفطرية، السرطان. أقل ما في الأمر أنه ليس موعد دورتها الشهرية. تأهبت عندما سمعت ضوضاء مفاجئة. فقد صعد شخص السلالم ثم توقف في نهاية الممر. فكرت لو أنه "جاكسون" لكان بصحبته زبون. لكن لم يحن منتصف الليل بعد. أنصتت. إنها خطوات شخص واحد. بسرعة، ركبت ساقها الاصطناعية؛ أحدث الأنواع حاليًّا، متعددة المحاور، بفتحات لسهولة الحركة، مرنة. كما أن للتركيب الحديدي الوزن نفسه للقدم الحقيقية. لذلك لا تشعر بفرق

كبير عندما تسير. على مر السنوات، كانت تغير القدم لتناسب عمرها. مثلما يغير الناس نظاراتهم. وعندما حان الوقت لشراء آخر قدم، اختارت الأفضل. بهدوء، اتجهت نحو مقعد المطبخ حيث خلعت بنطالها الجينز. كانت قدمها المبتورة تحترق من الألم. فاعتصرت فخذها اليسرى بكلتا يديها لتوقف الألم، لكن بلا فائدة. كتمت ألمها وهي تعض طرف قميصها. حتى لا تحدث جلبة. ثم اتكأت على المنضدة. وارتدت بنطالها وصرفت انتباهها إلى الممر. لم يكن هناك صوت إدارة مفتاح في باب الجار، ولا حركة على السلم، فقط الصمت، ثم انفجار ورق الفقاعات أسفل المشاية. هناك شخص على الجانب الآخر من الباب.

سحبت السكين واقتربت. أحست من شدة الألم وكأن نملًا سامًّا يزحف فوق قدمها. يلتهم اللحم ويصل إلى العظم. كانت ستسأل من هناك، لكنها تراجعت. وقلبها يخفق. يقولون إن للخوف رائحة وصوتًا. لكنها لم تكن متأكدة. ظلت كما هي. متكئة على الجدار بجوار مفصل الباب. تضع أذنها على القفل. في انتظار أي دليل. لكن لا شيء.

شعرت بالغباء لأنها لم تركب عينًا سحرية! ما فائدة الأقفال والسلاسل والسكاكين إذا لم تستطع رؤية مَن على الجانب الآخر؟ انتظرت مدة. المزيد من فرقعة ورق الفقاعات. ثم صوت تمزق البلاستيك أسفل مشاية الباب. رفعت "فيكتوريا" السكين بإحدى يديها، وأمسكت تليفونها باليد الأخرى. لكن بمن ستتصل؟

قبل أن تفكر في إجابة. سمعت خطوات في الممر. كان المقتحم يبتعد. هل يغادر؟ أم أنه يستعد لتحطيم الباب؟ لم تحتمل "فيكتوريا" ترددها. الذي

ينمو بداخلها كجرحها القديم. هل هو القاتل "الواصم" بعد كل تلك السنوات؟ أم شخص يحاول تقليده؟ أرادت أن تعرف. حاولت عدم إحداث أي جلبة. وبهدوء أنزلت المزلاج، فتحت القفل، وأدارت المقبض. ثم تجرأت وفتحت الباب بقدر قليل يسمح لها برؤية الممر الغارق في الظلام. وسرعان ما رأت ظلًّا ثابتًا عند مقدمة السلم. ظهر رجل يعبث بشيء. هل بمسدس؟ أم أداة لكسر القفل؟ ومن دون تفكير، وبسرعة شديدة اتجهت نحوه مباشرة. ورفعت يدها عاليًا لضربه من الخلف، لكنه استدار. عندما أحس بالهجوم. استغرق عقلها جزءًا من الثانية ليتبين من هو، ثم سقط السكين فجرح يد الدكتور "ماكس" وهو يحاول الإمساك بيد "فيكتوريا". بينما تخفض السكين في الوقت نفسه، غطى الدم يده. نظرت إلى الجرح فزعة، عاجزة عن الكلام. اختنقت بالبكاء. ابتلعت ريقها بعصبية شديدة، ثم اعتذرت. قال وهو يضغط على الجرح بيده الأخرى. وكأن شيئًا لم يحدث:

- لقد ساورني القلق. ماذا حدث؟

نظرت إلى الباب الموارب. وهي تخشى أن يراهما أحد في هذا الموقف الغريب. امرأة مرتعدة، سكين مغطى بالدم، رجل جريح. سمحت لطبيبها النفسي بدخول شقتها. وأغلقت كل الأقفال. أحضرت مطهرًا وضمادات من الحمام وربطت يده بينما تحاول توضيح الأمر. كانت القصة عالقة بحنجرتها. كان حكي ما حدث يجعله أكثر واقعية وخطورة. توقفت "فيكتوريا" للحظة حتى تشرب كوب ماء كما اقترح الدكتور "ماكس". ثم أنهت بشرح ما كتب على الحائط، وكيف ركبت الأقفال على الباب. لكنها اضطربت فجأة، فسألته:

- كيف عرفت عنواني؟

- لديَّ عنوانك. فهو في ملفك بمكتبي.

لم تستطع تذكر أنها ملأت أي استمارة بيانات. لكن ربما فعلت ذلك؛ فحين بدأت العلاج النفسي، كانت شديدة الاضطراب.

- لماذا لم تدق الجرس؟

تنهد الدكتور "ماكس" وشعر بعدم الارتياح. ثم قال وهو ينظر إلى ضمادة يده:

- أنا أتخطى حدودي المهنية بوجودي هنا. لم يكن عليَّ المجيء إلى منزلك. لكنني شعرت بالقلق. فلم تأتِ للعيادة لا أمس ولا صباحًا. ولم تجيبي على مكالماتي. قضيت اليوم مفكرًا فيما يجب فعله. ثم قررت المجيء إلى هنا. لم أكن أنوي الصعود، بل فقط الاتصال على "الإنتركم" و.. التحدث إليك. للتأكد أن كل شيء على ما يرام.

- ليس لدينا "إنتركم".

- أعرف هذا الآن.

- كيف دخلت البناية؟

- لم تكن البوابة مغلقة بشكل كامل. لقد فعلت هذا من دون تفكير. قبل دق الجرس، فكرت في الاتصال بك مجددًا، لمرة أخيرة، ثم خرجت و..

- أنا آسفة للغاية. لم أقصد إيذاءك.

- لا بد أن تتصلي بالشرطة يا "فيك".

- مستحيل.

اتجه نحو الباب. مخلفًا ظهره لها، فحص الأقفال والمزاليج. بدا وكأنه مدخل زنزانة. ثم قال بتردد:

- أنا.. يمكن أن أذهب معك.

كانت "فيكتوريا" تعرف أن هذا تجاوز مهني آخر. عندما لم تجب، سأل الدكتور "ماكس":

- هل يمكن أن أرى المكتوب على الحائط؟

- لقد نظفته.

نظر إليها نظرة غير مفهومة. لم تعجبها نظرة الشك على وجهه. فلم يكن الهذيان جزءًا من تشخيصها. كان يتفحصها كما لو كانت رجلًا مجنونًا يدعي أنه "نابليون". ثم قال أخيرًا:

- أنا أصدقك. لكن لماذا لا ترغبين في الذهاب إلى الشرطة؟

صمتت "فيكتوريا". فبعد المأساة، استغرق الدكتور "جواو كارلوس" جلسات عديدة حتى يقنعها أن موت عائلتها يجب ألا يحدد مستقبلها. وأن عليها تجاوز غضبها العنيف. فما حدث مجرد فصل من فصول حياة "فيكتوريا برافو". وأكد أن الأهم ألا يكون الفصل الأخير. بالطبع، لم يكن الأمر سهلًا. لكنها تعلمت بمرور الوقت كيف تضع الألم والشعور بالذنب في إطاره الصحيح. وأن تتناسى أحزانها وتتوقف عن محاولة البحث عن تفسيرات. حتى تتمكن من السيطرة على عذابها. ولجعل هذا ممكنًا، عزلت

نفسها عن القصة. وتوقفت عن البحث عن اسمها على الإنترنت. لذلك لن تتصل بالشرطة حتى لا تنبش الماضي.

أصر الدكتور "ماكس":

- حسنًا، ما رأيك؟

تنهدت "فيكتوريا":

- كان هذا في الماضي.

- كان تجاهل الماضي هو الطريق الذي اخترتِه لتجاوز الأمر. وقد كان هذا مجديًا. لكن، بالنظر إلى ما يحدث الآن. لا يمكنك الاستمرار بالطريقة نفسها. ببساطة لا يمكنك تعطيل حياتك بسبب كتابة على الحائط. هذا الرجل خطير. إذا كان قد عاد، فعليك حماية نفسك.

- أنا أحمي نفسي.

- بذلك السكين؟ بهذه الأقفال؟ وماذا بعد؟ هل ستشترين مسدسًا؟ ألن تردي على التليفون مجددًا أبدًا؟ هل ستتوقفين عن علاجك؟ وماذا عن حياتك؟ أنت تدمرين نفسك ثانية. كما دمرتها بإدمان الخمر.

- هذا ليس صحيحًا.

- امتلاكك زمام أمور حياتك لا يعني أن تتجاهلي ما حدث سابقًا ومحو كل ما مر بك. بل يعني مواصلة حياتك. وفهمها ومواجهة ذلك. تستطيعين فعل هذا يا "فيك".

لم تشعر بأنها قادرة على فعل أي شيء. صعد ذلك الشعور بعدم الارتياح من جوف معدتها حتى حلقها ثم انفجرت في البكاء. بكاء متشنج، كانت تكتمه بصعوبة شديدة. اقترب منها الدكتور "ماكس" لتهدئتها، ولمس شعرها بهدوء. كان طويلًا وعريض الكتفين، فمنحها حضوره دعمًا قويًّا. ورغم أنها لا تحب أن يلمسها أحد، فقد قبلت هذا العناق.

سألت، ووجهها مخبأ في صدره القوي:

- لماذا نجوت؟

لم يجبها. فقط قادها إلى الأريكة وأجلسها. واحتضنها ثانية. تركت "فيكتوريا" نفسها ترتاح بين أحضانه الدافئة. لامست لحيته الرمادية بشرتها. لاحظت السلسلة الذهبية حول عنقه الأسمر. تنفست بعمق فاستنشقت عطره القوي الذكوري. لبرهة، اندهشت من اقترابهما الجسدي وفكرت في الابتعاد. لكن الدكتور "ماكس" جعلها تشعر بالأمان بدلًا من صدها. فقد كان طبيبها. أراحت "فيكتوريا" رأسها على ساقيه واسترخت قليلًا. قال بحزم:

- يمكنك أن تنامي الآن. فسأقضي الليلة هنا معك.

متعبة، أغلقت "فيكتوريا" عينيها. واسترخت بينما واصل لمس شعرها. أحبت ذلك، فقد اعتاد والدها فعل هذا وهي صغيرة. كانت آلاف الأشياء تعبر رأسها. لكن بالتدريج بدأت هذه الأفكار تهدأ. كأضواء تطفأ واحد تلو الآخر، قبل أن تستغرق في نوم عميق. آخر ما فكرت به أن الخطر الكامن هنا كالحكة التي شعرت بها في ساقها المبتورة، مراوغ وحذر.

6



تكره "فيكتوريا" أقسام الشرطة. وما يميزها من لون، ورائحة، وزي خاص. تكره كل ما يذكرها بصخب صفارات الإنذار المدوي، بحمرة وزرقة لونها. المقاعد الجلدية المليئة بالشقوق والخدوش، قعقعة مراوح السقف. مذاق حلوى النعناع التي أعطاها لها رجال الشرطة في المستشفى حتى تتوقف عن البكاء، وتجيب عن أسئلتهم. عشرون دقيقة وهي تنتظر في مكتب المأمور، دون أن تنجح حالة طقس هذا السبت الرمادي، الملبد بالغيوم برياحه القوية، في تحسين مزاجها. جلس الدكتور "ماكس" بجوارها، قارعًا المنضدة بأصابع يده اليمنى. بينما يريح يده اليسرى بضمادتها فوق ساقه. لا يبدو أنه يشعر بالارتياح في هذا المكان أيضًا. لقد أجرى بدلًا منها بحثًا سريعًا على الإنترنت. وعرف أن "خوسيه بيريرا أكينو" نائب مأمور قسم شرطة "أيها دو جوفيرنادور" عام 1998 كان أول رجل شرطة يصل إلى مسرح الجريمة، بعد أن اكتشفت العمة "إيميليا" الحادث المروع واتصلت بالشرطة. الآن أصبح "أكينو" المأمور في قسم شرطة "هيلاريو" في شارع "جوفيا" بـ"كوباكابانا"، على بعد بضع بنايات فقط من سكن "أروز". ورغم أن "فيكتوريا" لم تدرك تمامًا المغزى من طلب طبيبها المعالج التواصل مع الشرطي نفسه، فإنها وافقت

على فعل هذا. لكن بوجودها في ذلك المحيط، تدفقت ذكرياتها. فبمجرد أن غادرت المستشفى، قابلت رجالًا فارعي الطول، صارمين. كانت العمة "إيميليا" تحتضن جسدها الصغير. وهي تكرر أن أمها وأباها وأخاها قد ذهبوا في رحلة طويلة جدًا إلى السماء. حينها فقط أدركت بعقلها الطفولي أنها قد فقدتهم للأبد، وأنها أصبحت وحيدة. ثم عرفت أن هناك شخصًا مسؤولًا عن كل ذلك، وهو "الواصم". لقد سمعت هذا اللقب عدة مرات، دون أن تفهم معناه. لكنها لا تزال حتى اليوم تراه في أفكارها بتلك الصورة الوحشية الشبابية نفسها وكأنه لم يكبر في العمر إطلاقًا. لكن تفاصيل صورته محيت وكأنها شريط فيديو قديم. كانت "فيكتوريا" تجتر الذكريات عندما دخل الضابط "أكينو" الغرفة وأغلق الباب. نهضت وحيته بإيماءة. قال محاولًا أن يكون ودودًا:

- يا إلهي، لقد كبرت.

عقدت "فيكتوريا" ذراعيها لتوضح أنها لا تريد مصافحته باليد. فصافحه الدكتور "ماكس" بدلًا منها. فلم يبدُ أنه قد شعر بالحرج. حيث دار حول المكتب ثم جلس. تأملته "فيكتوريا". كان أصلع، أمرد الذراعين، تغطي الندبات وجهه كمراهق كان يسحق بثوره، يفتقر إلى الذوق. يرتدي ملابس عادية كسائح يتنزه على الشاطئ، وكأنه ينتظر بفارغ الصبر يوم تقاعده. تراجع "أكينو" إلى الخلف في كرسيه، وعقد يديه على المكتب. ثم حرك رأسه بابتسامة خفيفة قائلًا:

- مذهل.. كم يتغير الناس في عشرين عامًا؟

كان لقاء غريبًا. تلاقت طرقهم في ظروف استثنائية. عندما وصل إلى مسرح الجريمة، كانت العمة "إيميليا" في حالة جنونية، تحتضن "فيكتوريا" الفاقدة للوعي. فقرر مخالفة القواعد. وحمل "فيكتوريا" بين ذراعيه إلى خارج المنزل، لانتظار سيارة الإسعاف التي استغرقت دهرًا. أما الآن فهما كغريبين أجبرا على مشاركة منضدة واحدة في إحدى حفلات الزفاف. تساءلت "فيكتوريا" هل يجب عليها أن تشكره بعد عشرين عامًا. قال:

– اندهشت عندما أخبروني أنك هنا. أعتذر عن التأخير. فقد اتصلوا بي من مستشفى الأم "تريسا"، ليخبروني أن بعض علامات التحسن قد ظهرت اليوم على شاب يعاني غيبوبة منذ عام 2008. إنه مفتاح قضية كنت أعمل عليها منذ مدة طويلة. أتصدقين؟ بعد كل هذه المدة.

قال الدكتور "ماكس":

– يبدو أنه يوم القضايا القديمة.

حرك "أكينو" فأرة الكمبيوتر لتحريك الشاشة. ثم قال:

– لقد طلبت طباعة ملفك الشرطي عندما علمت بمجيئك. لكنني لم أتسلمه بعد.

شعرت "فيكتوريا" بالضيق في نسبه لكلمة الملف إليها. وكأنها السبب في كل ما حدث. لكنها ظلت صامتة. وضبطت شريطة شعرها. فأضاف:

– في الماضي، كان كل شيء يكتب على الورق أمرًا مزعجًا. كانت قضيتك أول قضية كبيرة تسند إليَّ. فلا يحدث أمر مماثل كل يوم. ما زلت أتذكر التفاصيل جيدًا. كيف أخدمكما؟

استدارت "فيكتوريا" إلى الدكتور "ماكس"، وكأنها تقترح ضمنيًّا أن يتحدث هو. لخص الطبيب ما قالته له، بطريقة هادئة ومنظمة. واعتقدت أن ذلك أفضل. كان الأمر وكأنها تشاهد فيلمًا. استمع "أكينو" بإنصات عاقدًا يديه دون أن يقاطعه. ومن حين لآخر، كان ينظر بعينيه نصف المغمضة إلى "فيكتوريا". وعندما أنهى الدكتور "ماكس" حديثه، سأل:

– هل تعتقدين أن "سانتياجو" قد عاد وأنه من طلى حائط غرفة النوم؟

أجابت:

– هل هناك تفسير آخر؟

انتبهت إلى أنها تتحدث لأول مرة منذ بدء الحوار.

– ربما يحاول شخص ما استفزازك. عدو مثلًا. انتشرت العديد من الأخبار عن القضية. والجميع يعرف أن المجرم قد أطلى أوجه الضحايا. ربما شخص يحاول تقليد ما حدث لإخافتك. لقد مر عشرون عامًا يا عزيزتي. لماذا سيعود الآن؟

سأل الدكتور "ماكس" وهو يحاول السيطرة على عصبيته، لكنه فشل:

– لكنه خارج السجن، أليس كذلك؟

– لقد قضى أقل من عام في مركز للأحداث. وعندما بلغ الثامنة عشرة، أقاموا دعوى بالاحتجاز غير القانوني فتم إطلاق سراحه. إنه القانون في هذا البلد. كان "سانتياجو" في السابعة عشرة عندما ارتكب الجريمة.

قال "أكينو" وهو يعبث بدبوس ورق:

- كانت الصلة بينه وبين الضحايا واضحة. فقد درس في مدرسة والديك. ورغم ذلك، ليس هناك معنى لما حدث. كان والدك "ماورو" مدير المدرسة، وبالكاد كانت تربطه علاقة بالطلاب. درس "سانتياجو" بعامه الأول في فصل "ساندرا". وكانت درجاته ممتازة. يقول الجميع إنه كان يحب المدرسة حتى والده.

- هل درس "سانتياجو" في مدرسة "آيكون" منذ صغره؟

- لقد التحق بها في الحادية عشرة من عمره. وفي السنوات التي تلت ذلك، كان يعاقب بسبب الرسم على الحوائط. لم يكن أمرًا خطيرًا. بل أفعال مراهقين. فقد كان طالبًا مجتهدًا. حتى إنه كان يستعد لأداء اختبارات دخول كلية الطب. وعندما ارتكب الجريمة، كان في عامه الأخير بالمدرسة. ولم يجد أحد تفسيرًا لذلك.

- ماذا قال حينها؟

- في التحقيقات؟ لا شيء. لم يذكر دافعًا. لم يفسر لماذا طلى أوجه الضحايا..

أغلق "أكينو" عينيه في محاولة لاسترجاع التفاصيل:

- لقد وجهنا إليه سلسلة من الأسئلة. لكنه لم يقل شيئًا. فقط كان يخفض رأسه. ويتململ بيديه. حتى إنني اقتنعت بأن الوغد مريض نفسي. ولقد تم الكشف عليه ووجدوا أنه يعاني بعض النوبات الذهانية.

- هل هناك أي معلومات عنه منذ تم إطلاق سراحه؟

ترك "أكينو" دبوس الورق على المكتب. واستدار نحو شاشة الكمبيوتر.

- لقد أجريت بحثًا وأنا في طريقي إلى هنا. ليس اسم "سانتياجو نوجويرا أوديلي" اسمًا شائعًا. وعلى "جوجل"، وجدت فقط إشارات إلى الجريمة. وهو ما لدينا على أجهزتنا أيضًا. وطوال هذه المدة، لم يتم تسجيل اسمه في أي محضر للشرطة، لا بتهمة القيادة تحت تأثير الكحول، ولا بتهمة ضرب الزوجة أو أي قضية أخرى من هذا القبيل. لا بد أنه في السابعة والثلاثين من عمره الآن. ومن يدري ربما تزوج وأصبح رجلًا حسن السمعة ولديه أطفال. ما أقصده، أنه لم يبدُ كقاتل قَطُّ عندما كنا نستجوبه. كان هادئًا، رزينًا، كما لو أنه يعيش في عالم صغير خاص به.

سأل الدكتور "ماكس":

- كيف تم القبض عليه؟

- هو من سلَّم نفسه تقريبًا. فقد تلقينا بلاغًا بوجود صبي في المنطقة المجاورة والدماء تلطخ ملابسه. مشطت الدوريات الأمنية المنطقة، وتم إلقاء القبض عليه من قبل إحدى سيارات الدورية. كان يجلس على الرصيف. على ناصية أحد الشوارع القريبة جدًّا من مسرح الجريمة. محدقًا إلى يده الغارقة بالدماء. ولم يصدر أي رد فعل عندما اعتقلوه.

- أليس هناك أدنى شك أنه من فعل هذا؟

- كان يحمل السكين وعلبة الطلاء في حزامه.

- وعائلته؟

- رحلت والدته أو ماتت لا أتذكر. وقد رباه والده "أتيلا". رجل طيب. منغلق على نفسه، مجتهد، موظف مدني على ما أعتقد. ولقد دعم ابنه

بالطبع في أزمته. لكنه لم يقل إطلاقًا إنه بريء أو شيء من هذا القبيل. فقط.. تقبل الأمر. أجل، تقبله.

- هل لا يزال في مسكنه؟

- الأب؟ لا أعتقد. فقد هاجم الناس المنزل حينها، حطموا النوافذ ودهنوا الحوائط. لا بد أنك تدرك الأمر، فليس من السهل أن تكون والدًا لقاتل. فالعائلة بأكملها تصبح مذنبة، وكأن الأمر وراثي.

سأل الدكتور "ماكس"، وسط إعجاب "فيكتوريا" بتحدثه كما لو كان جزءًا من المحنة:

- كيف تستطيع مساعدتنا؟

- سأطلب من شرطي الذهاب إلى الشقة والتقاط صور. ثم سأكتب تقريرًا.

أخفضت "فيكتوريا" رأسها قائلة:

- لقد محيت الطلاء.

- ماذا؟

قال الدكتور "ماكس" مدافعًا:

- كانت محبطة فدهنت الحائط.

تنهد "أكينو" بتعب:

- لقد صعبت الأمر عليَّ يا عزيزتي. ليس هناك ما يمكنني فعله. فقد تم تدمير الدليل على الاقتحام. وبدون اقتحام، ليست هناك جريمة. خاصة إذا لم يكن قد سرق شيئًا ولا هاجمك..

لم تعجبها حدة نبرة صوت المأمور. أبقت رأسها منخفضًا، كطفل تم توبيخه. أرادت الرحيل، والعودة إلى المنزل، وقضاء الأمسية بلا تفكير، لا في الطلاء، ولا الموت ولا أقسام الشرطة.

سأل الدكتور "ماكس":

- هل لديك صور حديثة لـ"سانتياجو"؟

- فقط القليل من صوره القديمة، لكونه قاصرًا، ولم تستطع الجرائد نشرها.

كانت "فيكتوريا" تفضل ألا ترى أيًّا منها مطلقًا. فمجرد التفكير فيه يعيد التشنجات بقدمها المبتورة بقوة. تساءلت إن كان المأمور يعرف أمر ساقها الاصطناعية، وبأمر الجراحة العاجلة. لكنها لا تريد ذكر هذا أمام الدكتور "ماكس". فاستدارت نحوه بقلق وسألته:

- هل نرحل؟

بدا وكأنه لا يريد الرحيل خالي الوفاض، فسأل:

- أليس هناك ما يمكنك فعله؟

- رسميًّا، لا أستطيع التدخل بالأمر. لكنني سأحاول التوصل إلى بيانات الاتصال الخاصة بوالده. لتبحثا إن كان لديه أخبار عن ولده. ربما الأمر برمته مجرد سوء تفاهم.

ظنت "فيكتوريا" أنها فكرة سيئة. على عكس الدكتور "ماكس" الذي ابتهج قائلًا:

- هذا عظيم.

- اتصل بي غدًا وسأخبرك بما توصلت إليه.

عقد "أكينو" ذراعيه ثانية، مشيرًا إلى أن المقابلة قد انتهت. نهضت "فيكتوريا" وأومأت له. واتجهت نحو الباب، وإلى جانبها الطبيب ككلب مخلص. قبل مغادرة المكتب، تجرأت بعد تردد، وكأنها تقول: "وماذا لديَّ لأخسره؟"، فاستدارت إلى الشرطي وسألته:

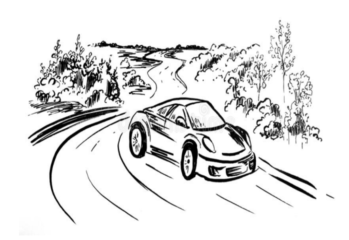
- هل تستطيع التعرف على "سانتياجو" إذا رأيته اليوم؟

فكر "أكينو" للحظة. تنقلت نظرات عينيه بنية اللون بين الدكتور "ماكس" وبينها حتى ثبتها عليها قائلًا بلامبالاة:

- يتغير الناس كثيرًا في عشرين عامًا.



7



تستغرق الرحلة إلى "إجوابا جراندي" ساعتين. استقلا سيارة الدكتور "ماكس" "الكريسلر" طراز 2010 "إس يو في"، التي تشبه حافلة المدرسة الصغيرة، بأبوابها التي تنزلق إلى الخلف، وصندوقها الضخم. وعلى الطريق السريع، كانت "فيكتوريا" تفكر أن سيارة مثلها لا تليق بطبيب نفسي أبدًا. فهي ضخمة جدًّا، براقة أكثر من اللازم. سيارة كهذه تصلح لشخص عائلته كبيرة العدد، لديه ثلاثة أو أربعة أطفال مثلًا. وهي لا تظن أن هذه حالته. حينها أدركت أنها تعرف القليل عنه، فشعرت بالضيق. ففي الجلسات العلاجية، لم يتحدث قَطُّ عن نفسه. ولا حتى ليضرب أمثلة. كانت حياتها هي الموضوع الوحيد المطروح. أمر سخيف أن يحكي الأفراد عن كل الأمور السيئة في حياتهم لشخص وينفذون نصيحته كما لو كان المخلص. في اليوم الأول، لاحظت أن الدكتور "ماكس" لا يرتدي خاتم زواج. مما يعني لا زوجة ولا أبناء. كان يبدو من النوع المنعزل الذي يقضي إجازاته الأسبوعية في القراءة والدراسة بصحبة الكلاب. لكن الآن، وبعد أن رأت هذه السيارة. بدأت تعيد التفكير في نظريتها. مما لا شك فيه أن غالبية النساء تعتبر الدكتور "ماكس" جذابًا. ليس فقط بسبب طوله الفارع، ولكن

لمظهره الأنيق ووجهه المميز أيضًا. فله وجه مريح لكنه جاد، شاب لكن الشعر الفضي يحاوطه. كان الطبيب يقود سيارته مثلما يتحدث بطريقته الهادئة، الرزينة، واليقظة. يستمعان إلى أسطوانة موسيقى جاز. تلفتت حولها بحثًا عن دليل. ليس هناك قذارة على الدواسات. لا ألعاب في المقعد الخلفي. الفرش الجلدي سليم. الصندوق فارغ. إنها سيارة نظيفة جدًّا. خالية مما يميزها. لذلك قررت فحص درج السيارة إذا توقف الدكتور "ماكس" في محطة بنزين للذهاب إلى الحمام. مما فاجأها أيضًا المسبحة المعلقة بالمرآة الخلفية. فلم تتوقع قَطُّ أن يكون متدينًا.

اهتز تليفون "فيكتوريا" في جيبها. فتجمدت. أخفض الدكتور "ماكس" الموسيقى، ثم سأل:

- ألن تجيبي على التليفون؟

كان "جورج". تذكر "فيكتوريا" رقمه.

- أفضل ألا أفعل.

ألغت المكالمة ثم أعادت وضع التليفون في جيبها.

- هل كان دار المسنين؟

- لا.

- أتمانعين إذا سألت مَن كان المتصل؟

- هل سنعقد جلسة هنا بالسيارة؟

ابتسم وهز رأسه. دون أن يرفع بصره عن الطريق.

- نحن نتحدث كصديقين فقط.

- لقد خرجت مع الكاتب يوم الإثنين. اسمه "جورج".

لم يستطع الدكتور "ماكس" إخفاء دهشته. ونظر إليها قائلًا:

- هل أنت جادة؟ لماذا لم تخبريني سابقًا؟

قالت:

- حدث الكثير.. ثم إنه ليس أمرًا مهمًّا.

- ليس أمرًا مهمًّا؟

- لقد اقترح عليَّ الذهاب إلى مطعم قريب فوافقت، وتحدثنا قليلًا ليس أكثر.

- وكيف كانت المحادثة؟

- كانت.. جيدة.

لقد كانت أكثر من جيدة، لكنها لم ترغب في أن يفهم أيًا شيء من ذلك.

قال:

- جيد جدًّا جدًّا يا "فيك". ولماذا تعتقدين أنه قد اتصل بك الآن؟

- طلب مني الخروج ثانية يوم الجمعة. لكنني نسيت بعد كل ما حدث.

- ألم توضحي له الأمر؟

- لا أعرف ماذا يريد مني.

- أن يتعرف عليك بالطبع.

- يتعرف عليَّ؟ لقد أصيب بالصدمة عندما أخبرته بقصتي.

- وكيف توقعت أن يكون رد فعله؟

تجاهلت "فيكتوريا" الأمر.

- هل ترغبين في رؤيته مرة أخرى؟

- لا أعرف.

إنها لا تعرف حقًّا. فالتفكير في لقاء الكاتب وحتى غضب "أروز" يبدو شديد التفاهة الآن. من حين لآخر، تفكر في مزاحها مع "جورج" وحديثهما العادي. لكن هذا يبدو مستحيلًا الآن. قال الدكتور "ماكس":

- أحيانًا يكون التوقف قليلًا عن التفكير أمرًا مفيدًا.

- مَن أكثر صعوبة في العمل بالنسبة إليك؟ أنا، أم ابن مصاص دماء "كاكياس"، أم الصبي الكلب؟

رفع الدكتور "ماكس" حاجبيه:

- لا تتحدثي هكذا يا "فيك".

أمالت رأسها إلى الخلف على المسند، ونظرت عبر النافذة. بينما تتردد نغمات آلات النفخ الخشبية المنخفضة وما يتخللها من صوت "الباز" القوي في رأسها. انتظرت حتى انتهت الموسيقى ثم سألت:

- هل أنت متزوج؟

- لماذا تسألين؟

– هذه السيارة الضخمة لا تناسبك.

– كيف تخيلتِ شكل سيارتي؟

– أصغر. وأنت لم تجب عن سؤالي.

– أنا منفصل منذ فترة.

– هل لديك أبناء؟

– لا يا "فيك". ليس لديَّ أبناء. أفضل ألا نتحدث في هذا الأمر، من فضلك؟

لم تستطع تخيل شكل زوجته السابقة. من المثير رؤية طبيبها كإنسان عادي. في حياته أوقات سعيدة، وأيضًا لديه مشكلات. متى حصل على الطلاق؟ هل كانت زوجته على علاقة بآخر؟ أم هو من لديه عشيقة؟ ربما ليس خطأ أحدهما. بل مجرد مشكلات الحياة العادية. هل كانت "فيكتوريا" مريضته بالفعل عندما تم الطلاق؟ لم تلحظ أي شيء. لم تتغير حالته المزاجية خلال سنوات. كما لو أن غرفة الكشف هي محور حياته كلها. لكنها تبدأ الآن في اكتشاف مناطق أخرى من حياته. إنها تعي جيدًا ما قصده بقول "تجاوز الحدود". لكنها لا تستطيع التوقف عن التفكير في معنى أن تكون في هذه السيارة مع طبيبها على طريق "أجوابا جراندي" لزيارة والد الصبي الذي قتل عائلتها. "أجوابا" مدينة في منطقة البحيرات، مزدحمة في الصيف وعطلات نهاية الأسبوع المشمسة دائمًا. بالمقارنة بـ"بوزيوس" أو "كابو فريو" بما يبدو عليها من اضمحلال. تكثر، على طول ساحلها البحري، البارات الشاطئية الخالية حيث العزف المنفرد للجيتار. وتهالك معدات صالة الألعاب الرياضية، ولون الرمال

المنفر. كانت البحيرة هادئة، بضفافها الموحلة، ومياهها الدافئة والقاتمة. عندما وصلا الشارع الرئيسي في الظهيرة يوم أحد دافئ ومزدحم بالمطاعم التي تقدم الحساء، والمحال التجارية، التي تبيع مثلجات مشكوك في جودتها، ومعدات، ومقاهي الإنترنت والبازارات. نظر الدكتور "ماكس" في الورقة التي كتب بها العنوان الذي حصل عليه صباح اليوم بعد أن اتصل بالمأمور "أكينو". ثم واصلا السير لخمس بنايات أخرى حتى عثرا على العنوان الصحيح. عند المدخل الرئيسي بوابة حديدية خضراء لعدد من المنازل المدرجة البسيطة. قال الدكتور "ماكس":

- المنزل رقم عشرة.

قالت "فيكتوريا":

- حسنًا. هل تمانع إذا ذهبت بمفردي؟

نظر إليها بجدية:

- هل أنت واثقة؟

لم تكن واثقة بل خائفة. لكنها لا ترغب في أن تبدو ضعيفة. فقالت وهي تجبر نفسها على الابتسام:

- من الأفضل ألا نتخطى حاجزًا آخر.

فوافق.

حاولت تهدئة روعها وهي تنزع حزام مقعد السيارة. كانت مطواة الجيش السويسري في جيب بنطالها الخلفي. نظرت إلى يد الطبيب المصابة

التي تستريح على مقود السيارة وشعرت بالذنب. لا بد أن تتحكم في نفسها. لا تنوي استخدام المطواة مع والد "سانتياجو". لكنها لا تعرف كيف سيكون رد فعله تجاه زيارتها.

قالت وهي تفتح باب السيارة:

- لن أتأخر.

وضعت "فيكتوريا" حقيبتها الزرقاء على كتفها وحاولت قدر المستطاع السير بطريقة طبيعية وهي على يقين من أن الطبيب يتابعها بينما تبتعد. فحاولت تجنب التفكير في هذا. دفعت البوابة المفتوحة واتجهت إلى وسط الشارع بمحاذاة المنازل المدرجة. كانت جميعها تتكون إما من طابق أو اثنين. على أحد الجوانب جراج. وفي الواجهة حديقة. معظمها بسياج معدني للحماية، ولافتات كتب عليها "احترس من الكلاب". رغم أنها لم تسمع نباح أي كلب.

كان المنزل رقم عشرة يشبه باقي المنازل تمامًا. خلف البوابة، تلعب فتاة صغيرة لا يزيد عمرها على ثمانية أعوام، في حوض سباحة بلاستيكي للأطفال. وتغطس بطة صفراء بالماء. ذكرها ظلها على الحائط بفيلم الخيال العلمي "مخالب الوحش". كانت تعشق عمل أشكال بالظل وهي صغيرة. لقد علمتها أمها كيف تفعل ذلك بكلتا يديها، فحاكت الكلاب، والأفيال، والطيور. الآن يبدو الشكل المتذبذب على الحائط كفأل سيئ. اتجهت نحو السور وهي تنظر إلى الفتاة الصغيرة. انبعث دخان شواء اللحم برائحته القوية من خلف المنزل. نظرت إليها الصغيرة وسألتها بلطف:

- مَن أنت؟

- هل يعيش "أتيلا" هنا؟

أومأت الفتاة. ثم قفزت خارج المسبح. وهي تقبض بأسنانها على البطة الصفراء. وركضت إلى داخل المنزل. مبللة وهي تصيح:

- أبي!

بعد ثوانٍ، ظهر رجل أسمر، بشرته مجعدة، وشعره أسود طويل، لا شك أنه مصبوغ، عيناه صغيرتان. أنفه المعكوف يوحي بأنه ينحدر من الشرق الأوسط. كان يرتدي نعلًا رياضيًّا، وبنطالًا قصيرًا، وقميصًا خفيفًا بلا أكمام يظهر الشعر أسفل ذراعيه.

قالت بينما يتجه "أتيلا" نحو السور:

- اسمي "فيكتوريا".

قال بجدية بينما يفتح قفل البوابة:

- أعرف. لقد كنت أنتظرك. فلنتحدث بالداخل.

غمر "فيكتوريا" الإحساس بأنها ترتكب خطأً فادحًا. فالماضي جرح عميق، لكنه شفي، وتعلمت ألا تنبشه. لكن هنا، وبمقابلتها لوالد قاتل عائلتها، هي على وشك إفساد كل شيء، وفضح الجرح الدامي الذي لا يندمل. لكن رغم ذلك، عبرت البوابة وتبعت "أتيلا" داخل غرفة المعيشة الصغيرة. كانت هناك فوق التليفزيون سيارة سباق، وفي الركن خزانة صغيرة لمشروبات رخيصة. تجنبت "فيكتوريا" النظر مباشرة إلى الزجاجات، على

الرغم من أن جرعة من الكحول ستهدئ أعصابها. حاولت خلق بعض التباعد العاطفي، وأن تتعامل مع تلك الزيارة كواحدة من الزيارات التي تقوم بها هي و"أروز" إلى بعض البنايات. لكن كان هذا مستحيلًا. مرت الفتاة الصغيرة بجوارهما ثانية، عائدة إلى المسبح بقطعة كبيرة من اللحم في يدها. استمرا حتى غرفة النوم في نهاية الممر. كان هناك سريران، ودولاب قديم، وأريكة مغطاة بالملابس، وأوراق مبعثرة. كانت الغرفة خانقة وفي حالة فوضى. أزاح "أتيلا" بعض الأشياء ليفسح مكانًا قائلًا:

- خذي راحتك.

ثم أغلق الباب. وجلس على طرف الفراش وقال:

- لقد خرجت زوجتي لشراء مشروبات بينما أشوي اللحم وأحرس "فالنتينا". لسوء الحظ، لا بد أن نسرع.

وافقت "فيكتوريا" وهي تجفف يدها المتعرقة. تشعر وكأنها مقتحمة. فحياة هذه العائلة كانت تسير على نحو جيد، حتى ظهرت وأفسدت سلامها. قالت:

- أنا آسفة. لم أقصد إزعاجك.

- لقد اتصل بي طبيبك وأخبرني بما حدث.

لم يستطع "أتيلا" النظر مباشرة في عينيها. فأراح ذلك "فيكتوريا". كانت الغرفة مزينة من أعلى إلى أسفل برسومات بحرية. وفوق صندوق مغلق، أسطوانات قديمة ومسجل.

- لا أعرف شيئًا عن "سانتياجو" منذ سنوات. بعد المأساة، اضطررت إلى الانتقال. كان الجيران يرمقونني بنظرات محتقرة. ويتحرشون بي في الساعات الأولى من الصباح. حتى إنهم هددوا بقتلي. كما لو كنت مذنبًا أنا أيضًا. وجئت إلى هنا لأبتعد عن "ريو". تزوجت مرة ثانية. ولديَّ ابنة في السابعة من عمرها.

قالت "فيكتوريا" متوددة:

- إنها ظريفة.

هز "أتيلا" رأسه:

- لن تصدقيني. لكن "سانتياجو" كان ظريفًا مثلها، مهذبًا، مطيعًا، لم يتلفظ بكلمة سيئة قَطُّ. كنا نعيش في شقة بـ"جاكاربجوا". على مشارف "ريو". أجرتها عندما تركت الجامعة. كنا سعداء هناك. ثم مرضت زوجتي بالسرطان، وماتت في غضون شهور. لقد أثرت خسارتها فينا جدًّا. وكان البقاء في الشقة والحي مستحيلًا. فكل شيء يذكرني بها. كان "سانتياجو" شديد القرب من أمه. حزن عليها بشدة، لكنه لم يرغب في التحدث عن هذا. تعرفين معنى فقدان الأحبة في سن مبكرة.

ابتلعت ريقها قائلة:

- أعرف.

- كنت أحلم دائمًا بالعيش في منزل به حديقة أعتني بها. لهذا بعت الشقة، واشتريت أخرى في "إيلها دو جوفيرنادور" بمنطقة "ريبيرا".

كانت مدرسة عائلتك على بعد بنايات قليلة فقط سيرًا على الأقدام، وكان سعرها زهيدًا. والأمر الجيد أن باستطاعة "سانتياجو" الذهاب بمفرده.

لاحظت "فيكتوريا" أنه لا يشير إليه بكلمة ابني. واصل التحدث:

- كان متفوقًا في الدراسة. ونجح في عقد صداقات. ربما تميزوا بالغرابة والمراوغة قليلًا. لكنني ظننت أنها مجرد سمات مرحلة ما قبل المراهقة التي يمرون بها. يرتدون الأسود، ويستمعون إلى موسيقى الروك الصاخبة، ويثيرون المشكلات بالشارع، بإلقاء البيض على زجاج السيارات الأمامي، وإخافة كبار السن. كنت أظنها أمورًا غير مؤذية.

- هل زرت ابنك في دار رعاية الأحداث؟

قال بعدم ارتياح:

- أجل أحيانًا.

- أحيانًا؟

- لفترة.. كنت أتجنب "سانتياجو". لم يكن الأمر سهلًا عليَّ أنا أيضًا.

- في أثناء الزيارات، عما كنتما تتحدثان؟

- لم نتحدث عما فعله قَطُّ. إذا كان هذا ما تسألين عنه. لقد وضع "سانتياجو" هذه القاعدة منذ البداية. كان دائمًا مغرمًا بالصور. كان يقرأ بنهم في الدار، عن التصميم، العمارة، التصوير. كان يتحدث معي عن هذا. وكنت أستمع إليه فقط.

- هل سأل عني؟ وعن عائلتي؟

- ذات مرة سأل إن كانت حالتك تتحسن. كنتِ لا تزالين بالمستشفى.

- هل تمنى لي الموت؟

- لا، بالطبع لا. كان يشعر بالندم. وفرح عندما أخبرته أنك بخير، وأنك قد غادرت الرعاية المركزة. لم يقل إنه سعيد. لكنني شعرت بهذا.

- متى تم إطلاق سراح ابنك؟

- بمجرد أن تم الثمانية عشرة. في ذلك الوقت، كنت أعيش في شقة أحد الأصدقاء في "ديوك دي كاكياس". وجاء "سانتياجو" ليعيش معي. لكنه كان قد تغير. لا أحد يظل كما هو بعد دخوله الدار. صدقيني فسجون القاصرين أسوأ من سجون البالغين. لم أعد أشعر بأي تواصل بيننا. كان هناك حائط يحول بيننا.

- خارج السجن. هل تحدث عن تلك الليلة؟

هز "أتيلا" رأسه:

- حتى اليوم، أسأل نفسي لماذا فعل ما فعله. لكنني أظن أنه سيظل سرًّا إلى الأبد. ربما لا يستطيع هو نفسه تفسير الأمر. بقدر ما يمسني ما حدث. لكن لا أستطيع فهم الأمر. أن يقتحم صبي طيب منزلًا ذات يوم، ويقتل كل من به بسكين، أين المنطق في هذا؟ لا بد أن شيئًا قد حدث، شيئًا أثر فيه بشدة بالغة. لا بد أن "سانتياجو" كان متورطًا في أمر شديد السوء. ووضع ثقته بالأشخاص الخطأ. لكنه لم يخبرني قَطُّ. ومن أجل سلامتي، قررت مواصلة الحياة. بدلًا من إعادة تكرار ما حدث لمرات ومرات في رأسي. وعليك فعل المثل.

- كان هذا ما أفعله حتى عدت إلى المنزل ووجدت الطلاء على الحائط.

- ربما ليس هو.

كان "أتيلا" يجلس بهدوء. ظهره مشدود، ويداه ثابتتان على فخذيه كرجل حكيم، كالعالِم بكل حقائق البشرية والطبيعة. ساد صمت مقلق. فكرة وجود شخص آخر يستخدم ما حدث لجرحها بدت مستحيلة بالنسبة إليها. لا يمكن ألا يكون "سانتياجو"، حتى ولو لم تفهم دافعه.

- متى افترقتما؟

- كان مجرد يوم عادي. فجأة، استيقظت ولم يكن هناك. كان "سانتياجو" عصبيًّا. قال إنه ترك منبوذًا في السجن. لهذا أعتقد أنه قرر نبذي أنا أيضًا. بعد أن أخذ خمسة آلاف ريال كنت أخبئها في الخزانة.

- كم كان عمره؟

- 19.

- ومن حينها..؟

- ولا حتى اتصال تليفوني.

- أليس لديك صور له؟

- فقط عندما كان صغيرًا.

نهض "أتيلا" وسار حول الفراش، مارًّا أمام النافذة. فتح باب الخزانة وصعد فوق الفراش. ثم بحث في الجوار في الرف العلوي عن شيء ما قائلًا:

- عندما خرج من السجن، كان قد تغير كثيرًا. بدا أكثر شحوبًا. ورفض أن يصوره أحد. وبالطبع لم يكن لديَّ سبب لأفعل هذا.

واصل حديثه، وهو يقف على أطراف أصابعه ليحاول الوصول إلى أقصى اليمين من الخلف. حتى أخرج صندوقًا من الكرتون يكسوه التراب، كالذي يستخدم في تخزين الملفات. احتاج "أتيلا" إلى كلتا يديه لرفعه. أزاح التراب ونزل من فوق الفراش. ثم جلس والصندوق في حضنه. أزاح الغطاء وأخرج صورة ثم قدمها إلى "فيكتوريا":

- التُقطت هذه الصورة بعد تخرجه في المدرسة الإعدادية.

كان "سانتياجو" صبيًّا عاديًّا، تميل بشرته إلى الاسمرار. أنفه الصغير يعلو خطين يشبهان الشق أكثر من كونهما فمًا. لا بد أنه كان في الرابعة عشرة في هذه الصورة. كان اعتزازه بنفسه يلمع في عينيه السوداوين. أمام الخلفية الرمادية، ابتسم للكاميرا ابتسامة كبيرة. وهو يرتدي القبعة والمعطف، حيث يظهر شعار مدرسة "آيكون"، الشعلة الأوليمبية المنمقة، فوق جيبه الأمامي.

قال "أتيلا" وهو يبحث في الصندوق:

- كان سعيدًا جدًّا تلك الأيام.

ثم أخرج دفترًا ثقيلًا. وضع الصندوق جانبًا ثم وضع الدفتر على فخذيه.

- وهذا أيضًا. يوميات كتبها عندما كان في الحادية عشرة، بناء على نصيحة طبيب نفسي. فبعد وفاة والدته مباشرة، تلقى "سانتياجو" بعض الجلسات في عيادة المجلس. ثم توقف عندما انتقلنا من الحي. لكنه واصل

الكتابة في يومياته. قبل أن يرحل مباشرة، طلب مني أن أعطيك الدفتر إذا حدث وجئت. لكنك لم تأتِ قبل الآن.

دفتر متوسط الحجم وسميك، غلافه أخضر اللون، تلونت أوراقه بالاصفرار قليلًا. تصفحته "فيكتوريا". كانت صفحاته بالية ومليئة بالحبر الأزرق.

- يمكنك أخذها. إنها لك.

نهض "أتيلا" وأصابعه تنقر بلا هدف.

- والآن، هل يمكن أن أطلب منك خدمة؟ لا تسيئي فهمي ولكن.. أرجوك لا تأتي إلى هنا مرة ثانية. لقد عانيت بالفعل كثيرًا بسبب كل هذا. لقد بدأت إعادة بناء نفسي. واليوم لديَّ حياة هادئة مع عائلتي. لا أريد سماع المزيد عن هذا.

فهمت ما يعنيه ووافقت عليه. احتضنت الدفتر فشعرت بثقل وزنه. صاحبها "أتيلا" حتى الباب. لم يتفوها بكلمة. لوحت الفتاة الصغيرة لـ"فيكتوريا". وقد ارتدت منشفة وهي ترتجف. وعندما ابتسمت لها، لاحظت أنها تفقد سنًّا. أجاشت هذه التفصيلة الصغيرة عاطفتها. هبطت الشارع المسدود وهي تتصفح الدفتر بنهم لتستوعب كل الكلمات.

في الصفحة الأولى، كتب "سانتياجو" اسمه بالكامل، بالخط العريض، وبحروف منمقة. وفي أعلى كل صفحة، كتب اليوم والشهر والسنة. ثم سقطت صورة على الأرض جعلتها تتوقف. التقطتها "فيكتوريا" ونظرت بها جيدًا. كانت الصورة لثلاثة صبية متعانقين، في قرابة الثانية عشرة من

عمرهم، يرتدون بنطالًا قصيرًا لونه أزرق داكن، وقميصًا باللون البيج طبع عليه شعار المدرسة. في الخلفية، تظهر أراجيح فناء المدرسة. "سانتياجو" على اليمين، لكنها لم تعرف الآخرين. فجأة شعرت بانخفاض في ضغط الدم فجلست على الرصيف. ثم رفعت رأسها وأخذت نفسًا عميقًا. وحاولت تثبيت نظرتها على شيء لتحافظ على وعيها. من على بعد، بدت السيارة في نهاية الشارع كنقطة سوداء. تصفحت المزيد من أوراق الدفتر، بينما تعود ضربات قلبها إلى طبيعتها. كان صدى صوت "أتيلا" يرن بأذنها. لا بد أن "سانتياجو" قد تورط في شيء سيئ للغاية، وضع ثقته في الأشخاص الخطأ. عندما شعرت بتحسن قليلًا، أخرجت مطواة الجيش السويسري من جيبها ووضعتها في حقيبة ظهرها مع الدفتر. ثم سارت نحو السيارة. نظر إليها الدكتور "ماكس" مهتمًّا.

- كيف كان الأمر؟

- لا يعرف أي شيء.

طرف الطبيب بعينيه عدة مرات محبطًا:

- لا شيء؟

- لا.

فضلت "فيكتوريا" ألا تذكر أمر الدفتر لأي شخص حتى تنتهي من قراءته. أحنت رأسها داخل مقعد السيارة، محتضنة حقيبة ظهرها، متلهفة للعودة إلى المنزل.

8



مذكرات "سانتياجو"

الإثنين، 1 مارس، 1993

أكره المدرسة الجديدة، والمنزل الجديد. وأكره هذا المكان المريع الذي انتقلنا إليه. في البناية القديمة، كان يمكنني اللعب مع "لوكاس" و"تاسيو" و"هنريك". الآن لا أعرف متى سأراهم ثانية. كانت مدرستي القديمة أصغر حجمًا وأكثر هدوءًا. مبنى المدرسة الجديدة ضخم وطلاؤه بني اللون. في الحضانة، يركض الصغار المزعجون ويصرخون طوال الوقت. أما الأكبر سنًّا، فالكثير منهم يسبُّ بشكل متواصل، ويرمقونك بنظرات وقحة. أقل ما يمكنني فعله هو رؤية الحسناوات الأكبر سنًّا. فالفتيات في فصلي دمائم يشبهن الفتيان. وحدها "ريان موتا" رائعة، فهي تضع لسانها بين أسنانها بطريقة مذهلة لتنطق اسم عائلتها. عيناها خضراوان، وشعرها طويل يصل حتى خصرها، لكنها لا تشعر بي. اليوم كان والدي سعيدًا للغاية وهو يخبرني أن "تريسينا" ستقلني من المدرسة إذا تأخر في العمل. أخبرته أن بإمكاني الذهاب والعودة سيرًا على الأقدام بمفردي. وانتهى الأمر بأن سمح لي بذلك

لقرب المسافة، بعد أن تعهدت له بأنني سأنظر إلى جانبي الطريق قبل عبور الشارع. كان "إيجور" و"جابريل" سيسخران مني إذا رأوني بصحبة "تريسينا"، وهما أكثر شخصين لا يمكن تحملهما في فصلي. يجلسان في نهاية الفصل ويتحدثان طوال الوقت. لقد أنذرتهما مدرسة الرياضيات باستدعاء ولي أمرهما إذا لم يصمتا، وقد ارتعبا؛ فـ"ساندرا" مخيفة حقًّا. إنها زوجة مدير المدرسة، لهذا يمكنها فصلهما إذا أرادت ذلك. بعد الفسحة، في حصة الجغرافيا، أخذا دبوس رسم من لوحة معلقة على الحائط، ووضعاه على المقعد، وخبآ رأسيهما من الضحك بعد أن جلس عليه "لورو". وفي طريق عودتي إلى المنزل، رأيت "إيجور" يخرج علبة "إسبراي" من حقيبة ظهره وأطلى جدار منزل أزرق اللون قريب من المدرسة. لا أعرف من يعيش هناك. وعندما مررت بجواره، توقف وتلفت حوله. لكنني أدرت رأسي واتجهت سريعًا إلى المنزل. لا أعتقد حتى أنه رآني. أحيانًا ليس سيئًا أن تكون غير مرئي.



الأربعاء، 5 مايو، 1993

اليوم، دخلت آنسة "إكليا"، مدرسة الرسم، الفصل ومعها الكثير من الأدوات. قالت إن عيد الأم قد اقترب، وعلينا صنع صناديق مجوهرات خشبية. وطلبت من كل طالب إحضار صورة لوالدته حتى يلصقها على الغطاء. أخبرتها أن أمي متوفاة، فاحمرت خجلًا ثم طلبت مني صنع واحد لوالدي. عندما خرجت من الفصل، لإحضار المزيد من الغراء، شد "إيجور" بنطال "لورو" بعنف شديد حتى تقطعت أنفاسه واضطر إلى حبس دموعه. لا بد أن هذا آلمه كثيرًا. وقد ارتعبت "ريان"، كم كنت أود أن أحتضنها وأطمئنها، لكنني لم أفعل. ثم بدأ "إيجور" في إلقاء الورق عليَّ. كان هو و"جابريل" يلقبانني بـ"الطفل الصغير". فـ"إيجور" يعتقد أن بإمكانه فعل أي شيء لمجرد أنه أطول وإبطه مشعر. و"جابريل" ينفذ كل ما يأمره به. كان غضبي يزداد، لذلك نهضت ودفعته. حدق الجميع إليَّ. وابتسمت "ريان". أرسلتني المعلمة إلى مكتب المدير الذي يبدو كأنه جثة. لم يفعل شيئًا. فقط اضطررت إلى أخذ ورقة إنذار إلى المنزل. لا أستطيع التوقف عن التفكير في مناداة "إيجور" و"جابريل" لي بـ"الطفل الصغير". أشعر برغبة في قتلهما.



الجمعة، 21 مايو، 1993

حدث شيء مختلف اليوم بالمدرسة. عدت من الفسحة مبكرًا، فوجدت "إيجور" و"جابريل" في مقدمة الفصل، يسحقان الطباشير ويضعان المسحوق في كيس من البلاستيك. طلب "إيجور" المساعدة. ومن دون تفكير، نفذت ما طلبه. ثم صعد "جابريل" فوق أحد المقاعد ووضع مسحوق الطباشير على شفرات مروحة السقف المغلقة. ثم أعطاني "إيجور" الكيس الآخر، وطلب مني وضع المسحوق على المروحة الموجودة في آخر الفصل.

في أثناء حصة اللغة البرتغالية، مررت "ريان" لي ورقة كتب فيها: **"أخبره أن الطقس حار"**. نظرتُ خلفي فغمز لي "إيجور". كانت الرسالة منه. ومرة ثانية، نفذت ما قاله. وعندما فتح المعلم المروحة، تساقط مسحوق الطباشير كالثلج. فضحك الجميع. وأنشد "إيجور" أغنية "عيد الميلاد الأبيض" وشاركه الجميع. فغضب المعلم بشدة. وتم إرسالي إلى مكتب المدير مرة أخرى، ومعي "إيجور" و"جابريل". وأخذت إنذارًا آخر. وأكد المدير الأبله تعرضي للفصل في المرة المقبلة. كان الأمر مضحكًا للغاية. في طريق عودتي إلى المنزل، دعاني "إيجور" إلى زيارة منزله في الغد. وقال إن "جابريل" سيأتي أيضًا وإن بإمكاننا قضاء الوقت في لعب ألعاب الفيديو حتى وقت متأخر.

ليس "إيجور" و"جابريل" سيئين كما كنت أظن.



السبت، 22 مايو، 1993

اليوم، قضيت المساء بأكمله في منزل "إيجور". والدته مختلفة جدًّا عما ظننت. سمينة وهادئة. ضحكتها عالية وثرثارة. لم يكن والده بالمنزل. أعتقد أنهما منفصلان، لكن "إيجور" لا يرغب في الحديث عن هذا. لعبنا على جهاز "ماستر سيستم". وتقريبًا كان "جابريل" يفوز في كل مرة، لأنه يلعب بألعاب الفيديو في منزله أيضًا. بعد الظهيرة، طهت لنا والدته "ناجتس" الدجاج ولم تمانع في أن نتناول معه "الكاتشب". ثم بدأ "جابريل" في التحدث عن أسبوع النشاط في الجبال، في مزرعة بـ"بتروبولوس". وقال "إيجور" إن هذا رائع حقًّا. فسنذهب بحافلة المدرسة، وننام في أسرة بطابقين. لهذا لن يكون هناك إشراف متشدد. وذكر أنه فقد "ع- ف" هناك العام الماضي. ثم سألني إن كنت فقدت "ع- ف". لم أكن أعرف ماذا تعني تلك الأحرف. فأوضح أنها تعني "عذرية فمه". يعني "شخصًا لم يقبل أحدًا من قبل". شعرت بالحرج فكذبت قائلًا إنني فعلت مع إحدى فتيات مدرستي القديمة. لم يصدقاني وبدآ في السخرية مني. ثم سألاني عمن أرغب في تقبيلها من فتيات المدرسة. لم أقل "ريان"، وإن كنت لا أرغب في أن يظنا أنني مثلي أيضًا. ثم قال "إيجور" إنه يستمني كثيرًا وهو يفكر في المعلمات مثل "صوفيا" و"ساندرا" و"لويزا". ضحكا لكنني لم أفهم. دفعني "إيجور" قائلًا إن مظهري يدل على أنني أفعل هذا كثيرًا. ورغم أنني لم أكن أعرف معنى الكلمة، فإنني وافقته ما دام يفعل هو ذلك. أدركا أنني أكذب فضحكا. ثم شرحا بعد ذلك معنى الكلمة. وعندما عدت إلى المنزل، كنت أرغب بشدة في تجربة هذا. فاتجهت مباشرة إلى الحمام.

الأحد، 23 مايو، 1993

قضيت اليوم على الأريكة أشاهد التليفزيون. وظل والدي بغرفته ثم خرج بعد منتصف الظهيرة لمساعدة "تريسينا" في شراء طعام لحيواناتها الأليفة. عندما خرج، ركضت إلى الحمام. كنت أتوق إلى فعل ذلك ثانية. جلست ، وأغلقت عيني، وفكرت في "ريان". كان الأمر مؤلمًا لكنه ألم لذيذ. ظللت هناك لمدة طويلة جدًّا، حتى شعرت بالاحتراق الذي أخبرني "جابريل" عنه. أردت فعل المزيد من هذا، لكنني سمعت طرق الباب الأمامي، فرفعت سروالي سريعًا ومسحت القاعدة لإخفاء الأمر.



الأحد، 13 يونيو، 1993

تركتنا والدة "إيجور" بالمنزل بمفردنا نلعب ألعاب الفيديو وخرجت لمدة طويلة. أوقف "إيجور" اللعبة وسأل إن كنت أرغب في فعل شيء رائع في الحياة الحقيقية. ثم فتح الخزانة وألقى بعلبة "إسبراي" في حجري. لم يسبق أن طلب مني أي منهما أبدًا الخروج لطلاء الحوائط معهما. قال "جابريل" إن عليَّ أداء طقس معين ليسمحا لي بالانضمام إلى فريقهما. خرجنا بـ"الإسبراي" في حقيبة ظهرنا. سألتهما ماذا سندهن. ضحك "إيجور" ولم يجب. بعدها توقف أمام منزل "تريسينا" الكبير، كان ذا سور خارجي منخفض. وكانت الكلاب مربوطة في الفناء الخلفي. قال "جابريل" إننا سنقفز فوق السور. لم أرغب في ذلك، فالمكان مزدحم بالفعل هناك. ربما يراني أحد. خاصة أن منزل مدير المدرسة هو المنزل المجاور لهذا تمامًا. لكنهما قالا إنني لن أنضم إلى فريقهما إذا لم أفعل. فقفزت. بدأت الكلاب في النباح. رأيت قطتين على حافة النافذة الأمامية، إحداهما بيضاء والأخرى سوداء. طلب مني "جابريل" أن أرسم شعارًا لي على الحائط، لكن لم يكن لديَّ واحد بعد. فكرت قليلًا ثم رسمت رقم 22. وهو رقم حظي. كان شعار "إيجور" يشبه صولجان الشيطان. أما شعار "جابريل" فيبدو كمخفوق البيض، رغم أنه يقول إنه سلحفاة. شعرت بالأسف تجاه "تريسينا" وأخبرتهما أنني أريد الانصراف. ففتح "إيجور" حقيبة ظهره وأخرج علبة "إسبراي" أخرى وأعطاها لي. كانت هناك جمجمة على علامتها التجارية. أمسك "جابريل" القطة البيضاء التي تجلس على حافة النافذة وطلب مني رشها. حاولت الرفض. لكنه أصر. فصوبت "الإسبراي" نحو مؤخرتها، لكنني رششت عينيها عن طريق الخطأ. حاولت القطة خربشتي. وعندما أطلقها "جابريل"، ظننت أنها ستهاجمني. لكنها لم

تفعل. فقط كانت تعاني، وتصرخ، حيث غمر الرش الأسود فراءها. لم يكن ذلك طبيعيًّا. نظرت إلى العلبة، من دون أن أفهم ما يحدث. وسألت عما بها. فالقطة كانت ملقاة على ظهرها. تنزف. وتنتفض. قال "إيجور" إن بالرذاذ صودا كاوية. لم أرد. فقط كنت أنظر إلى القطة المتضررة. حين وكزني "إيجور" قائلًا:

- مرحبًا بك في الفريق.

ثم قفز فوق السور وهرب.



9

تسلل ضوء الصباح عبر النافذة، ليرسم نصف دائرة على منضدة المطبخ. سرعان ما اكتملت بمرور الوقت، وغمرت وجه "فيكتوريا"، التي كانت تغط في نوم عميق على الأريكة. ودفتر اليوميات المفتوح فوق صدرها. استيقظت لاهثة، فقد قضت الساعات الأولى من النهار في قراءة يوميات "سانتياجو". كان معظم ما كتب يصف أحداثًا عادية، مثل زيارات الطبيب، عطلات نهاية الأسبوع مع والده، مشاهدة برامج التليفزيون. بثبات، حدقت إلى صورة الصبية الثلاثة بالمدرسة، المدسوسة داخل الغلاف الخلفي للدفتر. لا بد أن الآخرين هما "إيجور" و"جابريل". شعرت "فيكتوريا" بالاشمئزاز من الأجزاء التي ذكر فيها الاستمناء، واقتحام منزل "تريسينا". الرش بالصودا الكاوية؟ إذن لم تكن ألعابهم بسيطة مثل إلقاء البيض على السيارات، كما قال "أتيلا". بل أكثر خطورة. ألم يقرأ مذكرات ابنه مطلقًا؟ الأمر يشبه الغوص في خصوصية عالم شخص قريب منك وبعيد عنك في الوقت نفسه. بالكاد كانت "فيكتوريا" تعرف كل تلك الأسماء، أسماء الجيران، والمعلمين. لقد ذكرها

والداها عدة مرات. انحنت والتقطت تليفونها المحمول من فوق المنضدة الصغيرة. كانت هناك غير رسائل "أروز" العديدة رسالة من الدكتور "ماكس" لتأكيد موعد جلسة اليوم. فأجابت أنها ستكون هناك.

كان التهديد الذي يمثله "سانتياجو" يشبه خطرًا صامتًا وغامضًا. حتى داخل الشقة، كانت "فيكتوريا" تشعر بالعجز. ماذا توقع منها؟ لو أنها قد سمحت لجنون الاضطهاد بالتمكن منها لانتهى أمرها. تمددت، وطقطقت عظامها. وركبت قدمها الاصطناعية القريبة منها. نظرت إلى الدفتر المفتوح على الصفحة التي توقفت عندها. كانت ترغب في مواصلة القراءة، ليقينها أنها ستعثر على شيء. لكنها بحاجة إلى بعض الوقت لتتعافى. فصورة قطة "تريسينا" التي تتلوى من الألم تشعرها بالغثيان. لم تنم كثيرًا، فقط أربع ساعات. لذلك تشعر بتأثير الحرمان من النوم في ذراعيها المتألمتين وجفنيها الثقيلين.

جعلها الحمام الساخن تشعر ببعض التحسن. وتملكتها الرغبة في إخراج الصناديق القديمة من أسفل فراشها. حيث تحتفظ ببعض الأوراق، وألبومات صور العائلة، وتذكارات؛ مثل خطابات من "بابا نويل"، وأرنب عيد الفصح، مع بعض الخيوط لفك اللغز والعثور على الهدايا المخبأة. لكنها ستتأخر. فوضعت المطواة داخل جيب بنطالها وخرجت. كانت منتبهة لمن يسير على الرصيف ولمن داخل سيارته. لكنها فزعت عندما رأت رجلًا يقف على الناصية ويحدق إليها ثم عبر الشارع. انتابتها القشعريرة. دارت حول المبنى لتراه من الخلف بشكل أفضل. وهي تحكم قبضتها بقوة على المطواة. اقتربت على بعد بضع خطوات منه، أدركت أنه مجرد بائع

متجول يبيع الحلوى والعلكة. وعندما رآها، ابتسم بخلاعة وطلب مرافقتها. لكنها ابتعدت دون أن تقول شيئًا.

تأخرت في الوصول إلى عيادة الدكتور "ماكس" خمس عشرة دقيقة. دقت الجرس وانتظرت قليلًا. كانت سترحل لكنه فتح الباب. ظهر الطبيب مهندمًا وحليق اللحية. لم تستطع إخفاء دهشتها، فلم تره من دون لحية من قبل.

قال، وهو يدعوها إلى الدخول:

- أعرف.. أبدو مختلفًا.

سألت، بعد أن لاحظت أنه لا يزال يضع الضمادة:

- كيف حال يدك؟

- تتعافى، لا تقلقي.

لم يغير الوقت الذي قضياه معًا في علاقتهما داخل حجرة الكشف. بدا الطبيب أكثر حيوية وشبابًا، رغم شعره الفضي وتحفظه في استخدام الألفاظ. وللمرة الأولى تلاحظ بعض الرقة به. لم يكن لديها الكثير لتذكره. وما زالت تفضل عدم ذكر أمر دفتر اليوميات. سألها كيف تصرف أمورها الآن، وهي تشعر بأن كل شيء ينهار. فقالت إنها لا تعرف حقيقة ماذا تفعل. فلا تزال تشعر أنها خائفة ومهددة. وليس لديها فكرة عما ينوي "سانتياجو" فعله. واحتمالية عودته تزعجها، وأنها تخشى فقدان السيطرة في أي لحظة.

قال الدكتور "ماكس":

- لقد فقدت سيطرتك في مرحلة سابقة. لكنك تحاولين الآن السيطرة على كل شيء.

- ليتني أستطيع.

ابتسم بتعاطف:

- أعرف. لكن إذا كان هذا مستحيلًا، فسينتهي بك الأمر بالبحث عن تعويض.

- كيف؟

- بالهروب.. لقد تحدثنا عن ذلك من قبل. كان إدمان الكحول نوعًا من الهروب. وغالبًا عائلتك شكل من أشكال الهروب أيضًا.

قالت "فيكتوريا" بغضب:

- موت عائلتي حقيقي. والرسم على حائط غرفة نومي كذلك أيضًا.

- القضية هي ماذا تفعلين بهذه الحقيقة.. أرى أن لديك شخصيتين متنازعتين. من ناحية، أنت امرأة ناضجة، تكسب قوتها وتتحمل المسؤوليات العادية لفتاة في الرابعة والعشرين تعيش بمفردها. ومن ناحية أخرى، أحيانًا تتصرفين كطفلة، تتجنبين الدخول في علاقات عاطفية وتحلمين بعائلة مثالية.

أزعجتها نبرة صوته المهنية. وكانت ترغب في أن تنهض وتلكمه في وجهه. لكنها بدلًا من ذلك سألته:

- ماذا تريد أن أفعل؟

- السؤال هو، ماذا تريدين أنتِ أن تفعلي؟ هل ستحبسين نفسك في المنزل، وتتعاملين وكأنك في الرابعة من العمر، أم ستخضعين للماضي وتتقبلين ما أنت عليه الآن؟

- أتقبل ما أنا عليه الآن بالفعل.

أنزل ساقه:

- هذا صحيح.. أنت لا تهربين من نفسك بل من العالم.

انحنى إلى الأمام وقرب وجهه من وجهها بشدة. ثم واصل التحدث. لكنها لم تعد تستمع إليه. كانت تتلهف على انتهاء الجلسة. وعندما ودعته، تجنبت أي تلامس. ماذا يريد الدكتور "ماكس" في نهاية اليوم؟ أن تواصل حياتها وكأن شيئًا لم يحدث؟ شبح وجود "سانتياجو" يجعل هذا صعبًا. أن تسمح لـ"أروز" و"جورج" باقتحام حياتها؟ لقد شعرت بشيء تجاه الكاتب، لا يمكن إنكار هذا، لكنها لا تستطيع إخباره بما يحدث. فلن يفهم ذلك أبدًا. كانت تعبر شارع "أسيمبليا"، بعد أن غادرت العيادة، فشعرت وكأن هناك من يراقبها. وضعت يدها في جيبها وتحسست المطواة. ثم أسرعت من وتيرة سيرها، من دون أن تلتفت إلى الخلف. وصلت إلى مقهى "مورا" قبل العاشرة ونصف تمامًا، متقطعة الأنفاس. وبمزيج من الاهتمام والفضول، ركضت "مارجو" و"إيلين" نحوها.

أوضحت وهي تخفي معاناتها:

- كان لديَّ بعض المشكلات العائلية.

جاء "بيلي" من المطبخ. واحتضن "فيكتوريا" التي لم تستطع تجنب الأمر. أخبرته بما حدث سريعًا فصدم. لكنها أكدت له أن كل شيء على ما يرام. وطلبت منه ألا يخبر العمة "إيميليا" فستخبرها بنفسها في الوقت المناسب.

تلفتت "فيكتوريا" حولها، لم تكن ساعة الغداء قد حانت بعد. فكان المطعم خاليًا نسبيًّا. فقط خمس طاولات مشغولة. وفي الركن على الطاولة التي يجلس عليها "جورج" عادة، كان هناك رجل وامرأة متعانقين يتحدثان ويضحكان. اتجهت "فيكتوريا" إلى الحمام لتغسل وجهها. وأمام المرآة، لاحظت أنها قد فقدت الكثير من وزنها، فبرز فكها وغارت عيناها، تقريبًا لم تأكل شيئًا خلال الأيام القليلة الماضية. ثم شغلت نفسها بالعمل طوال اليوم وحاولت تناسي مشكلاتها. فركزت على تجهيز الطلبات، وتقديمها على الموائد، والاهتمام بالمخبوزات في الفرن. من المطبخ، كانت تنظر بطريقة عفوية إلى الباب عند دخول أي شخص. لكن لم يظهر "جورج". في السابعة مساء، ودعت "بيلي". ووعدت بالمجيء في الغد. وبينما تعبر الباب، رأت "جورج" يستند إلى عمود إنارة على الناصية الأخرى، ينهي سيجارة. شعرت بالراحة عندما وجدت أنه ينتظرها. لكنها حاولت إخفاء سعادتها. ألقى "جورج" عقب السيجارة على الأرض ووطأه. ثم وضع يديه في جيبيه واتجه نحوها. قال:

– لقد بدأت عملًا حرًّا ولم أستطع المجيء مبكرًا. كنت أنتظرك لأتحدث معك.

– لم أكن أعرف أنك مدخن.

قال وهو يخفض بصره ويقترب منها:

- فقط عندما أتوتر، لماذا تتجنبينني؟

- ليس أمرًا شخصيًّا.

- هل تريدين أن أختفي من حياتك؟

رفعت "فيكتوريا" سبابتها إلى فمها لقضم ظفرها. فواصل:

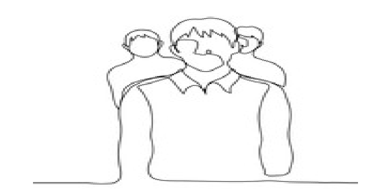
- ظننت أنك معجبة بي أيضًا.

- أحتاج إلى حماية نفسي.

- ممن؟

ملأ طعم الدم فمها. كانت تريد أن تخبره. لكنها لم تستطع. فجأة أزعجها كل ما حولها. الحرارة، والضوضاء، والرصيف الحجري، ورائحة السيجارة التي ألقاها "جورج". ابتعدت عنه، متجهة إلى أسفل شارع "أسيمبليا". ووصلت إلى ميدان "كاريوكا" متعرقة رغم النسيم العليل. وواصلت في شارع "لافراديو" باتجاه "لابا". ومرت من أمام الفنادق الجنسية القذرة، والحانات الممتلئة برجال الأعمال، الذين يستعرضون حياتهم الصاخبة السعيدة. وعندما وصلت إلى المنزل، أضاءت كل الأنوار. خلعت الجينز واستلقت على الأريكة وهي ترتدي القميص محتضنة "أبو"، المعطر بالرائحة اللطيفة التي رشته بها لتخفي رائحة الطلاء. التقطت دفتر اليوميات من فوق المنضدة الصغيرة، وبدأت في قراءته ثانية. وفي الحال، نسيت "جورج"، و"أروز"، والدكتور "ماكس".. كل هؤلاء الرجال، وكل الضغط اللعين الذي مارسوه عليها.

10



يوميات "سانتياجو"

الثلاثاء، 22 يونيو، 1993

لقد بلغت الثانية عشرة اليوم. لا أعرف حقيقة معنى هذا. لكنني أعتقد أنني لم أعد طفلًا. وإن كنت لا أعرف هل أريد أن أصبح بالغًا أم لا. فالبالغون مثقلون بالمشكلات. أشعر وكأنني في الوسط، بالطبع أرغب في أن ينمو بعض الشعر أسفل إبطي وعلى صدري. فبالأمس عندما أراني "إيجور" الشعر بعورته في غرفة تبديل الملابس، تساءلت إن كان هناك خطب بي. لكن حفلة عيد ميلادي كانت رائعة. ساعدتنا "تريسينا" واشترى أبي كعكة، وعلكة، ونقانق، وصودا، والكثير من زجاجات المياه الغازية التي أحبها. حضر كل من بالمدرسة تقريبًا. فيما عدا "لويزا" و"كارول" و"لورو". لا يهم، لم أكن أرغب في حضور "لورو". وأروع ما حدث أن "ريان" قد حضرت، وأهدتني منبهًا يضيء في الظلام.

قبل الحفل، أخذني والدي لقص شعري. واشترى لي حذاء جديدًا يشبه أحذية الجيش. نال إعجاب الجميع في الحفل. حصلت على الكثير من الهدايا؛ قمصان رائعة، ودمى، ولعبة الطاولة. وأهداني "إيجور" علبة

"إسبراي" وطلب مني إخفاءها في خزانتي. كان أول عيد ميلاد من دون أمي. لو كانت هناك، لتجولت في المكان كما اعتادت أن تفعل، لتعرف من أحضر أي هدية فقط لتعرف عمن تتحدث بسوء فيما بعد. عندما حان وقت إطفاء الشمع، طلب مني أبي أن أتمنى أمنية. ففكرت بها.



الجمعة، 25 يونيو، 1993

أعتقد أنني ارتكبت خطأً فادحًا. لا أعرف حتى إن كان عليَّ أن أكتب هذا. كنت في غرفتي، أشاهد التليفزيون وأفكر في "ريان". وفجأة شعرت بالتهيج فوضعت يدي وبدأ الأمر. مر والدي فتراجعت في الحال. لا أظن أنه قد لاحظ شيئًا، لأنه كان بعيدًا جدًّا، بكامل أناقته ينظر إلى نفسه في المرآة. أخبرني أنه على موعد مع صديقة، وسألني إن كنت أمانع في البقاء بمفردي. فكرت، هذا رائع، فسأتسلى مع نفسي بحرية. أغلقت ضوء غرفة النوم. وأبقيت ضوء المنبه الذي أهدته لي "ريان" فقط. وبدأت في ملامسة جسدي. بعدها حدث شيء غريب. بدأت أرتعد. ورأيت سائلًا أبيض لزجًا يخرج. لم يكن بولًا، بل شيء آخر. ظننت أنني سأموت. ارتعبت وأردت أن أبكي. ركضت إلى الحمام. وحاولت إيقافه ورغم أنه قد توقف، فإنني خائف. لا أعرف ماذا أفعل، هل أخبر أبي بما حدث عند عودته. لكن ربما يغضب مني. أعتقد أن "إيجور" و"جابريل" يستطيعان مساعدتي يوم الإثنين. أتمنى ألا أكون قد أتلفته. لن أفعل ذلك ثانية أبدًا.



الإثنين، 28 يونيو، 1993

دفعت اشتراك قضاء العطلة في الجبال. ستذهب "ريان" أيضًا. فقد رأيتها تدفع اليوم. أعتقد أن "لورو" هو الوحيد الذي لن يذهب. لا بأس، لن يفتقده أحد. خلال الفسحة، قال "إيجور" إن علينا الخروج في العطلة المقبلة. وطلب مني إحضار "الإسبراي"، لكنني متردد، فـ"تريسينا" حزينة جدًّا بسبب القطة.. وكذلك أشعر بالسوء في كل مرة أرى القطة تعرج بالحديقة، وتجر قدمها الخلفية، بعد أن صبغ نصفها باللون الأحمر وأصيبت إحدى عينيها بالعمى. ورغم ذلك، أشعر يقينًا بأنها تعرفني. وتعرف أنني من فعلت هذا.



الأحد، 11 يوليو، 1993

اليوم آخر حفلة في أسبوعنا بالجبال. ونهاية الفصل الدراسي الأول. قال "جابريل" و"إيجور" إن "ريان" تعرف كل شيء وإننا سنتقابل. تحممت وأنا أفكر بها. ارتديت أفضل ملابسي. والحذاء الذي أهداه إليَّ والدي في عيد ميلادي.

لاحقًا، جلسنا جميعًا وكنا نحو عشرين في دائرة. وبدأنا لعبة "حقيقة أم جرأة". جلست في مقابل "ريان" تمامًا. فابتسمت لي. وكانت أغنية "الغجر" التي أحبها للمغني "راكا نيجرا" تتردد. "لا تدعي الزمن ينهي حبنا. أفعل كل شيء، المستحيل. وأنت لا تقدرين ذلك". واصلنا تبادل النظرات. لكن الزجاجة اللعينة لم تشر إلى أي منا. انتظرت وانتظرت. قبل "كايو" "تاهي"، وأعطت "ناتالي" "آرثر" قبلة. وقبل "رودريجو" "ليتيثيا". ثم، أدرت الزجاجة فأشارت أن يطلب "إيجور" من "ريان" شيئًا. فاختارت "جرأة" فقال "إيجور":

- قبليني.

شعرت بالصدمة. اقترب منها "إيجور" وقبلها قبلة عميقة أمام الجميع، الذين بدأوا في الصياح والضحك. لكنهما واصلا التقبيل. أعتقد أن الأمر راق لـ"ريان" التي تفاعلت معه بشدة.

نهضت، حطمت كوب المياه الغازية البلاستيكي الذي كنت أتناوله وألقيته على الأرض. وذهبت. كنت أشعر بلهيب حمرة وجهي. وكان جسدي ينتفض من الغضب. تمنيت سحب سكين من الكافتيريا وقتل "ريان" و"إيجور" في أثناء نومهما. ظللت وحيدًا، أبكي مستندًا إلى شجرة.

ثم.. سمعت وقع أقدام شخص يقترب. ظننتها "ريان". لكن لم تكن هي. كان حب حياتي الحقيقي. بالطبع، لم أكن أعرف ذلك حينها. فلم أفكر بها على ذلك النحو من قبل. عندما رأيتها تقترب، حاولت مسح الدموع من وجهي. فلم أكن أرغب في أن يراني أي شخص هكذا. لكن لم يكن الوقت كافيًا. وضعت يدها على الشجرة التي كنت أستند إليها. ونظرت إليَّ من دون أن تقول شيئًا. ثم اقترحت أن نلعب لعبة. وهي أن تخمن سبب بكائي. وقد أصابت من أول محاولة. وكجائزة، طلبت مني أن أعانقها. كان إحساسًا رائعًا، وأصابني تقارب أجسادنا، وثديها البارز، وخفقان قلبها المتسارع، وأنفاسها الحارة على عنقي بالقشعريرة. ثم.. لا أعرف إن كنت السبب أم هي. لكننا كنا نتبادل القبلات. شعرت بلسانها بين أسناني. ووضعت لساني بفمها أيضًا. في البداية، كان الأمر مقرفًا قليلًا. لكنني أحببته بعد ذلك. وبعد برهة، تراجعت وهي تشعر بالحرج الشديد. وقالت إن ما حدث لم يكن صائبًا. ولا بد أن تذهب، فمن الخطورة مواصلة هذا. لكنني رفضت وجذبتها نحوي. وأخبرتها وأنا أتحسس وجهها كم هي جميلة. وأصررت أن تبقى لوقت أطول. فاستسلمت. وطلبت مني أن أسميها "رابونزل". أعجبتني الفكرة. تبادلنا القبلات مرة تلو الأخرى. وشعرت بالإثارة. كان الأمر كالحلم. حلم يقظة. ثم سمعنا الآخرين يخرجون من السكن. فغادرت لتعود إلى الخيمة. وهي ترفع شعرها الطويل من دون أن تلتفت إلى الخلف. بقيت هناك بالظلام لمدة طويلة. وقررت ألا أخبر أحدًا، فليس هناك من يستحق معرفة ما حدث. فضلًا عن أن قول هذا قد يدمر كل شيء. لهذا سأستمر في صداقتي مع "إيجور" و"جابريل". لكنني لن أسامح "إيجور" أبدًا على ما فعله بي. هو و"ريان" يستحقان بعضهما. أما أنا، فلديَّ "رابونزل" الآن. وهذا سرنا.

11



كانت السادسة صباحًا عندما أنهت "فيكتوريا" الصفحة الأخيرة في دفتر يوميات "سانتياجو". بنهاية أسبوع رحلة الجبال في عام 1993، تسارعت الأفكار في رأسها وهي تحاول التوصل إلى ما تعنيه تلك الأحداث، وعلاقتها بالجريمة التي ارتكبها بعد ذلك بسنوات. والأهم، لماذا طلب من والده تسليمها الدفتر؟ أمعنت النظر فرأت قصاصات صفراء، ممزقة، تتدلى من سلك الدفتر الذي تعرض للصدأ. تأكدت من رقم الصفحات الكلي المطبوع على الغلاف الخلفي. فوجدته أربعمائة وخمسين صفحة. ارتابت في الأمر، فعدت الأوراق واحدة واحدة. كانت ثلاثمائة واثنتين وعشرين ورقة فقط. لم تستوعب الأمر. فعدتها مرة أخرى لتتأكد. وبالفعل كانت هناك صفحات ناقصة. ربما يعرف "أتيلا" شيئًا عن هذا. وعلى الرغم من أنه قد طلب منها ألا تتواصل معه ثانية، فإنها أمسكت بتليفونها واتصلت به. ولم تهتم إن كان الوقت لا يزال مبكرًا. فربما كانت المفاجأة وهو لا يزال نصف نائم أفضل. دق التليفون لدقيقة كاملة ولم يجب أحد. أغلقت

الخط ثم أعادت المحاولة ثلاث مرات. وبعدها قررت إعادة الاتصال لاحقًا. دخلت الحمام وتناولت دواءها من دون أن تنظر في المرآة. فلا بد أن وجهها قد تجعد من قلة النوم. وربما ازدادت الانتفاخات أسفل عينيها سوءًا. وبالرغم من ذلك، لن تلجأ إلى مساحيق التجميل. هذا شأنها وحدها ولا يحق لأي شخص أن يعلق على مظهرها.

فكرت في أن تحاول ثانية أن تنام ولو لساعات قليلة، قبل الذهاب إلى العمل. وفي الفراش، أغلقت عينيها لرؤية الأمور من وجهة نظر صبي صغير يلتحق بمدرسة جديدة، يتلهف إلى عقد صداقات، وإلى الوقوع في الحب. لم تمر بتلك التجارب. فقد كانت تتجنب التحدث مع أي شخص في المدرسة دائمًا، ولم يثر اهتمامها أحد. كان باقي الأطفال يتهامسون ويشيرون إليها. وبعض الصبية الأكبر سنًّا نعتوها بالمحاربة لأنها نجت من مأساة عائلية. لم تنجح في النوم. نهضت من الفراش. دخلت الحمام. وشيئًا فشيئًا، بدأت في استعادة توازنها النفسي. فبالإضافة إلى العمة "إيميليا"، و"بيلي"، والدكتور "ماكس"، لديها "أروز" في حياتها. لكنَّ نوعًا من الدفاع المحزن التلقائي يمنعها من أن تفتح له قلبها ولو قليلًا. مسحت وهي تجلس على قاعدة الحمام بالمنديل الخشن فوق الندبات الكبيرة على ساقها اليسرى، أسفل الركبة تمامًا. كانت استجابة نهاية العصب للمس تؤلمها، لكنها كانت تشعرها بأنها لا تزال حية أيضًا. ركبت قدمها الاصطناعية وارتدت الجينز الفضفاض. ثم اتصلت بـ"أروز". الذي أجاب في الحال:

-"فيك"، لقد اتصلت بك عدة مرات هذا الأسبوع.

- "أروز"، هناك من يهددني.

- ماذا؟ مَن؟

- أريد تركيب كاميرات في شقتي. هل تساعدني؟

- أنا.. بالطبع.

قال مضطربًا:

- سأرى ما يمكنني فعله. لكن قد يستغرق هذا بعض الوقت.

- أحتاج إليها على وجه السرعة.

بدا أنه يفكر للحظة، ثم قال:

- يمكن أن أقرضك التيليسكوب حاليًّا.

قالت:

- جيد. قابلني في محطة المترو "سينيلانديا" خلال ساعة.

- يمكنني إحضاره إلى شقتك.

لا تريد "فيكتوريا" هذا.

أصر قائلًا:

- لن تتمكني من تركيبه بمفردك يا "فيك".

تنهدت، ثم قالت:

- اكتب العنوان.



مسح "أروز" نعل حذائه فسفوري اللون في المشاية لتنظيفه من القذارة. وعندما حنى رأسه ليدخل، غطى شعره الطويل وجهه وعينيه. كان الجدار النفسي الذي يحول بينهما واضحًا، فلم يلمسها. ولم ينحنِ ليعانقها أو يقبلها. ولم يسألها عما يحدث. فقط وبدلًا من ذلك، علق على الكتب فوق الأرفف:

- آه، "الدكتور جيكلومستر هايد"، أحب هذه الرواية.

وضع الحقيبة الكبيرة التي تحوي التيليسكوب داخلها على الأريكة. وكعامل تصليح، طلب رؤية صندوق الكهرباء. كان به شيء مختلف. بدا أطول وأكثر نحافة، مثل جذع شجرة ذابل. وجهه شاحب وأسفل عينيه انتفاخات. وقد أطلق لحية خفيفة جعلته يبدو أكبر سنًّا. ظننت أنه ربما أصبح أخيرًا مستعدًّا للتعامل مع سنه الحقيقية. لكنه يرتدي الملابس القديمة نفسها. بنطال قصير "تاكتل" برتقالي اللون، وقميص أسود مطبوع عليه صور المنشور الزجاجي لألبوم "بينك فلويد" المسمى "الجانب المظلم من القمر". وهناك شيء جديد، لقد طلى أظافره باللون الأسود. ربما لم يصل إلى مرحلة النضج بعد.

عندما رأت صديقها في زاوية المطبخ يفحص مفاتيح شقتها، أدركت "فيكتوريا" أن حياتها قد انقلبت رأسًا على عقب. وكأنها في قطار الملاهي لا تستطيع النزول منه. في السابق، كانت شقتها مكانًا مقدسًا يخصها وحدها. لا يستطيع شخص آخر دخولها. لقد زارتها العمة "إيميليا" مرة واحدة، فور انتقالها فقط لتعاينها. ولتتأكد من أن حفيدتها لا تخفي زجاجات الخمر في خزانة المطبخ. أما الآن، وفي أقل من أسبوع، فقضى

الدكتور "ماكس" ليلة معها، والآن "أروز" هنا، يضع يديه على فخذيه ويقيس الأسلاك. لم تكن واثقة في معرفته لما يفعله، لكنها فضلت ألا تسأل. فالمسافة بينهما تقلقها. لكنها رغم ذلك أفضل من حميمية زائدة.

قال "أروز" بعد عدة دقائق:

- سأحضر لك كاميرات. لكنها ستكون واضحة بسبب الأسلاك.

- لا مشكلة.

- هل ستخبرينني بما حدث؟

- لا أعتقد أنني أستطيع.

- هل أخطأت في شيء؟

- ليس بالضبط.

- لقد كنت أرغب دومًا في المجيء إلى شقتك. لكنني لم أتخيل أن يحدث الأمر هكذا.

رفع "أروز" يده وطقطق أصابعه قائلًا:

- لا أحب أن أبتعد عنكِ يا "فيك".

- وأنا أيضًا.

- ولا أحب أن تتصلي بي في وقت الحاجة فقط. فأنا أستحق أفضل من ذلك.

- أعرف.

- هل هناك شخص آخر؟

طرفت عيناها، من المفاجأة. فواصل:

- صديق، خطيب..؟ لم نتحدث مطلقًا في هذا الأمر.

- ما علاقة ذلك بأي شيء؟

- لقد أخبرتني أن هناك مَن يهددك.. واعذريني إذا قلت، إنك من النوع الذي يسيء اختيار الرجال.

حدثت "فيكتوريا" نفسها وابتسامة "جورج" تداهمها رغمًا عنها: "أنا من النوع الذي لا يقع في غرام أحد". يبدو أن "أروز" قرأ شيئًا في تعبيرات وجهها فقال:

- من هو؟

- أرجوك، دعنا نتحدث في أمر آخر.

أومأ برأسه ثم سار في اتجاه النافذة.

أزعجها الصمت فسألت:

- هل ستُركب التيليسكوب؟

- هل تعرفين ما المشكلة؟ أنا أنظر إليك لكنني لا أفهم.. ما حقيقتك؟ كيف انتهى بك الحال هنا؟ مَن أنت يا "فيك"؟

- "أروز" أنا..

رفع يده معلنًا هزيمته:

- أعرف، لا أسئلة. سأركب التيليسكوب.

أشاح بوجهه بعيدًا. ثم ربط شعره الطويل على شكل كعكة وجلس على الأرض. وفتح الحقيبة. أحضرت "فيكتوريا" كوبًا من الحليب لنفسها ثم اتكأت على المنضدة مكتوفة الأيدي. كان "أروز" يركب الأجزاء معًا ويضبط العدسة من دون أي كلمة. من حين لآخر، كان يختلس النظر إليها، بينما يدير بإصبعه النحيلة البكرة أو يثبت الحامل. وبعد ما يقرب من الساعة، نهض "أروز" واقترب منها قائلًا:

- إنه جاهز.

ثم طلب كوبًا من الحليب هو أيضًا.

قدمته له. وسحبت مقعدًا إلى النافذة. ومالت إلى الأمام، ضاغطة على عينها اليسرى في التيليسكوب. فرأت امرأة مشردة تحتضن طفلين وتجلس بالقرب من البالوعة، لتبيع العلكة والحلوى. بعد دقائق، اتجهت نحوها سيدة قصيرة وقدمت لها حساء. أدارت "فيكتوريا" العدسات، وركزتها على محطة البنزين البعيدة على ناصية الشارع. واستطاعت تمييز كل شيء حتى الزي الخاص بالعاملين بها.

ابتسمت إلى "أروز" قائلة:

- شكرًا لك. سيساعدني هذا كثيرًا.

تجرع كوب الحليب على ثلاث جرعات طويلة. ثم قال:

- لقد فهمت، لا تقلقي. أنت ترينني مجرد صديق. لا أكثر.

أشاحت "فيكتوريا" بوجهها بعيدًا. ثم رفعت يدها إلى فمها، لتمزق الجلد بأسنانها، قائلة:

- لا بد أن أذهب إلى العمل يا "أروز".

- سأذهب معك.

تنهدت.

قال:

- لا تقلقي يا "فيك". سأحترم خصوصيتك.

أغلقت "فيكتوريا" باب غرفة النوم لتبدل ملابسها. ثم التقطت دفتر "سانتياجو" المقلوب على وجهه على الفراش. ووضعته في حقيبة ظهرها. وكذلك وضعت المطواة في جيبها، وكأنها تميمة لا تترك المنزل الآن أبدًا من دونها.

في غضون دقائق قليلة، كانت تهبط السلم وتتحدث مع "أروز"، الذي بدا أكثر ارتياحًا. ربما يشعر بالانتصار لأنه قد عرف مكان سكنها أخيرًا. كان يحكي لها قصتين لشخصين شاهدهما عبر التيليسكوب في "كوباكابانا". الأولى عن امرأة تحمل منشارًا أصفر لامعًا، والثانية عن رجل يصل إلى منزله في حلة رسمية، ثم يتعرى أمام المرآة على صوت موسيقى هادئة. وبعدها يرتدي ثوبًا ذهبي اللون. كانت القصتان مسليتين، لكنها ظنت أنه ربما اختلقهما. وعند محطة "كاريوكا"، ودعا بعضهما، وسط الباعة الجائلين، وحاملات الصحف، وقسيس إنجيلي يصيح بالمارة. في مقهى "مورا"، زاد إحساسها بأنها في قطار ملاهٍ وقد بدأت عربتها سلسلة من الحركات اللولبية. وكان "جورج" هناك. على طاولته كالمعتاد، يكتب على اللابتوب.

بعد رحيلها المفاجئ في اليوم السابق. كان لديها أمل في أنه سيبحث عن مكان آخر يكتب به، أو أنه سيتعمد تجاهلها إذا جاء إلى المقهى. لكن ما كان "جورج" لينتقم منها. لقد ابتهج عندما رآها تدخل. لم تستطع "فيكتوريا" المقاومة، وابتسمت له على استحياء. كانت ترغب في الذهاب إليه لتعتذر، لكنها لم تفعل. سأل "بيلي" عن حالها، فأخبرته أنها قد زارت العمة "إيميليا" لكنها لم تخبرها بما حدث. فأكد أن عليها إخبارها في القريب العاجل. وافقت وصعدت لخدمة زبائن الطابق الثاني، ومن هناك، كان بإمكانها رؤية "جورج" وهو يعمل. ولاحظت كم هو وسيم. يهتم بمهنته، عميق ورزين.

عملت "فيكتوريا" طوال فترة المساء حتى لا تفكر. ومن حين لآخر، تنظر إلى أسفل حيث "جورج". وإذا التقت أعينهما، تشيح بنظرها بعيدًا بسرعة. أو يفعل هو وكأنهما في لعبة، وبعد ثوانٍ، ينظر كل منهما إلى الآخر فيضحكان. في قرابة الخامسة مساء، صعد "بيلي" إلى الطابق الثاني ليخبرها بأن هناك مكالمة من أجلها على الخط الأرضي. اندهشت "فيكتوريا"، فمن النادر أن يتصل بها أحد في العمل. ربما الدكتور "ماكس"، فهو من القلائل الذين يعرفون هذا الرقم. هبطت الدرج، ومالت إلى منضدة البيع، ورفعت سماعة التليفون على أذنها.

جاءها صوت على الجانب الآخر:

- "فيكتوريا"، أنا المحقق "أكينو". يجب أن تحضري إلى قسم الشرطة في أقرب وقت ممكن. لقد قُتل والد "سانتياجو".

12



تم العثور على "أتيلا" مقتولًا هذا الصباح. بالأمس، سافرت زوجته "برونا" وابنتهما إلى "ريو دي جانيرو" لإنهاء بعض المعاملات. وعادتا قبل الغداء مباشرة، لتجداه غارقًا في دمائه بوسط غرفة المعيشة. فاتصلت "برونا" بالشرطة في الحال، وحاولت منع ابنتها التي كانت تصرخ وتنتحب من دون هوادة من رؤيته. استمعت "فيكتوريا" إلى تقرير المأمور، بينما تتشبث بحقيبتها على صدرها النحيف، وسط شعورها بالحر بسبب ارتفاع درجة الحرارة، وعدم قدرة المروحة المتهالكة الموجودة في الغرفة على تخفيف إحساسها بعدم الراحة.

عندما توقف المأمور عن الحديث، سألت:

- كيف مات؟

- طعن حتى الموت.

ثم ختم قائلًا:

- وقد تم رش وجهه.

- باللون الأسود؟

- أجل.

تشوشت الرؤية لدى "فيكتوريا"، وعصفت بعينيها الصور المؤلمة لـ"فالنتينا" وهي تلعب بأصابعها المجعدة في حوض السباحة بالمنزل، وهي تعض البطة المطاطية. لقد رأت "فالنتينا" والدها مذبوح الرقبة، وطلاء أسود يسيل من وجنتيه. كانت تعرف جيدًا معنى هذا وتتذكره. فأسرعت بصرف انتباهها إلى نقطة بعيدة حتى تظل واعية. كانت تريد أن تعرف، فسألت:

- كيف حال الطفلة الصغيرة؟

- تحت تأثير المخدر.

عندما أفاقت بالمستشفى، سألت "فيكتوريا" العمة "إيميليا" عن والديها وأخيها. رغم أنها قد شهدت مقتلهم جميعًا، فإنها قد استغرقت بضعة أيام حتى تستوعب الأمر. ربما هذا هو حال "فالنتينا" الآن. كان الشعور بالذنب هو أول ما طفى من طوفان العواطف التي غمرت "فيكتوريا". فبطريقة ما، أحست بأنها مسؤولة عن موت "أتيلا"، وعن معاناة الطفلة. فشعرت بهبوط في ضغطها.

سأل "أكينو":

- لقد تقابلتما يوم الإثنين. أليس كذلك؟ ماذا دار بينكما؟

قالت بلامبالاة:

- لا شيء غير عادي.

بدت الكلمة سخيفة عندما نطقتها.

- لا شيء غير عادي؟ هل بدا متوترًا؟ أو مهددًا؟

- لا، ليس مهددًا. لقد أحسن معاملتي.

- وأنتِ؟ ربما كنت تمثلين مصدر تهديد بالنسبة إليه؟

لم يرق لـ"فيكتوريا" حديثه، فقد أحست وكأنه يتهمها. أمعنت النظر إلى وجهه النحيل، ورأسه الأصلع، ومظهره الغريب البائس. فبدا كشخصيات أفلام الرعب.

- لماذا تسألني هذا السؤال؟

حرك "أكينو" يده بشكل مبهم، قائلًا:

- فقط أريد أن أعرف فيما تحدثتما.

تصببت عرقًا، فلم تكن ترغب في ذكر أمر دفتر المذكرات، حتى لا تصادره الشرطة. فأجبرت نفسها على قول:

- كان "سانتياجو" يظن أن والده قد تخلى عنه بعد خروجه من السجن. ولقد ألقى اللوم عليه بسبب ذلك. لا يعرف "أتيلا" شيئًا عنه منذ سنوات.

- إذن فقد كذب عليك.

فتح "أكينو" ملفًا لونه بيج، موجودًا فوق المكتب، ثم أخرج ورقة قائلًا:

- وفقًا لكلام "برونا"، استلمت الأسبوع الماضي طردًا بريديًّا مرسلًا إلى "أتيلا"، من دون ذكر عنوان المرسِل. قالت إنه كان ثقيلًا جدًّا. وإن زوجها قد فتحه بمفرده في غرفته. لكنها أحست بتغيره بعدها، وبانزعاجه من محتوى الطرد، فحاولت الاستفسار. لكن "أتيلا" أخبرها أنها مشكلته وسيحلها بمفرده. فقررت ألا تضغط عليه. لكن من مدة وجيزة، عندما فتحت خزانة الملابس لتخرج ما سيدفن به، وجدت هذه الملاحظة.

مد "أكينو" يده بالورقة إلى "فيكتوريا". لكنها لم تتحرك فتركها على المنضدة. كان الخط المنمق، المستدير، ذو الأحرف الكبيرة والصغيرة هو الخط نفسه الذي كتبت به المذكرات.

"ستبحث عنك "فيكتوريا" وتأتي لمقابلتك، سلمها هذه وسأتركك في حالك".

نظر إليها المأمور بلامبالاة. كانت عيناه تنسدلان كما لو كان سيغفو. كان عليها قول شيء. فسألت بصوت ضعيف:

- ماذا كان بداخل الطرد؟

قال "أكينو":

- لا نعرف. لقد وجدت "برونا" الورقة فقط، لا بد أنها كانت داخل الطرد. ألم يعطكِ "أتيلا" شيئًا؟

حركت "فيكتوريا" رأسها نافية.

- لم ينفذ المكتوب، لهذا قتل.

- أجل.

- لكن من الغريب أن يختفي الطرد. فإذا لم يكن قد أعطاه لك، فماذا فعل به "أتيلا" إذن؟

- ربما تخلص منه؟

- وترك الورقة؟

- ليس لديَّ كل الإجابات أيها المأمور.

- أين كنت صباح اليوم؟

قالت:

- بالمنزل.

حدثت نفسها: "أقرأ مذكرات سانتياجو".

- هل كان معك أحد؟

- لا.

- وخرجت فقط للذهاب إلى العمل؟

- لقد جاءني صديق في الصباح. هل تشتبه بي، بأي حال؟

قال على نحو غير مقنع:

- لا، بالطبع لا.

- هل أستطيع الذهاب إذن؟

- بعد ما قلته لي.. بعد ما حدث لـ"أتيلا".. فالمشتبه به الوحيد هو "سانتياجو" نفسه.

- إذن لقد عاد.

كان من المريع قول ذلك صراحة. فقد سرت القشعريرة في كل جسدها.

- ربما يريدون أن نفكر هكذا. ما نعرفه هو أن شخصًا ما يحاول الوصول إليك. يدهن حائطك ويرسل إليك شيئًا من خلال "أتيلا".

مال "أكينو" إلى المكتب:

- هل لديك أي فكرة عما يريده هذا الشخص؟

- أعتقد أن عملك هو اكتشاف مثل هذه الأمور.

كانت "فيكتوريا" متعبة. ضربات قلبها تخفق بشدة، وتكاد تغفو. فتكدس الغرفة وقعقعة المروحة المزعجة يزيدان الأمور سوءًا. أزاح المأمور نظارته إلى طرف أنفه، وكتب شيئًا على الكمبيوتر. ثم ضغط على ملف مرتين، وفحص شيئًا بالأعلى والأسفل ثم قال:

- كانت محاولة الحصول على تقرير للقضية كالكابوس. فقد كانت السرية تغلف القضية كونه قاصرًا. وعند إتمام الثمانية عشرة، يتم محو الملف. لكن عندما حصلت أخيرًا على نسخة منه، رأيت شيئًا أدهشني. ربما تستطيعين مساعدتي. هل تعرفين أي شيء عن علاقة والدك بأخته الصغرى؟

- ماذا تعني؟

- كانت عمتك "صوفيا" في الثالثة والعشرين وقت وقوع الجريمة. حاولنا استدعاءها للشهادة، من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد سافرت إلى هناك وهي في الحادية والعشرين، حيث عملت وتزوجت بأمريكي. لكننا لم نتمكن من التحدث معها مطلقًا. أعرف أنها سافرت إلى الخارج بعد مشاجرة مع والدك. لكن لم أتخيل قَطُّ أن يكون هذا سببًا حتى لا تتعاون

مع الشرطة. فقد قُتل أخوها وزوجته وابنهما. وكنت أنت لا تزالين على قيد الحياة. هل تواصلت معك؟

شحبت "فيكتوريا". لم يكن لديها أدنى فكرة عن "صوفيا". قالت:

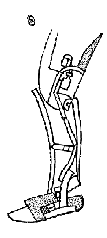
- لم أقابلها قَطُّ.

ثم أضافت بنبرة متعجلة:

- لا بد أن أذهب.

استندت إلى المكتب لتنهض. ورغم ارتعاد ساقيها، فإنها نجحت في مغادرة الغرفة. فجأة، شعرت بفقدان التحكم في تنفسها، وحركاتها. كانت الأمور تتصاعد. طلاء الحائط، موت "أتيلا"، والآن.. "صوفيا". كيف لم تعرف بوجود عمة لها من قبل؟ عن أي مشاجرة يتحدث المأمور؟ نظرت إلى يدها، كانت تقبض بشدة على أربطة حقيبتها. حاولت التشبث بالدرابزين، بعد تعثرها في هبوط درجات السلم الثلاث في طريقها إلى الشارع. أربكها مرور "كوباكابانا"، بأبواق السيارات المدوية، والزحام في كل مكان. هناك من يضحك، ومن يأكل، ومن يتحدث في تليفونه. كانت رائحة الهواء كمياه الصرف الصحي. اغرورقت عيناها وانقبضت عضلات حلقها فشعرت بطعم الدواء في سقف فمها. ارتعد جسدها وهي تحاول عبور الشارع. فجأة أظلمت الدنيا، وقبل أن تفقد الوعي، شعرت "فيكتوريا" بارتطام ذراعها بالأسفلت الخشن الساخن.

13



شيئًا فشيئًا، كانت تستعيد إحساسها بالعالم من حولها. بدءًا بتمييزها لرائحة إيثيل الكحول القوية، والمسكرة، والمغرية، ثم بسماعها لأصوات أوانٍ، وجريان مياه الصنبور في المطبخ، وأزيز المكيف ونسمته العليلة على وجهها، وملمس مختلف لبلاستيك بارد أسفل عنقها وذراعها، بدلًا من نسيج الأريكة المجعد الذي تعتاده. كانت لا تزال تحت تأثير المخدر، لكنها أدركت أنها ليست في منزلها. جلست، مذهولة، تنفست بعمق وتلفتت حولها. كانت مستلقية على أريكة من الجلد الداكن. وقد استراح رأسها على وسادة ممتلئة بالريش. وقد تم لف ذراعها بضمادة. لم تتعرف على الغرفة. غمرها خوف شديد عندما حاولت التفكير في آخر مكان كانت به، ولم تتذكر شيئًا. وقبل أن تستطيع النهوض، ظهر "جورج"، بكوبين ساخنين في يده.

قال مبتسمًا:

- أخيرًا استيقظت. قهوة بالكثير من السكر.

جلس "جورج" على الأريكة وقدم لها أحد الأكواب. مالت "فيكتوريا" جانبًا حتى تتجنب ملامسته. ثم لفت راحة يديها على المشروب الساخن. فاسترخت بسبب الحرارة ورائحة الكافيين القوية.

قال وهو ينظر إلى الضمادة:

- لم تؤذِ نفسك كثيرًا، لا تقلقي.

سألت بتردد:

- كيف جئت إلى هنا؟

- لقد رأيت رد فعلك عندما تلقيت المكالمة في المقهى وقررت الذهاب خلفك.

- هل تبعتني من وسط المدينة حتى "كوباكابانا"؟

- رأيتك تستقلين سيارة أجرة، فأخذت آخر خلفك.

أخفض عينيه، قائلًا:

- أنا آسف، ربما يبدو هذا غريبًا لكن.. كنت قلقًا بشأن ما قلته. بخصوص حاجتك إلى حماية نفسك.

نظرت إليه "فيكتوريا" في صمت. لم تعرف ماذا تقول. فاضطر "جورج" إلى الاسترسال:

- انتظرت بجوار قسم الشرطة. وعندما خرجت، كنت شاردة، حتى إنك لم تريني. وفجأة سقطتِ مغشيًا عليك على الرصيف. بعد وقت قصير، استعدت وعيك. لكنك كنت مضطربة جدًّا فأعطيتك مهدئًا واستقللنا سيارة أجرة. ألا تتذكرين؟

كان كل شيء مبهمًا، ومتداخلًا. عادت إليها بعض الصور، ثم تلاشت. لقد تعرضت لإغماءات من قبل، بخاصة، عندما كانت تحتسي الخمر الرخيص بإفراط. واصل حديثه:

- خرجت لشراء ضمادة. وعندما عدت، كنت تغطين في سبات عميق. لم تستيقظي حتى عندما بدلت الملابس.

تأملت غرفة المعيشة من حولها. كانت متواضعة، وتفتقر إلى الذوق. لكنها تناسب رجلًا يحاول إعادة بناء حياته بمفرده. في أحد الأركان، مجموعة من الأرفف البسيطة المليئة بالقصص، إلى جوار مكتب معدني وكرسيين من البلاستيك. في المنتصف، إضاءة صغيرة، وسجادة بالية، وأريكة سريرية غير مريحة على الإطلاق، وستائر معتمة على النوافذ.

قال "جورج" وهو يضع كوبه على الأرض بجوار كوبها:

- مرحبًا بك في منزلي.

بالتدريج بدأت تتذكر حديثها مع المأمور. لقد مات "أتيلا"، ربما قتله ابنه. لوالدها أخت صغرى لم تسمع عنها من قبل. أم أنها نسيتها لأنها كانت صغيرة جدًّا حينها؟ وإذا كان هذا هو الحال، ماذا حدث في الماضي أيضًا وحاول عقلها محوه، إما بسبب صغر عمرها أو كنوع من حماية نفسها؟ ولماذا لم تحدثها العمة "إيميليا" قَطُّ عن "صوفيا"؟ أرادت أن تنهض لكنها تمهلت، وفحصت وجه "جورج". لطالما كرهت التواصل بالعيون. لكن معه الأمر مختلف، حيث لا وجود لحسابات، أو قيود.

بعد برهة سأل:

- هل رأيت فيلم "شبح الأوبرا"؟

- أجل، لماذا؟

- وجهك. يشبه استيقاظ "كريستين" في مخبئها في سراديب الموتى بالمسرح.

رفعت "فيكتوريا" حاجبيها بشكل ساخر، ثم مازحته قائلة:

- وماذا تخفي وراء قناعك؟

- وجه محترق؟

- في الواقع، لا أعرف إذا كنت أرغب في أن أكون الشبح. فلم ينتهِ به الحال مع "كريستين".

شعرت بالإحراج فأشاحت بوجهها بعيدًا. نظرت نحو الردهة وحاولت تقدير حجم الشقة من طولها. هناك فيما يبدو غرفتان أو ثلاث. لكنها لا تعرف في أي جزء من المدينة تقع. قال "جورج":

- لا بد أن أكون صريحًا معك. عندما فقدت الوعي، اضطررت إلى البحث في حقيبتك حتى أعثر على تليفونك المحمول. كنت سأتصل بشخص ما.

- ثم..؟

- وجدت دفترًا بداخلها. ظننته لك. ثم رأيت الاسم "سانتياجو". أعرف أنه الصبي الذي قتل عائلتك. وقد كتب في الجرائد أن والده قد قتل. لماذا تحملين هذا معك يا "فيك"؟

شعرت بالصدمة.

- هل قرأت المذكرات؟

تململ في جلسته متوترًا، ثم اعترف:

- لقد نظرت بها.

- لم يجدر بك فعل هذا. ليس هذا من شأنك.

أرادت أن ترحل. تحسست جيبها، لم تجد المطواة. حاولت النهوض بعصبية. وكأنه قرأ أفكارها. التقط "جورج" شيئًا من فوق المنضدة الصغيرة، وكان المطواة. قالت:

- إنها لي.

قدمها لها فاختطفتها، ثم جلست باعتدال. قال وهو يميل لاحتضانها:

- لا أعرف بالضبط ما ورطت نفسك به، لكن يبدو أنه أمر خطير. لهذا أريد أن أساعدك.

تجنبته "فيكتوريا"، والتفت مستجمعة قوتها لتنهض قائلة:

- لست بحاجة إلى المساعدة.

واصل حديثه:

- استمعي إليَّ. لن تحميك مطواة.

- إذا لم تتركني أذهب، فسأؤذيك.

رفع ذراعيه مستسلمًا. واتجه نحو الباب ثم فتح القفل قائلًا:

- يمكنك المغادرة إذا أردت. لكن اسمعيني أولًا.

لم ترغب في سماع أي شيء، فنهضت ووطأت بقدمها الأرض. وفي الحال شعرت ببرودة. وعندما نظرت إلى أسفل. رأت قدمها العارية تبرز من بنطالها الجينز. بجانب قدمها اليمنى بأظافرها المقطوعة العارية، ورأت قدمها الاصطناعية البيج. بالتشققات السخيفة التي تشبه الأصابع.

قال "جورج":

- لقد خلعت حذاءك حتى تشعري براحة أكبر.

واصلت خفض رأسها. غلبتها الرغبة في البكاء، والصراخ، واحتساء الخمر. قال "جورج":

- كنت أعرف سلفًا. لاحظت شيئًا غريبًا في طريقة سيرك بالمقهى. وبعد موعدنا، أجريت بحثًا. فوجدت إحدى الجرائد التي تعود إلى تلك الفترة، وقد ذكرت أنك خضعت لجراحة. فتعمقت في البحث حتى عرفت بأمر البتر. لقد زاد إعجابي بك. وجعلني هذا أفكر كم أنت امرأة مذهلة. فبعد كل ما حدث، أنت هنا، قوية.. وجميلة.

شعرت "فيكتوريا" بحرج. ولفت ذراعيها حول جسدها، وسحبت الضمادة بسبابتها. أضاف "جورج":

- ليس هناك حاجة إلى الشعور بالحرج.

اقترب منها، ثم جلس على الأرض، وعقد ساقيه، ورفع رأسه لتلتقي أعينهما:

- الحقيقة أنني كنت أشعر بالتعاسة دومًا، وبأن الحياة لم تنصفني. كنت محبطًا في طفولتي. لكن لا شيء.. لا شيء يقارن بما عانيته. وبعد أن

قابلتك، شعرت بالخجل من انغلاقي وشكواي من الخيانة التي تعرضت لها.. لقد جعلتني إنسانًا أفضل يا "فيك". وهذا كل ما نبحث عنه، أليس كذلك؟ أن نجد شخصًا يجعلنا أفضل؟

أغلقت "فيكتوريا" عينيها، لتنساب دموعها على وجنتيها. لم تكن مستعدة لذلك، وتحديدًا الآن. كيف تعجب بشخص في موقف سخيف كهذا؟ هذا خطأ. أرادت قول هذا له، لكن هربت منها الكلمات. واصل حديثه:

- لن أكون دراميًّا وأقول إنني لن أدعك تتركينني. فأنت تعرفين أكثر من أي شخص أننا قادرون على الاستمرار وإعادة اكتشاف أنفسنا. لكنني معجب بك حقًّا. لقد شعرت بثقتك بي عندما أخبرتني عن حياتك. وجعلتني أرى وجهًا آخر لمواجهة المشكلات. ليست ساقك الاصطناعية نقطة ضعفك بل قوتك.

اقترب منها ورفع قدمها اليسرى وأراحها على ركبته. ثم سحب ساقها من الجينز. كاشفًا كل الهيكل، بوصلاته الآلية وحشواته. وقبل أن تستطيع "فيكتوريا" الابتعاد، انحنى "جورج" وقبل قدمها البلاستيكية. ابتسم لها، ثم عاود إلى الساق مرة أخرى. وببطء، حرك وجهه إلى أعلى كما لو كان يعطيها العديد من القبلات الصغيرة. وكأنها تستطيع الإحساس بقبلاته.

ظلت "فيكتوريا" جامدة. لا تعرف كيف تتصرف. كان يجثم على صدرها حمل ثقيل، مما تتعرض له. لكن مر وقت طويل جدًّا منذ أن اهتم بها أحد. يعرف "جورج" سرها الذي لا يعرفه أحد تقريبًا. وفي نهاية يوم كهذا، لا يبدو ذلك سيئًا.. عندما واصل "جورج" قبلاته لأعلى ركبتها، شعرت بلمسته عبر بنطالها، بضغط فمه اللطيف، وببصمة شفتيه

الرطبة. اقترب منها أكثر. ودون أن ينبس ببنت شفة، عانقها. شعرت بنفسه على مؤخرة عنقها، وبخفقان قلبه. فانتابتها رعشة. أدار "جورج" وجهه نحوها. كانت تريد تقبيله بصدق، لكنها لم تفعل ذلك من قبل.

حاولت أن تتحدث:

- أنا..

جذبها "جورج"، وألصق وجهه بوجهها قائلًا:

- أريدك يا "فيك".

تلامست شفاههما، بهدوء ثم بشغف. كانت حرارتها تزداد. عاجزة عن التصرف. احتضنها، وبلطف، لمس وجهها بيده اليمنى. ثم أدار فمه إلى أذنها وهمس ثانية:

- أريدك يا "فيك".

ثم قبل عنقها، وبمزيد من الإصرار، عاد إلى تقبيلها في فمها.

- اهدأ.

قالت بلطف وهي تبعده. ثم أخرجت زفيرها، بعد أن أدركت أنها كانت تحبس أنفاسها. لأقل من دقيقة بدت كساعة، تبادلا النظر في صمت. وعندما تحرك نحوها ليقبلها ثانية، نهضت، وهي لا تزال تشعر بدغدغة على شفتيها. أشاحت بنظرها عنه، فرأت مذكرات "سانتياجو" على المنضدة الصغيرة. وضعتها في حقيبة ظهرها ومسحت بيدها على وجهها، وهي تستعيد هدوءها شيئًا فشيئًا. قال:

- آسف.. لم أقصد إزعاجك.

- يجب أن أعود إلى المنزل.

استندت "فيكتوريا" إلى الحائط لترتدي حذاءها، وتضبط شعرها. وهي تتجنب النظر إليه. رغم إحساسها بأن هناك شيئًا جديدًا وقويًّا يحدث بداخلها. لكنها لا تعرف ما هو، ولا تفضل إظهار عواطفها. بالإضافة إلى شعورها بالخدر في كل جزء لمسه من جسدها. سأل "جورج":

- هل سأراك مرة ثانية؟

حدثت نفسها: "أتمنى هذا"، لكنها قالت:

- لا أعرف.

- يمكننا الذهاب إلى السينما غدًا؟

֍֍

صفعت "فيكتوريا" الباب. وانتظرت وصول المصعد إلى الدور السابع. كانت ردهة البناية الضخمة تضم عشرات الشقق في كل طابق. في البهو، ضغطت زر فتح باب المدخل، وعندما تنفست نسيم هواء منتصف الليل الحار الرطب بالشارع، فتحت الخريطة على تليفونها حتى تحدد مكانها. يعيش "جورج" في وسط أحياء "كاتيت" و"جلوريا". لقد أخبرها بهذا في موعدهما الأول. لكنها قد نسيت. طلبت سيارة أجرة من أحد التطبيقات، وفي غضون دقائق قليلة، كانت بالمنزل. تركت المطواة بجوار الحوض، وخلعت ملابسها بينما تنظر لمظهرها المريع في المرآة، ببشرتها البيضاء التي شوهتها الضمادة، بشعرها الأشعث، وعينيها الغائرتين. استغرقت

وقتًا طويلًا في الحمام وهي تفكر فيما حدث، وفي غرابة أن تنال قبلتها الأولى وسط تلك الأحداث العارمة. لكن استعادة صورة "جورج"، بوجهه الهادئ، برائحته التي تشبه رائحة القهوة، بنظرة عينيه المخلصة عندما تحدث عن ساقها الاصطناعية، جعلتها تهدأ. وبينما تجفف جسدها، خلصت إلى أن جلد الذات غير مُجدٍ، فنحن لا نختار ما حدث. ارتدت منامتها، بشعور نادر بالسعادة. استلقت وأغلقت عينيها لكنها لم تستطع النوم في الحال. أهكذا يكون الوقوع في الحب؟ تلك الحرارة المنبعثة من مكان لا نعرفه، الرأس المثقل بالأفكار والقلب الجامح؟ "أريدك يا فيك". لم تسمع هذا الكلام من قبل. فجأة، تضاءلت جميع مشكلاتها.. ربما ليست حياتها سيئة في النهاية. ربما بإمكانها أن تصبح سعيدة.





"تحطم الحواجز، تبادل المشاعر، التقارب من دون اندفاع زائد. كانت هذه هي اللعبة المعقدة التي تلعبها معي "فيكتوريا". تتقدم خطوتين ثم تتراجع خطوة، ثم تتقدم أخرى، وتتراجع. الآن نحن أفضل من أي وقت مضى. كل شيء يسير وفق الخطة. فقد ذهبت لمقابلة المأمور، وتقرأ اليوميات. بالتدريج ستصبح أكثر صراحة معي، تثق بي، وتستسلم لي. وإن كان هناك للأسف بعض الأمور التي لا تزال تخفيها، وتفضل الاحتفاظ بها لنفسها. لكنني متفهم. وإن كنت أرغب في الوصول إلى التقارب الحميمي، إلى ذلك العالم الغامض. وعندما أفعل، ستفهم كل شيء، ولن يكون هناك سوانا، نحن فقط".

14



وصلت "فيكتوريا" إلى دار المسنين بعد العاشرة والنصف صباحًا. كانت العمة "إيميليا" قد انتهت من الاستحمام بالفعل. من على الباب، تأملتها وهي تجلس في فراشها، وتحل الكلمات المتقاطعة. وفوق رأسها تمامًا صليب برونزي. حاولت تهدئة نفسها رغم صعوبة ذلك. بالأمس استغرقت في نوم هادئ جدد نشاطها. كما جعلتها رسائل "جورج" الثلاث؛ تحية الصباح، والقلوب الصغيرة، واقتراحات بأسماء أفلام يشاهدانها هذا المساء، في حالة مزاجية جيدة. لكنها سرعان ما تذكرت أن اليوم هو الأربعاء، ولم يكن من المجدي تأجيل المواجهة، أو محاولة حماية العمة "إيميليا". فالكثير من الأشياء تتضح. ولا بد أن تكون مستعدة ومتيقظة. دخلت الغرفة ووضعت حقيبتها جانبًا. ثم قبلت جبهة عمتها، وابتسمت لها، لتمنح نفسها بعض الوقت. كان الجو خانقًا، لكن يبدو أن العمة "إيميليا" لا تهتم.

قالت، بضيق:

- لا أستطيع إيجاد كلمة "شبح"، وهذا يدفعني إلى الجنون.

جلست "فيكتوريا" بالقرب من طرف الفراش. ثم نظرت إلى الورقة الصفراء وما بها من حروف وعلامات مرتعشة باللون الأحمر. رفعت العمة "إيميليا" نظرها. ورشمت الصليب على حفيدتها، ثم داعبت وجنتها قائلة:

- يليق بك أحمر الشفاة جدًّا. متى ستعرفينني على صديقك الجديد؟

احمرت "فيكتوريا" خجلًا. لقد شاهدت على "اليوتيوب" فيديو تجميليًّا عن وضع مكياج سريع وبسيط، واشترت مرطبًا ملونًا للوجه من الصيدلية لتخفي الهالات السوداء أسفل عينيها، وأحمر شفاه رقيقًا لتضخيم فمها. لكنها لم تعتقد أن العمة "إيميليا" ستلاحظ.

قالت وهي تبتسم:

- تشبهين والدتك. الشعر الطويل، بريق عينيك.

هذا بالضبط ما فكرت به "فيكتوريا" اليوم، وهي تنظر في المرآة. لكن، للمرة الأولى، لا ترى نفسها متطابقة معها. لذلك قررت ألا تضع شريطة بشعرها.

قالت "فيكتوريا" بطريقة من يقول اعترافًا:

- لقد قابلته بالأمس.

- هذا رائع! رائع يا عزيزتي. وهل ستخرجين معه ثانية؟

لم ترغب في أن توجه العمة المحادثة. فقد راجعت كل ما تريد قوله.

- أيتها العمة "إيميليا"، لقد حدث شيء الأسبوع الماضي.

- ما هو؟

سألت بطريقة مباشرة:

- مَن "صوفيا"؟

فغرت العمة "إيميليا" فمها، وتغير تعبير وجهها، هزت رأسها، وضغطت على القلم الأحمر بأصابعها المتجعدة قائلة:

- لا أعرف عما تتحدثين.

- عن عمتي.

سألت بنبرة فظة لم تستخدمها سابقًا:

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- لماذا لم أعرف من قبل أن لوالدي أختًا؟

نظرت إليها العمة "إيميليا" صامتة.

ألحت:

- أخبريني. أريد أن أعرف.

- عندما توفيت زوجة أخي، كان لا يزال صغيرًا. أو على الأقل، كان يظن نفسه، وهو في الخامسة والخمسين، صغيرًا. وابنه، أي والدك، كان قد حصل على عمله الأول وترك المنزل. لهذا واصل أخي حياته مع.. العاهرات.. وذات يوم أخبرته إحداهن بحملها، وبالطبع أجرى اختبارًا. وبالفعل تأكد من أنها ابنته. وبعدها لم ترغب المرأة في رعاية الطفلة. لهذا قرر جدك أن تبقى "صوفيا" معه.

لم تستطع "فيكتوريا" تخيل رد فعل العمة "إيميليا" على موضوع الحمل. فهي شديدة التدين، ومعتقداتها ثابتة عن مفهوم العائلة، وفكرة الصواب والخطأ.

- وكيف كان رد فعل والدي على وجود أخت جديدة فجأة؟

قالت:

- كان سعيدًا. فقد كان في بداية العشرينيات من عمره، ويعيش بمفرده بالفعل. وكان يدرس دورات قصيرة، ويريد فتح مدرسته الخاصة. في النهاية، لم يحدث الأمر اختلافًا كبيرًا بالنسبة إليه. حتى إنه كان يقدم لها المساعدة في بعض الأحيان؛ فيجالس الطفلة في عطلات نهاية الأسبوع. وهكذا. بعد ذلك، عندما كان في بداية الثلاثين من عمره، افتتح "ماورو" مدرسة "الأيكون" وقابل والدتك. حيث كانت تعمل مدرسة رياضيات هناك. فوقعا في الحب. قبل ذلك، كان "ماورو" يركز على عمله أكثر.

لقد سمعت "فيكتوريا" هذه القصة مئات المرات. كانت العمة "إيميليا" تغير مسار الموضوع لذلك سألتها:

- وأنت؟ ماذا كان رأيك في أمر "صوفيا"؟

- بالطبع صدمت حينها، وكنت محبطة، فهذا أمر مخجل. لكن، عندما رأيت الطفلة الصغيرة، أحببتها. كانت طفلة جميلة. مزعجة وضعيفة.

فكرت العمة "إيميليا" قليلًا ثم أضافت:

- لكن عندما كبرت، بدأت جيناتها الوراثية في الظهور.

- ماذا تعني؟

- لم تكن شخصية "صوفيا" جيدة. لم تكن تشبهنا. كان الأمر وكأنها تريد معاقبة والدك لأنه الابن الشرعي.

- وماذا فعل جدي حيال هذا؟

- يمكنك تصور الوضع، والد أعزب وطاعن في السن.. لقد عانى كثيرًا، وعندما أصيب بنوبة قلبية، كانت "صوفيا" في الحادية عشرة من عمرها.

- وعليه ذهبت لتعيش مع أبي؟

- هذا صحيح، في عام 1986، كان هذا وضعًا صعبًا جدًّا. كان يعيش مع "ساندرا" التي يعرفها منذ عام بالفعل. وبالطبع، عندما انتقلت إليه "صوفيا"، غيرت إلى حد ما حياة الجميع. وقد ساعدت أنا أيضًا قدر المستطاع.

- هل كانت علاقة أمي جيدة بـ"صوفيا"؟

- كانت "ساندرا" لطيفة دومًا مع الأطفال كونها مدرسة ابتدائي، لكن "صوفيا" مزعجة، تحطم الأشياء بالمنزل. تثير المشكلات في المدرسة، تختفي لساعات وتجعل الجميع يبحثون عنها. ورغم محاولات "ساندرا" لتقويمها، فإنها كانت تشعر بالتعاسة دائمًا. لا أظن أنها أحست ولو لمرة أنها فرد من أفراد العائلة. فقد كانت مليئة بالتذمر. كانت متمردة. أجل هذه هي الكلمة، متمردة. حينما كانت في الثانية عشرة من عمرها، نعتتني بـ"العاهرة البائسة" لأنني لم أشترِ لها دراجة!

ابتسمت "فيكتوريا"، فقد كان من عادة العمة "إيميليا" أن تضمر ضغينة سخيفة كهذه. سألت:

- هل عاشت "صوفيا" مع والدي بعد ولادة أخي؟

- أجل.

- ومتى رحلت؟

- لا أتذكر بالضبط. كانت في أوائل العشرينيات من عمرها.

حاولت "فيكتوريا" تتبع التسلسل الزمني، لكن كان هذا صعبًا. فقد ولد "إيريك" عام 1988 عندما كانت "صوفيا" في الثالثة عشرة. لذلك لا بد أنها قد غادرت المنزل عام 1995 أو 1996 وهي تبلغ من العمر عامًا أو عامين.

- ماذا حدث؟

- ماذا تعني؟

- هل رحلت فجأة إلى الولايات المتحدة؟

شعرت "فيكتوريا" أنها قد أخطأت. فقد شحب وجه العمة "إيميليا" بشدة، وسألتها:

- كيف عرفت بأمر السفر إلى الولايات المتحدة؟ لا تخبريني أن الحقيرة قد تواصلت معك.

- أجيبيني أيتها العمة.

- ليس لديَّ المزيد لأقوله.

قالت "فيكتوريا" وهي تميل نحوها وتمسك بيدها بين كفها بتأثر شديد:

- أرجوك. أخبريني. لماذا ذهبت "صوفيا" إلى الولايات المتحدة؟

- لا أعرف. لقد فعلتها وحسب.

من الواضح أن العمة "إيميليا" تكذب.

- ألم تتواصل معك ثانية؟ أنت عمتها!

- لم تتواصل قَطُّ مع عائلتنا.

كان هناك غضب مكتوم بصوتها وهي تقول:

- بعض البشر هكذا. نافرون، بلا مشاعر. ليس الجميع طيبين يا عزيزتي.

- ولماذا لم تتواصل معي بعد وفاة والدي وأخي؟

- لا أعرف حتى إن كانت قد عرفت أم لا.

- هل تعرفين أي وسيلة للتواصل معها؟ لقب الرجل الأمريكي الذي تزوجته؟

قالت العمة "إيميليا" على مضض:

- ليس لديَّ أدنى فكرة. لا أعرف لماذا أنت مهتمة بتلك الفتاة.

- تلك الفتاة هي ابنة أخيك.. وعمتي. أريد التحدث معها.

- عمَّ ستتحدثين معها بحق السماء؟

- أعتقد أنه أمر غريب ألا تظهر ثانية.

- "صوفيا" قضية خاسرة. لقد أنهت دراستها بمدرسة "الأيكون"، ولم تحاول الالتحاق بالجامعة. كانت كسولًا. قرر "ماورو" إعطاءها فرصة للعمل بالمدرسة وألحقها بوظيفة مساعدة. كانت تعتني بالطلبة. وظلت هكذا عامين أو ثلاثة حتى أثارت المشكلات. واضطر والدك إلى طرد أخته من المنزل. وحينها رحلت.

- أي نوع من المشكلات؟

- لقد تعبت من عدم التفاهم، والشعور بالذنب والمرارة. لقد عانيت بما يكفي من ابنة أخي بالفعل في محاولتي كي أسترجعها. لقد حاولت فعل الصواب. أقسم إنني فعلت. لكنها اختارت بنفسها.

بدأت العمة "إيميليا" في البكاء، ثم قالت:

- هل يمكن أن نغير الموضوع يا عزيزتي؟

لم تجب. ربما كان الدكتور "ماكس" محقًّا في قوله إنها متذبذبة بين كونها طفلة مدللة وامرأة ناضجة. لكن النسخة الناضجة تكتسب قوة. والعمة "إيميليا" ترفض تقبل أنها لم تعد الطفلة الصغيرة التي تنصت وتطيع في صمت. سألتها العمة فجأة:

- هل تعدينني أن تنسي كل هذا؟

- لا.

- هذا لصالحك.

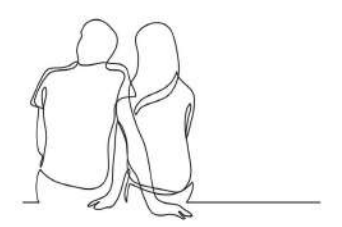
- أرجوك يا عمة..

- لقد هربت "صوفيا" منا جميعًا. ليس من الحكمة أن تبحثي عن هذه الوضيعة. ستستغلك فقط. ستجردك من كل شيء ثم تلفظك. هذا ما فعلته مع أخيك، ثم مع أبيك وأمك. إنها شخصية سيئة. كاذبة، ابنة عاهرة.. لماذا تريدين معرفة أخبار شخص مثلها؟ أنت تصيبينني بالإحباط يا "فيكتوريا".

ثبتت العمة "إيميليا" نظرتها عليها للحظة، تشنج فمها، وكسى وجهها تعبير صارم. ثم أخفضت نظرتها، وفتحت المجلة وأمسكت القلم بيدها المرتعشة، دون قول المزيد. وعاودت البحث عن كلمتها.



15



كانت أمسية الذهاب إلى السينما مع "جورج" ممتعة بشكل مدهش.

جلست "فيكتوريا" تشاهد الفيلم محتضنة يده، ولم تشعر بعدم الراحة قَطُّ. عندما يرتفع صوت الموسيقى، أو يطول المشهد، يميل نحوها هامسًا في أذنها أو مقبلًا وجنتها. كانت تتقبل كل هذا بطريقة عادية في البداية، لكن بعد ذلك استدارت نحوه وهمست:

- دعنا نشاهد الفيلم.

فلم تكن ترغب في إزعاج باقي المشاهدين بالقاعة. تناولا البيتزا في مطعم صغير، بأحد شوارع حي "سانتا تريزا" المنحدرة، بينما يتحدثان عن الفيلم وعما سيفعلانه في عطلة نهاية الأسبوع. أجل، تريد رؤيته خلال العطلة. ورغم أن ما تمر به جديد عليها تمامًا، فإنها تفضل صحبته على البقاء في المنزل، أو التفكير فيما يخطط "سانتياجو" والذي يزعجها كثيرًا. فهي تشعر دائمًا أن هناك من يراقبها. وإن كانت المطواة في حقيبتها، والتيليسكوب على نافذتها يمنحانها بعض الشعور بالأمان.

يوم الجمعة، ذهبا إلى معرض رسام إنجليزي في مركز "بانكو دو برازيل" الثقافي. ويوم السبت شاهدا مسرحية بعنوان "هارولد وماود"، عن شاب يعاني الاكتئاب ويفكر دومًا بالانتحار، حتى تعرف على امرأة، محبة للحياة وغريبة الأطوار، في الثمانين من عمرها. بوجه عام، لم يكن لدى "فيكتوريا" وقت كافٍ لقصص الحب. لكنها أعجبت بهذه. حيث جعلتها تفكر في ضرورة أن يكمل كل من المتحابين الآخر. فهي لا تتقبل فكرة الوقوع في حب شخص يشبهها. لذلك جذبتها شخصية "جورج" بصفاتها المتناقضة، فهو حساس، ومتحرر، ورومانسي، دائمًا يخبرها أنها جميلة وذكية. بينما هي، محافظة، وهادئة، وغامضة بالنسبة إليه. جاءت قبلتهما الثانية تلقائيًّا. ولم تهرب "فيكتوريا". في الحقيقة، لقد أحبتها. في الأسبوع التالي، في أثناء العشاء، أخبرها أنها تبدو متوترة وقلقة. فاعتذرت وأخبرته بما يحدث. ليس فقط بأمر طلاء الحائط، ومذكرات "سانتياجو". لكن عن "صوفيا" أيضًا. الشيء الوحيد الذي لم تستطع إخباره به كان فترة إدمانها للخمر. لكنها تنوي إخباره قريبًا. فهي لا ترغب في إقامة علاقة تنطوي على أسرار، لأنها تعرف كيف يسبب ذلك ألمًا. هي نفسها لم تزر العمة "إيميليا" منذ تشاجرتا. أنصت "جورج" إلى كل ما قالته ووعدها بالمساعدة بقدر الإمكان. لكنها لم ترغب في إزعاجه بكل هذا. فقد جعلها تشعر بتحسن، وتقريبًا كانت تنسى كل مشكلاتها وهي معه. هذا ما أخبرته به وهما يتنزهان بمحاذاة الشاطئ. فاحتضنها، وقبل رأسها قائلًا:

- أخيرًا، تصريح صغير بالحب من أجل الكاتب البائس.

فابتسمت، فهي تحب أسلوبه في المزاح. بحث "جورج" بنفسه عن أي معلومة عن "صوفيا". لكن لم يتوصل إلى شيء. وكذلك "فيكتوريا" بعد بحث مطول على الإنترنت. عثرت على خمس يحملن اسم "صوفيا برافو"، في وسائل التواصل الاجتماعي، وتم ذكرهن في مقالات علمية وموضوعات إخبارية. لكن لم يبدُ أن إحداهن المعنية. فثلاث منهن كانت أعمارهن مختلفة، والأخريان كانتا تعيشان في البرازيل. إحداهما في مدينة "سالفادور"، والأخرى في مدينة "برازيليا"، ومتزوجة ببرازيلي. ربما تلقب "صوفيا" باسم زوجها الأمريكي، الذي لا تعرفه. ذات ليلة، تذكرت "فيكتوريا" ما أسفل فراشها من صناديق. فبحثت، وفضلًا عن أغراض الطفولة من مرايل، ولهايات، وعرائس، وجدت تذكارات تخص والديها، وألبومات صور العائلة، وكل أنواع الأوراق. بعض الصور تسبق ولادتها، مثل صورة "إيريك" وهو طفل، وأخرى لزفاف والديها. وبعد البحث لبضع ساعات، شعرت بالإحباط، لم يكن هناك أمل في العثور على "صوفيا"، كأنها شبح. في نهاية الشهر، اتصل "أكينو" بها ثانية. لم يكن هناك تقدم في قضية "أتيلا". ليس لديهم أي أدلة. فلم يلحظ أحد أمرًا غريبًا في المنطقة. كما لو أن القاتل قد تبخر في الهواء. حاولت الحصول على تفاصيل لتتواصل مع "صوفيا" أو على الأقل اسم زوجها. لكنه لم يكن يعرفه. تتمنى "فيكتوريا" نسيان كل هذا، رغم صعوبة ذلك. فكلما حاولت الاسترخاء، كان هناك ما يجثم على صدرها. تهديد سري لكنه حاضر دائمًا. أين كان "سانتياجو"؟ لماذا قام بطلاء الحائط، وقتل والده واختفى؟ ماذا يريد منها؟ كانت تشعر أن شيئًا رهيبًا يمكن أن يحدث في أي وقت، ويضع نهاية لسعادتها التي عثرت عليها أخيرًا.

في جلساتها مع الدكتور "ماكس"، أخبرته أنها تحدثت مع المأمور مرة أخرى بعد وفاة "أتيلا" وأخيرًا اعترفت بمذكرات "سانتياجو". وذكرت أيضًا علمها بقصة "صوفيا". قال:

- من الطبيعي ألا تشعري بالاستقرار حيال ذلك. وأن تشعري بالصدمة من وجود مثل تلك القريبة.

- أريد العثور عليها.

- لماذا؟

- كانت "صوفيا" تعمل في المدرسة عندما كان "سانتياجو" يدرس بها. كما أن عدم محاولتها للتواصل معي أبدًا أمر غريب. وكذلك عدم ذكر العمة "إيميليا" لها، ولو لمرة واحدة.

علق الطبيب على إصرارها بأنه جانب لم يره في شخصيتها من قبل. فسأل إن كان هناك ما حدث لتشجيعها. ترددت "فيكتوريا"، ثم أخبرته أنها تواعد "جورج". وقد مرت ثلاثة أسابيع على قبلتهما الأولى. أحست أن الدكتور "ماكس" يشعر بالضيق، لأنها استغرقت كل هذه المدة حتى تخبره. فقد ذكرها بالثقة بينهما منذ أعوام، وشدد على أهمية الحفاظ عليها. قال الدكتور "ماكس":

- فقط عليك أن تحذري، وألا تندفعي بتطرف. فالوقوع في الحب خطر مثل عدم الوقوع به.

تفهمت "فيكتوريا" قلقه، ولكنها اعتبرته نوعًا من المبالغة في رد الفعل. فصحيح أن "جورج" قد أصبح في وقت قصير شديد الأهمية بالنسبة

إليها، وأنها قد اعتادت وجوده، ونظرة عينيه المتوهجة، وملمس بشرته، والشامات على كتفيه، ورائحته، لكنها بالطبع تقلق من تعريض نفسها للخطر. لذلك تصر على أخذ الأمور بهدوء. وقد احترم هذا. كان قد بدأ في توصيلها إلى المنزل، لكنه لم يصر على الصعود إلى شقتها. حتى عندما دعاها إلى الفراش ذات ليلة عندما أفرط في الشرب، انسحب فورًا عندما قالت إنها غير مستعدة. سألها برفق:

- هل أنت عذراء؟

شعرت "فيكتوريا" بالحرج وبالخجل من كونها لا تزال عذراء حتى هذه السن. لكنها لم ترغب في الكذب أيضًا. فأومأت برأسها، خائفة من أن يشعر بالإحباط ويهجرها. لكن لم يحدث ذلك، فقد اتصل بها "جورج" في اليوم التالي قائلًا:

- يمكنك أخذ الوقت الذي تريدينه.

أحبت "فيكتوريا" سماع ذلك. واخترعا لعبة صغيرة معًا، وهي تجربة شيء جديد في كل لقاء بينهما، وتسجيله على كاميرا خيالية، فقد كان "جورج" مثلها يكره الصور. تنزها في حديقة "ألتو دي باو بيستا"، ورقصا، وزارا مسرح البلدية. ثم ذهبا إلى سوق "لافراديو" القديم، الذي يبعد عن منزلها ببضع بنايات. وتنزها في المساء بالشوارع المزدحمة. وشاهدا المحلات والملابس المعروضة للبيع. وقضى "جورج" نصف ساعة يبحث عن أسطوانات قديمة في أحد الأكشاك. بينما كانت "فيكتوريا" تتناول العصير، وتتأمل المارة. تناولا الغداء في مطعم قريب، حيث عزفت إحدى الفرق موسيقى الـ"تشورينو". في المساء، وبينما يعبران الناصية،

ليوصلها إلى منزلها بشارع "رياتشويلو"، لمحت "فيكتوريا" بالقرب من المدخل "أروز" يحمل حقيبته على ظهره، ويقرأ كتابًا سميكًا. واصلت حديثها مع "جورج" بينما تفكر فيما تفعله. حاولت إخفاء توترها. ورأت أنه من المستحيل أن تتراجع. فقد كانا على بعد خطوات قليلة من "أروز"، الذي رفع بصره فجأة فرآها تمسك بيد رجل آخر. اختفت ابتسامته وعلا وجهه تعبير ساخط. فتوجه نحوهما، ناظرًا إلى "فيكتوريا" فقط. كما لو أن "جورج" غير موجود.

- لقد وعدتني ألا تختفي ثانية، وفعلتِ.

قال وهو يغلق كتاب "الرقص مع التنانين"، ويضعه أسفل ذراعه:

- لم نتحدث منذ شهر تقريبًا يا "فيك".

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تشعر بالخزي، "لم أختفِ، أنا فقط أعيش حياة طبيعية" هكذا أرادت أن تجيبه. لكنها نظرت إليه بمزيج من العاطفة والشفقة. إنه صديق جيد لا أكثر. لم تتمكن من الإحساس به بشكل مختلف. وفي تلك اللحظة، بدا وكأنه ليس لديهما ما يقولانه.

واصل "أروز" كطفل غاضب:

- لقد اتصلت بك ثلاث مرات. فقد نجحت أخيرًا في العثور على ما طلبت.

تقدم "جورج" خطوة وأمسك بيده قائلًا:

- لا أعتقد أننا قد تقابلنا، أنا "جورج" صديق "فيك".

رحب به "أروز" ببرود، وكان يرمش كثيرًا بينما ينتظر حديثه.

أضاف "جورج":

- لا بد أنك "أروز".

ساد صمت مربك، وبالرغم من أنه يفوقه طولًا، فإن "أروز" قد بدا أكثر ضعفًا. بعظامه النتئة، وجلد بشرته الرقيق، وكأنه جثة. ثم قال "أروز":

- ليس لديَّ وقت طويل يا "فيك". هل نركب الكاميرات؟

- الكاميرات؟ أي كاميرات؟

- إنه أمر يخصنا.

قالها "أروز" بابتسامة مصطنعة، ثم استدار إلى "فيكتوريا" قائلًا:

- هل نصعد؟

أومأت، وهي تتصبب عرقًا باردًا، ثم نظرت إلى "جورج" وقالت:

- سنتحدث غدًا.

كانت ترغب في قول إنها أحبت قضاء اليوم معه، لكن وجود "أروز" أوقفها.

سأل "جورج":

- هل تريدين أن أصعد معك؟

قفز "أروز" على الحوار كما لو كان يسعى لاختلاق شجار قائلًا:

- ليس هناك حاجة إلى ذلك. فنحن نعرف بعضنا منذ وقت طويل يا رجل.

رمقه "جورج" بنظرة سريعة لكنها قاتلة، قبل أن يستدير لـ"فيكتوريا" ويسألها:

- هل تريدين؟

- لا، كل شيء على ما يرام.

ثم سلمت عليه بحرارة وهي تحاول الابتسام. وعندما مال "جورج" إلى الأمام لتقبيلها، أشاحت بوجهها بعيدًا بحذر، وأعطته وجنتها. فلمحت نظرة حسرة بعينيه. قالت وهي تحاول أن تبدو عادية:

- سأتصل بك.

وافق "جورج" بإيماءة بسيطة، ثم ابتعد. ابتسم "أروز" قائلًا:

- بذلت جهدًا حتى أعثر على الكاميرات. ما الذي لم أفعله لك، ها؟

في الساعات القليلة التالية، كان يثبت الأسلاك في الشقة، ويوصل الكاميرات. وضع الأولى في غرفة المعيشة، في زاوية تغطي المدخل، والأريكة، وجزءًا من المطبخ. والثانية في ركن عالٍ بجوار الخزانة. تكشف الفراش وباب الغرفة. وركب أيضًا إنذارًا متصلًا بمزلاج المدخل الرئيسي. فإذا عاد القاتل وحاول اقتحام الباب، فستجذب الضوضاء المدوية انتباه الجيران. وقبل أن يرحل، وضع "أروز" تطبيقًا على تليفونها المحمول وعلمها كيف تستخدمه لتفتح الكاميرات. كانت جودة الصورة عالية، لكنها بالأبيض والأسود وبلا صوت. وضح:

- يمكنك رؤيتها في التوقيت نفسه. كذلك يتم تسجيل آخر 12 ساعة. في حال أردت البحث عن شيء.

شكرته "فيكتوريا" واعتذرت عن اختفائها. كانت لا تزال غاضبة من طريقة تعامله مع "جورج". لكنها قررت عدم التحدث في الأمر. جمع "أروز" أغراضه ووضعها في حقيبته، وفي طريقه للخروج، سألها:

- هل ذلك هو الشخص الذي كان يهددك؟

فزعت:

- لا، بالطبع لا.

- منذ متى وأنتما معًا؟

- "أروز"..

- هل أنت سعيدة؟

تنهدت قائلة:

- أجل.

صمت. ثم أدار مقبض الباب وسار حتى نهاية الردهة محني الرأس. وكان بالفعل في منتصف السلالم في طريقه للهبوط عندما قال، مبتعدًا عن مجال رؤيتها:

- اعتني بنفسك.

حينها فقط استرخت "فيكتوريا". نزعت ملابسها وأخرجت "أبو" من الخزانة التي تخبئه بها. واستلقت على الفراش محتضنة الدب واتصلت بـ"جورج"، لكنه لم يجب فانزعجت. هل هو غاضب لدرجة أنه لا يرغب في الحديث معها؟ غمرها حزن غريب. بعد خمس دقائق، اتصل بها "جورج" وأخبرها أنه كان بالحمام. اعتذرت له عن تصرف "أروز" الطفولي، وأكدت له أنه فقط صديق غيور. طمأنها "جورج" وسألها عن الكاميرات. فوضحت له كل شيء. ولتظهر له مدى إعجابها به، دعته لتناول الغداء في الغد. حاول التملص لكنه وافق في النهاية. فاتفقا على أن يتقابلا في منتصف النهار بأحد المطاعم الشرقية بميدان "لارجو دو ماتشادو". عندما أغلقت الخط، ظلت مستلقية على الفراش، تطالع الكاميرا على تليفونها. كان أثاث غرفة المعيشة يغرق في الظلام. يبدو باب الشقة بأقفاله المتعددة ومزلاجه كباب زنزانة. وظلها أسفل الأغطية بالضوء المتسرب من الشاشة ينير وجهها فقط. وفي العتمة والصمت، عادت الأفكار عن "صوفيا". في الظاهر ليس لها علاقة بـ"سانتياجو"، لكنها لا تستطيع التوقف عن التفكير في أن هناك رابطًا بين القصتين. فغريب ألا تعود "صوفيا" بعد الجريمة الوحشية إلى عائلتها. فتساءلت مفكرة: "مما تحاول الهرب؟".

نظرت "فيكتوريا" في ساعتها بينما تنتظر "جورج" على منضدة صغيرة بمطعم المشويات السوري-اللبناني. الساعة الثانية عشرة وعشرون دقيقة. هل نسي موعد الغداء؟ من عادته أن يتأخر، لكن ليس لأكثر من عشر دقائق. وبينما تفكر في الاتصال به، رأته يقترب بابتسامة

خجلى على وجهه. كانت يرتدي قميصًا فاتحًا يظهر علامات العرق أسفل ذراعيه، وقبعة. راق لها مظهره غير المهندم. فهو شخص لا يهتم بالأعراف الاجتماعية. قال متقطع الأنفاس:

- آسف. لقد تأخر المترو كثيرًا.

- لا مشكلة. كنت أنتظر فحسب.

قبلها قبلة خاطفة. سرعان ما تحولت إلى قبلة طويلة حبست أنفاسها للحظات. سأل بسخرية:

- هل جملة "كنت أنتظر فحسب" طريقة مهذبة لقول "لقد تأخرت"؟

وافقته وهما يضحكان قائلة:

- بالضبط.

طلبا كبة نيئة وصفائح صغيرة بنكهات مختلفة ليتقاسماها كما اتفقا.

- من أين يأتي اسم "جورج"؟

قال:

- إنه اسم يوناني. لقد جاءت جدة والدي إلى هنا هربًا من الحرب. ويعني "عامل الأرض"، أعرف أنه ليس اسمًا ملهمًا..

- لا يناسبك. بيدك الناعمة التي تقضي اليوم في الكتابة على اللابتوب، وتلك القبعة..

سأل "جورج" بنصف ابتسامة:

- هل تحللين شخصيتي؟ تجعلني القبعة أبدو أصغر سنًّا، قاربت على الصلع. أظن أنها أزمة منتصف العمر.

- منتصف العمر؟

- أنا في السادسة والثلاثين. وستمر الأربع سنوات الباقية سريعًا.

دهشت "فيكتوريا". لم يتحدثا قَطُّ عن هذا. لكنها كانت تعتقد أنه في الثلاثين أو على أقصى تقدير في أوائل الثلاثين. فستة وثلاثون كثير.

- هل أزعجك فرق السن؟

لقد أزعجها. لكن لا تعرف لماذا. فأنكرت سريعًا قائلة:

- كان أبي يكبر أمي أيضًا. عندما تعارفا، كان في الخامسة والثلاثين، وكانت هي في الثالثة والعشرين. لم يقع أبي في حب امرأة قبلها.

تنهد "جورج" قبل أن يقول:

- لم أعرف الحب من قبل أنا أيضًا.

- وماذا عن الفنانة الإنجليزية؟

لوح بيده قائلًا:

- كانت مجرد تجربة. فقد كنت أنتظر أنا أيضًا يا "فيك".

قالت بخفة:

- هل هذه طريقة مهذبة لقول إنني قد تأخرت؟

- دعينا نقول إنك جئت في الوقت الصحيح.

وضع يده فوق يدها، وبلطف ضغط عليها. نظرت إليها "فيكتوريا" للحظة، قبل أن تسأل:

- وماذا عن والديك؟ كيف كانا؟

تنحنح مندهشًا ثم قال:

- والدي؟ كانت أمي قوية. لقد ولدت في الريف، والتحقت بجامعة في "بيلو هوريزونت" ضد رغبة والديها، لرغبتها في أن تصبح طبيبة أعصاب. وقد قابلت أبي خلال سنوات الجامعة. عائلة أبي مترابطة. وكان هو أكبر إخوته الخمسة، ويحمل اسم جدي. خمني ما هو.

- "جورج"؟

ضحكا. ثم أكد "جورج" قائلًا:

- هناك سلالة كاملة تحمل اسم "جورج". درس الطب أيضًا، وهناك قابل أمي. كان ذلك قبل أن توافق على الخروج معه بقليل. لكنها سرعان ما وقعت في الحب، مثلنا.

ابتسمت "فيكتوريا" بهدوء ثم قالت:

- وعاشا في سعادة أبدية.

- أجل.

- هل لا يزالان يعيشان في "بيلو هوريزونت"؟

ابتلع "جورج" ريقه بصعوبة، وأخفض نظرته قائلًا:

– توفيا عام 2012. كنت بأوروبا حينها. عانت أمي سكتة دماغية. توفيت بعدها بثلاثة أيام. عدت للبقاء مع أبي لفترة. لكنه رغم ذلك كان يشعر بالوحدة الشديدة بدونها. لم يستطع التحمل. وبعد ستة أشهر، توفي في أثناء نومه.

تنهد "جورج" قبل أن يسأل:

– وكيف كان والداك؟

تتذكر "فيكتوريا" القليل عنهما. فبعد فترة طويلة. حاولت استكمال الصورة في خيالها. بمعنى أنها لم تعد قادرة على فصل الذكريات الحقيقية عما اخترعته.

– كان والدي شخصًا هادئًا، من النوع الصامت، مهووسًا بفكرة التدريس. لم تكن رغبته في امتلاك مدرسة مصادفة. على النقيض، كانت أمي منفتحة، ومزاجية، وعنيدة.

قال بثبات ممازحًا:

– أنت تشبهينها إذن.

امتعضت "فيكتوريا" قائلة:

– أعتقد أن كلًا منهما كان يكمل الآخر. كانت تفعل كل شيء من أجله. وكذلك هو.

– هل تفكرين في الزواج؟ وإنجاب أطفال؟

شردت:

- لا أعرف.

في رأيها، يصلح "جورج" أن يكون أبًا جيدًا. فهو من النوع الذي يتفانى في خدمة أطفاله، يفسدهم بدلاله، يركض خلفهم. لكنها لم تكن واثقة أن بإمكانها أن تصبح أمًّا جيدة. حتى وإن كانت ترغب في ذلك. لهذا رأت أن من الأفضل تغيير الموضوع.

بعد مغادرة المطعم الشرقي، اشتريا قهوة من أحد المقاهي في ميدان "سان سلفادور"، وسارا حتى شقته في منطقة "جلوريا". توقفا أمام محل بيع الكتب المستعملة، ومتحف الجمهورية على الطريق. حيث تبادلا الحديث لدقائق قليلة على أحد المقاعد بالقرب من البحيرة. طلب منها "جورج" أن تصعد إلى شقته. لكنها كانت تعلم ما ينطوي عليه طلبه. ولم تكن تشعر بأنها مستعدة بعد. رغم أنها تعرف أنها ترغب في اتخاذ هذه الخطوة معه.

استقلت سيارة أجرة حتى "لابا" ووصلت منزلها سريعًا. وبينما تصعد سلم بنايتها، كانت تفكر فيما يمنعها من توطيد علاقتها مع "جورج". هناك حلقة مفقودة. لكنها لا تعلم ما هي. كما لو أن هناك ثقبًا بداخلها، إنذارًا هادئًا يدويًّا بداخل قلبها، قائلًا إن الوقت لم يحن بعد. أدارت المفتاح وفتحت أقفال "التترا". وعندما فتحت الباب، رأت حزمة صغيرة من الأوراق على الأرض. استندت إلى الحائط، ثم انحنت لتمعن النظر في خط اليد. وفي الحال جف حلقها، فقد ترك "سانتياجو" أوراقًا جديدة.



16



مذكرات "سانتياجو"

الثلاثاء، 20 يوليو، 1993

منعتني العطلة من رؤية حبيبتي "رابونزل". كنت أبقى بالمنزل طوال اليوم ولا أجد ما أفعله. اليوم بعد أن خرج أبي إلى العمل، ذهبت إلى منزل "إيجور". ووجدت ابن عمه "جاين" و"جابريل". لا أعرف إن كان "جاين" يلعب كرة السلة، أم أنه يرتدي قميص الفريق فحسب. لقد تجاهلني في البداية، وظل يحكي لابن عمه عن الخمس فتيات اللاتي يواعدهن: شقراوان، وفتاة ذات شعر أسود، وفتاة سمراء، وأخرى صهباء، قال إنها أفضلهن ثم ضحك. لم أفهم ما المضحك لكنني ضحكت. ثم أضاف أنه عند بلوغك السابعة عشرة، تصبح مواعدة الفتيات أمرًا سهلًا للغاية، فهن من يسعين لها. أرغب بشدة في بلوغ السابعة عشرة. عندما ذهبت والدة "إيجور" إلى العمل، فتح "جاين" حقيبته لنرى علب "الإسبراي" التي أحضرها، فهو من يشتريها لـ"إيجور"، ومن يعلمه كيف يتعرف على الفتيات، ويقيم علاقة معهن.

خرجنا ومعنا علب "الإسبراي". ليس في اتجاه الميدان، بل في اتجاه المعهد الوطني، لقلة عدد المارة هناك. بدأنا طلي جدار متقشر، بالقرب من الصخور على الواجهة البحرية. علمنا "جاين" كيفية صنع ضربات ثابتة. فقد كان ماهرًا. عكس "إيجور" الذي يفتقر إلى الموهبة. أما "جابريل"، فقد كان يفوقنا جميعًا. لكنني أعتقد أنه يطلو الحوائط حتى يرضي "إيجور" فقط. عندما نظرت حولي، وجدت "جاين" جالسًا على

أحد الصخور، رافعًا يده إلى فمه ليشعل سيجارة. قال إنها ماريجوانا، ثم نفخ الدخان في وجهي وسألني إن كنت أرغب في تناولها. رفضت، لكن "إيجور" و"جابريل" وافقا. وجلسا على الصخرة، يلمزان بعضهما بعضًا ويضحكان وهما يتناوبان الماريجوانا بينهما. ابتعدت عنهم قليلًا، فقد أخبرني أبي أن صديقه في فترة المراهقة قد توفي بسبب تدخين الماريجوانا.

وبعد الظهيرة، في طريق عودتنا إلى المنزل، صعد "جاين" على سقف سيارة "كورسا" على جانب الطريق، وظل يقفز فوقها. كانت تهتز بشدة حتى بدا وكأن النوافذ ستتحطم، والإطارات ستتدحرج. ثم صعد "إيجور" على السيارة أيضًا، وبدأ في طلاء السقف والنوافذ. بينما طلى "جابريل" الباب وكذلك فعلت أنا في الجانب الآخر. قهقهنا ونحن نفكر كم هو مضحك أن يجد مالك السيارة سيارته الحمراء اللون وقد تحولت إلى سوداء. وبجوار جدار المعهد الوطني، كان أحد المشردين، بملابس بالية، ينام على الرصيف، ويتغطى بقطع مطوية من الكرتون. على أطراف أصابعه، اتجه "إيجور" نحوه، ثم مد ذراعه وقرب علبة "الإسبراي" إلى أنفه تمامًا. ثم ضغطها، فغطى الطلاء وجه الرجل. استيقظ المشرد في الحال، يصرخ مصدومًا. فهربنا وظللنا نضحك حتى وصلنا إلى منزل "إيجور". وبعدنا بنحو خمس دقائق، عادت أمه. أعطى "جاين" كل فرد منا علبة "إسبراي" كهدية. كم هو رائع. بقيت لمدة أطول قليلًا في منزل "إيجور"، وعندما كنا نتناول وجبة خفيفة، سألته إن كان يشعر بالسوء بسبب طلاء وجه المشرد. لكنه نفى قائلًا:

- ليس هناك مهانة أكبر من طلاء وجه إنسان، وإن هناك من يستحقون الإهانة.



الإثنين، 26 يوليو، 1993

أول ما فكرت به اليوم هو أن بدء الدراسة سيكون بعد أسبوع من الآن. وهذا يسعدني كثيرًا. والأمر الثاني أنه لا بد من إعادة الأشرطة التي استأجرتها خلال عطلة نهاية الأسبوع. في الواقع، كان لا بد أن أعيدها يوم الأحد الماضي، لكن "أرنستو" شخص لطيف، يسمح لي دائمًا بإعادتها صباح الإثنين. يقول أبي إنه "هيبي".

تناولت الإفطار، وذهبت إلى نادي الفيديو. وأعدت الشرائط. ثم تحدثت مع "إرنستو" لبرهة. وفجأة، لا أعرف لماذا فكرت لا بد أنه يمارس العادة السرية أيضًا. ولا بد أن والدي يفعل هذا كذلك. من المضحك معرفة أن الجميع يفعل هذا عند الذهاب إلى الحمام. أو ربما لا يفعل الجميع ذلك. كالقس "هيكتور" مثلًا.

عندما تركت نادي الفيديو، رأيت "رابونزل" تخرج من أحد المطاعم بصحبة آخرين، تتحدث إليهم فلم تنظر إليَّ حتى. كانت جميلة، تضحك مثلما كنا معًا. شعرت بالإحباط من عدم قدرتي على تقبيلها أمام الجميع. لكن رؤيتها لدقائق أسعدتني. يبقى أسبوع للعودة إلى المدرسة. أسبوع واحد فقط.



الإثنين، 2 أغسطس، 1993

اليوم الأول في الفصل الدراسي الثاني. أخيرًا، فالبقاء بالمنزل من دون فعل أي شيء أمر ممل. على الأقل في المدرسة يحدث أمر ما كل يوم. في الفسحة اليوم، أخرج "إيجور" من حقيبته نسخة من مجلة إباحية. كان على غلافها صورة لفتاة جميلة، سوداء الشعر، تدعى "بييرا رانييري". ثديها ضخم جدًّا، ومؤخرتها ناعمة، عليها علامة رداء "البيكيني". أشار "إيجور" إليها وشرح أجزاء جسد المرأة المختلفة، فقد أخبره "جاين" بكل شيء. صدمت الفتيات وهددن بإخبار المدرس. ضحكنا، لأنهن لن يتجرأن بالطبع على فعل هذا. ثم أخرج "إيجور" مجلة أخرى من حقيبته، "البرازيل"، كانت هناك صور لأشخاص يمارسون الجنس في أوضاع مختلفة. وعلمنا أين نضع أيدينا وكيف نمارس وقد حاولت حفظ كل ما قاله. كان الرجل في المجلة يتمتع بفحولة زائدة. طلب "جابريل" من "إيجور" استعارة المجلة، لكنه قال إنه يرغب في أخذها إلى درس اللغة الإنجليزية، لأنه يواعد فتاة هناك تكبره بعامين. أخبرت والدي أنني بحاجة إلى درس في اللغة الإنجليزية، رفض لأنه باهظ الثمن وقال إنني أدرس الإنجليزية بالفعل في المدرسة. العودة إلى المدرسة أمر رائع، لكنني لم أر "رابونزل". هل حدث شيء؟



الأربعاء، 11 أغسطس، 1993

تحدثت معي "رابونزل" اليوم. ذهبت إلى المقصف لأشتري كرواسون الشيكولاتة الذي أحبه، وفي طريقي للخروج، مرت بجواري. احتبست أنفاسي. تلفتت حولها حتى تتأكد من عدم وجود أي شخص، ثم اقتربت وأخبرتني أنها ستكون بمفردها بالمنزل يوم السبت، وأن بإمكاني الذهاب إليها إذا أردت. إلى منزلها! بالطبع أرغب في هذا. عندما عدت من المدرسة، كان أبي يجلس على الأريكة ويشاهد التليفزيون، فأخبرته أن "إيجور" يدعوني إلى لعب ألعاب الفيديو في منزله يوم السبت، فوافق.



السبت، 14 أغسطس، 1993

بعد الغداء، أوصلني أبي إلى منزل "إيجور" وقال إنه سيذهب إلى السينما مع صديقه بالعمل، لكنني أعرف أنها صديقته الجديدة، حتى وإن لم يقل هذا. انتظرت حتى ابتعد ثم سرت خلف المبنى، خافضًا رأسي حتى لا يراني أحد. كانت "رابونزل" تنتظرني عند النافذة الأمامية، وعندما وصلت إلى البوابة، فتحتها فأسرعت بالدخول. بدأنا في تبادل القبلات على الفور. لكنها طالبتني بالهدوء وسمتني أميرها. قالت إنها افتقدتني أيضًا. لكنني لست بحاجة إلى التعجل. شممت رائحة السجائر بفمها. لم أكن أعرف أنها تدخن. ولأنها كانت تخشى أن يعود أحد، أخذتني من يدي ودخلنا الجراج، فهو أكثر أمانًا، ليس به نوافذ ولا سيارات. فقط بعض الصناديق والخردة القديمة، ومضاء بشكل خافت بمصابيح السقف. قالت إنه مخبأنا، وعانقتني بشدة. شعرت بإثارة شديدة، وكنت على وشك الانفجار.

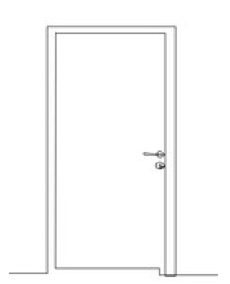
سألتني إن كنت أشرب الخمر، أخبرتها أنني فعلت لمرة واحدة في إحدى الحفلات، عندما طلبت من أبي أن أجرب البيرة فتركني أرتشف البعض. أحضرت "رابونزل" زجاجتي بيرة. فتحت إحداهما وارتشفت منها، ثم فتحت الأخرى ووضعتها بيدي. كان مذاقها سيئًا، لكنني حاولت السيطرة على تعابير وجهي. ثم قربت منضدة خشبية مستديرة وصعدت فوقها، وشبكت ساقيها بكيفية جعلتني أرى سروالها الداخلي، وكل شيء تقريبًا. تحدثت معي وحاولت عدم قول أي شيء أحمق. وعندما كنا نشرب زجاجة البيرة الثالثة، قالت إنها متوترة ولم تفعل ذلك من قبل. فخشيت أن ترحل، فجذبت أربطة ثوب نومها لأسفل، فانزلق عن جسدها. كاشفًا

كل شيء تخيلته. كانت ناعمة ومكتملة الأنوثة، أكثر من أي امرأة في المجلة. جسدها ساخن وله رائحة الفراولة. نزعت قميصي المتعرق، كنت خجلًا من عدم نمو الشعر تحت إبطي، أو صدري، لكنها لم تقل شيئًا. وضعت "رابونزل" يدها خلف رأسي وجذبته ثم لعقت رقبتي. وفعلت المثل ثم بدأت في عض صدرها الصلب الرائع، حركت رأسها وعيناها نصف مغلقتين، نزعت بنطالي ثم سروالي. ثم رأيت فمها يلعقني بعد ذلك. كان لسانها يتحرك بطرق مختلفة، في دوائر، لأعلى ولأسفل. شعرت بحرارة تسري في جسدي. دفعت سائلي خارجًا فلعقته وهي تنظر إليَّ بابتسامة جميلة وتناديني بأميرها مرة أخرى. أحببت هذا، أن تكون "رابونزل" وأكون "الأمير" ولنا مخبأنا الخاص. تحركت نحوي، ورغم ما أصابني من بعض التقزز بعد ما انتهت من فعله للتو، بدأت في تقبيلي.

لقد نظفت أسناني ثلاث مرات، ولم أتخلص من المذاق حتى الآن. لا أشعر بالندم على ما حدث، فقد كان رائعًا. ولا أظن أنني سأستطيع النوم الليلة.



17



كان تليفون "فيكتوريا" يضيء بالتوقيت (11:40) وهي تعيد مشاهدة الفيديو الذي سجلته كاميرا غرفة النوم، مرارًا وتكرارًا. في الدقيقة (11:27) خرجت من غرفة النوم، وتناولت كوبًا من الماء، ووضعت "أبو" على الأريكة، وأطفأت الأنوار. وفي تمام الحادية عشرة ونصف، أغلقت الباب الأمامي خلفها لتخرج لمقابلة "جورج" بالمطعم الشرقي بمركز "كوندور". ظل تصوير غرفة المعيشة ثابتًا كالصورة، لمدة ثلاثين دقيقة، وفي الحادية عشرة وثلاثة وأربعين دقيقة، تم دفع حزمة الورق بسرعة من أسفل الباب. لا بد أن "سانتياجو" كان بالشارع، ربما يختبئ في سيارة، ينتظر خروجها حتى يتسلل إلى داخل البناية ويترك حزمة الأوراق. وبعد قراءتها، حيث كانت تلتهم الأوراق وكأنها تخشى أن تتبخر، كانت "فيكتوريا" في مواجهة مع اليقين المرعب بأن هذا الكابوس أبعد ما يكون عن الانتهاء. حتى وإن وضعت آلاف الأقفال على الباب، فسيجد "سانتياجو" طريقة ليبقى في حياتها إلى الأبد. سيظل يتجسس عليها. هذا

معنى فعلته الأخيرة. إنها على يقين من ذلك. لبرهة، كانت تتمسك بالأمل وظنت أنه قد استسلم، لكن تسلل اليأس إليها الآن.

ذهبت "فيكتوريا" إلى النافذة، وجلست على المقعد، وانحنت لتنظر عبر التيليسكوب. ركزت على محطة البنزين. كان صف من السيارات ينتظر نهاية حفل موسيقي في شارع "ميم دي سا". كان صوت الموسيقى عاليًا لدرجة أنها تستطيع سماعه من على بعد بنايتين. بالتدريج كبرت الصورة لتفحص السيارات المركونة بمحاذاة الرصيف، وأعداد المارة القليلة في الشارع؛ مشردان ينامان أسفل سقيفة، بعض الصبية يدخنون ويشربون الخمر في إحدى الزوايا، وعلى الجانب الآخر، زوجان يتشاجران بأحد المقاهي الفارغة. في الأيام الممطرة كهذه، وحتى الأكثر من ذلك، في أيام الآحاد، كانت "لابا" بالفعل خالية. ركزت على رجل ينام داخل سيارة "فيكترا"، بعد أن أمال مقعد السائق. كان مسنًّا، بلحية بيضاء، يعلق نظارة القراءة في عنق القميص. ربما كان سائق "أوبر" يرتاح قليلًا. لا يمكنها أن تتأكد. فجأة، خطر بذهنها أنها ربما تبحث في المكان الخطأ طوال الوقت. فإذا كان "سانتياجو" مهووسًا بها لهذه الدرجة، لاستأجر شقة بإحدى البنايات المجاورة، حتى يتمكن من متابعة خطواتها من خلال النافذة. أسدلت جزءًا من الستارة، وعبر التيليسكوب، تطلعت إلى شرفات البنايات على الجانب الآخر من الشارع. كان معظمها يغرق في الظلام، في هذا الوقت من الليل. والقليل المضاء يرخي ستائره. مما يعني أنها لن تتمكن من الرؤية بوضوح. وماذا لو أن "سانتياجو" قد استأجر شقة ببنايتها؟ ليس أمرًا صعبًا. فالمستأجرون يتغيرون كل يوم. وهناك

ثلاث أو أربع شقق على الأقل متاحة للإيجار حاليًّا. ولد هذا التفكير القشعريرة بجسدها. خبأت المطواة أسفل وسادتها. وحيث إنها لن تتمكن من النوم، قررت إعادة قراءة مذكرات "سانتياجو" من البداية، بحثًا عن شيء قد أغفلته. وفي غضون دقائق، ذهلت من عثورها على إشارة لـ"صوفيا" في يوم 22 مايو عام 1993. حينما كتب "سانتياجو" ما ذكره "إيجور" عن أنه يستمني كثيرًا عندما يفكر في المعلمات، مثل "صوفيا"، "ساندرا"، و"آنا لويزا". في تقديرها، لا بد أن "صوفيا" كانت في ذلك الوقت في الثامنة عشرة وتعمل مساعدة بالمدرسة. وقد أكدت هذه الجملة حدسها، أن هناك علاقة بين "صوفيا" و"سانتياجو". ولا بد أن طرقهما قد تقاطعت عند نقطة ما.

ألهمها الاكتشاف، فقررت إعادة فحص كل شيء في الصناديق أسفل فراشها. وبعدسة مكبرة، فحصت كل تفصيلة في صورة العائلة بحثًا عن صورة لطفلة أو مراهقة قد تكون "صوفيا". ولم يكن هناك واحدة على الإطلاق. وسط الوثائق، الكثير من الأوراق عديمة الفائدة، فواتير، قسائم دفع مرتبات المعلمين، عقود موظفين، اختبارات مصححة، مسودات لمناهج المدرسة بخط يد "ماورو"، استمارات التقديم والتسجيل للطلاب الجدد، قرأت التاريخ جيدًا، أملًا في العثور على قائمة بأسماء فصل "سانتياجو". ربما كانت "رابونزل" وسط الفتيات. لسوء الحظ، لم يبدُ أي تاريخ مناسبًا. بعد فترة، عثرت على إيصال دفع يعود إلى عام 1993 يحمل شعار المدرسة وعليه توقيع "صوفيا برافو". لم تعرف ما يشير إليه، لكنه كان الدليل المادي الوحيد على وجود عمتها. واصلت "فيكتوريا"

فحص الأوراق، رغم شعورها بالنعاس. فوجدت عقد بيع منزل والديها بعد وفاتهما، بتوقيع العمة "إيميليا"، الوصية الشرعية عليها آنذاك. فأحست بارتجاف جسدها. كيف لم تلحظ هذا من قبل؟ اسم المشتري "ريان فاجوندس موتا". لقد تم ذكر هذا الاسم في مذكرات "سانتياجو". إنها الفتاة التي أغرم بها في شهوره الأولى بالمدرسة، قبل أن يقابل "رابونزل". كانت مصادفة مربكة. ابتلعت "فيكتوريا" ريقها بصعوبة، لقد اشترت الفتاة التي أغرم بها "سانتياجو" منزل والدها.

شعرت "فيكتوريا" بالتوتر عندما عبرت سيارة الأجرة منطقة كتيبة الشرطة العسكرية رقم 17. وبينما كان يبطئ من سرعته ليتخطى مطبي سرعة ليتوقف، استرجعت مزيجًا من العواطف المؤلمة، جعلتها تتصبب عرقًا. لقد هبطت هذا الشارع عدة مرات مع والديها وأخيها في طريقهم إلى المنزل. وتلك الكتيبة من الشرطة العسكرية هي من استجابت لاتصال العمة "إيميليا" عندما عثرت على الجثث في المنزل. استعادت وبقوة أكثر مما فعلت منذ سنوات وجه أمها المغطى بالطلاء، وحلقها المذبوح.



نظرت "فيكتوريا" التي تجلس بالمقعد الخلفي بجوار "جورج" في عينيه. بعد أن أمسكت يده، لتسأله للمرة المليون إن كانت تفعل الصواب. في الصباح، أرته صفحات المذكرات الجديدة، وأخبرته عن عقد البيع. وعندما اتصلت برقم التليفون المدون به، أجابت "ريان" بنفسها، ودعتها لتناول القهوة، بعد أن أوضحت لها "فيكتوريا" سبب المكالمة. لم ترغب "فيكتوريا" في العودة إلى جزيرة "جوفيرنادور"، لكنها فرصتها لتعرف

المزيد عن "سانتياجو" و"رابونزل". لم تذهب إلى تلك المنطقة منذ سنوات، وكانت تخشى من تأثير العودة فيها. فبجانب ألم المعدة الشديد، كشفرة تقطع أمعاءها، انتابها ألم رهيب ومفاجئ في قدمها اليسرى، فحدسها يخبرها بصوت عالٍ وواضح ألا تذهب إلى هناك.

أسندت رأسها إلى نافذة سيارة الأجرة، ودهشت حينما أدركت أن ذكرياتها لا تختلف كثيرًا عن الواقع. لقد تجمد الزمن في المنطقة. سارت السيارة في الشارع بمحاذاة نهر "جيكيا"، بمياه خليج "جوانابارا" الهادئة على اليمين. حيث تصطف قوارب الصيد الصغيرة على طول الشاطئ. وعلى البعد نادي "ريو - أ. س. م." محاط بالسياج، ملاعب التنس، وكرة السلة، وكرة اليد، وحمامات السباحة التي كانت تذهب إليها عندما كانت في الثالثة من عمرها. انعطفت سيارة الأجرة يسارًا، داخل شارع "مالدونادو" وواصل حتى ميدان "إيا جارسيا"، المليء الآن بالمطاعم والمخابز والأكشاك منذ انتقلت محطة العبارات من وسط "ريو" إلى هناك. سابقًا، كان طابع المكان قرويًّا أكثر تملأه الأزهار، والقليل من المحال. منطقة سكنية تتكون معظم منازلها من طابقين، ببوابات منخفضة ونوافذ بأعمدة. بجراج في الخلف، وحديقة أمامية، مثل منزل والديها. كانت الشرفات تطلى بدرجات اللون الأبيض أو البيج. وبوجه عام، تزين الأرضيات السيراميك بألوان الباستيل. كان مبنى مدرسة "الأيكون" أطول المباني بالمنطقة، بطوابقه الستة، وموقعه في شارع "كامبو دا ريبييرا" على ناصية شارع "مارشال فيريرا نيتو" تمامًا. ولا

بد من المنعطفات حتى تصل إلى منزلها القديم. وبينما يقتربون، فكرت في التراجع، لكنها أجبرت نفسها على الصمود ومواجهة أي ما كان.

قالت لسائق سيارة الأجرة:

- توقف هنا لحظة.

نظر إليها "جورج" مندهشًا، ثم سألها:

- هل أنت واثقة من رغبتك في فعل هذا؟

كانت تخشى ألا تستطيع النزول من السيارة، لكنها قررت ألا تستسلم. فنزلت مع "جورج"، لتجد أن سور المدرسة قد تم استبداله ببوابة خضراء، وتحول الفناء إلى جراج، وتم طلاء الواجهة باللون الأبيض مع نقش ذهبي، وعدد من المصلين يحتضنون الكتاب المقدس، يخرجون ويدخلون من الكنيسة الإنجيلية العالمية. وقبل عبور البوابة، توقفت، وضغطت على ذراع "جورج" وهي تشعر بدوار. وترددت كلمة "الموت" في رأسها. فعادت إلى سيارة الأجرة في صمت. التفوا حول المبنى وصعدوا شارع "لورينزو دي فيجا" قبل أن تستدير سيارة الأجرة إلى اليمين، داخل شارع "مالدونادو" وتتوقف أمام منزلها القديم. كانت قدمها الاصطناعية تحترق، وكأن بها عروقًا ترتجف. ودت لو خلعتها وألقتها من النافذة، لكنها لم تفعل. وبدلًا من ذلك، حلت أحد أزرار قميصها. حتى تتمكن من التنفس بسهولة. وعندما نظرت خارج النافذة، كان الشارع هادئًا. وبدا بيت "تريسينا" التي توفيت منذ عدة أعوام مهجورًا. في حين أن منزل والديها قد اكتسى بلون آخر وسياج جديد. وعلى بوابته، لافتة

قذرة كتب عليها "للإيجار". لقد مات كل شيء، هكذا فكرت "فيكتوريا". لم يتبقَّ سوى الشجرة التي كانت تفضلها وهي صغيرة، لكنها تبدو أقصر الآن، محصنة ضد مرور الزمن. في مراهقتها، كانت تحب القراءة في الساعات المبكرة من الصباح، وبخاصة كتب الخيال العلمي الكلاسيكية، وعلى رأسها كتب "إيزاك أسيموف" و"فيليب ك. ديك". وكذلك كتب الفانتازيا مثل "سيد الخواتم" و"هاري بوتر"، التي قرأتها وهي في المدرسة. وظلت لفترة طويلة تحلم بأن تتلقى خطابًا من مدرسة "هوجارت" لتترك ماضيها المشين خلفها، فهي يتيمة مثل "هاري"، فربما هناك فرصة جيدة. لكن لسوء الحظ، لم يصل الخطاب قَطُّ. عندما قرأت الرواية، تخيلت شكلًا بسيطًا للشخصيات، لكن عندما شاهدت الفيلم المقتبس عن الرواية، لم تجد أي تشابه بين خيالها واختيار الممثلين. هذا ما أحسته نفسه مع "ريان"، التي وجدتها تتكئ على الأثاث وهي تقودهما إلى داخل المنزل ليشاهدا التغيرات التي أحدثتها هي وزوجها. ورغم عدم انتصاف النهار، لاحظت "فيكتوريا" ترنحها بسبب الخمر، وأكدت عيناها الناعستان، ونطقها البطيء، وصوتها المختنق ذلك. هناك تحول سيئ في حياتها، استبدل تلك الشخصية بالمذكرات بهذه المرأة ذات المظهر الرديء. والتي تتظاهر بالتماسك، بشعرها الأشعث المرفوع إلى أعلى، وإرهاق وجهها الدال على أنها لم تنل قسطًا كافيًا من النوم منذ شهور. كانت تبدو في عمر الخمسين، بينما لا يمكن أن تكون قد تخطت الخامسة والثلاثين.

في الدور الأرضي، أوضحت أنها قد هدمت الجدار الفاصل بين غرفة السفرة والمطبخ. وبقدر ما حاولت "فيكتوريا"، إلا أنه كان من المستحيل

ألا تتأثر عاطفيًّا. فهناك الكثير من الذكريات. سور السلم الذي كانت تحب الانزلاق عليه، أرفف غرفة المعيشة التي كانت تحب أمها تعليق التماثيل عليها، ركن العقاب الذي قضى "إيريك" به فترة طويلة، المرآة الكبيرة التي اعتادت النظر إليها وهي تلعب مع أبيها. وبجوار السلم، كان بيت الدمى، منزلها داخل المنزل. لكنه أصبح الآن بارًا صغيرًا. تطلعت "فيكتوريا" إلى أسماء الزجاجات.

سأل "جورج" وهو يحاوط خصرها بذراعه:

- بماذا تشعرين؟

زمت شفتيها، وبتأدب ابتعدت قائلة:

- أنا بخير.

أوضحت "ريان" بعد أن جلست على الأريكة وأشعلت سيجارة أنها تعيش بمفردها منذ ستة أشهر، بعد أن رحل زوجها. ثم أضافت:

- أريد الانتقال إلى مكان أفضل، لهذا عرضت المنزل للإيجار، لكنني أرغب في بيعه أيضًا. هل ترغبين في شرائه؟

فركت "فيكتوريا" يدها المتعرقة، كانت فكرة سخيفة، هزت رأسها نافية.

قالت "ريان"، بتجهم:

- اعتقدت هذا أيضًا. أيام الإثنين من أسوأ أيام حياتي. أفكر به جالسًا على الأريكة، ممددًا ساقيه على المنضدة، يشرب البيرة ويشاهد نشرة الأخبار في التليفزيون. الصمت يقتلني.

سأل "جورج":

- هل درس زوجك أيضًا في مدرسة "الأيكون"؟

قالت بكبرياء، لشهرة المدرسة التي يديرها قساوسة كاثوليك في "ريو":

- لا، في مدرسة "سان بينتو".

- منذ متى وأنت تعيشين هنا؟

قالت وهي تنظر إلى البار:

- خمسة عشر عامًا.. لقد اشترينا المنزل بمبلغ زهيد عندما تزوجنا. فكما تعرف، لم يكن يرغب أحد في شرائه، بسبب ما حدث.

ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت:

- هذه حماقة بالطبع، لكن الناس تؤمن بالخرافات.

- هل كنت تعيشين بالحي وقت وقوع الجريمة؟

- منزل والدي بالقرب من هنا. لا تزال والدتي تعيش هناك.

- وأين كنت تلك الليلة؟

- لا أعرف، كانت ليلة مثل كل الليالي. أتذكر فقط اليوم التالي، عندما أخبرونا بإلغاء اليوم الدراسي. وعرفنا ما حدث.

أطفأت "ريان" السيجارة في المطفأة، ووضعت أخرى بين أسنانها، وأشعلتها بولاعة معدنية، وهي تنظر مباشرة إلى "فيكتوريا"، فأحست وكأنها تدينها بتلك النظرة، فتوترت.

سألت "فيكتوريا":

- هل كنت تعرفين أن "سانتياجو" يحبك؟

قالت "ريان" وهي تتكئ على بعض الكتب على المنضدة الصغيرة:

- لقد أحبني الكثير من الصبيان، فقد كنت جميلة. لم ينتهز "سانتياجو" أي فرصة معي، لقد كان خجولًا، ونحيلًا، نحيف الذراعين، وعلى وجهه نظرة بلهاء. كنت دومًا أعشق الرجال الأقوياء. وقد كان مجرد صبي. حتى عندما بلغ السابعة عشرة، وعندما فعل فعلته، كان لا يزال يبدو كصبي نحيف، بشعره الناعم المنسدل فوق جبهته، وصوته المزعج.

- وهل لاحظت أي تغير به بمرور السنين؟

- أي نوع من التغير؟

- حسنًا، لقد واعد فتاة، تدعى "رابونزل".

قالت ساخرة:

- "رابونزل"؟ حقًّا؟

أوضحت "فيكتوريا":

- إنه اسم مستعار. كان "سانتياجو" على علاقة بها. هل يمكنك تذكر من هي؟

فكرت "ريان" وهي تنفث دخان سيجارتها. ثم تجاهلت الأمر قائلة:

- ليس لديَّ أدنى فكرة.

نهضت واتجهت نحو البار لتحضر لنفسها كأسًا من الويسكي وسألت:

- هل يرغب أحد في تناول كأس؟

رفض "جورج"، نظرت نحوه "فيكتوريا" ثم نظرت إلى الزجاجة، في الحقيقة، كانت ترغب في قول "أجل"، فرشفة واحدة فقط ستساعدها على الاسترخاء.

كررت "ريان"، بإلحاح:

- هل ترغبين؟

هزت "فيكتوريا" رأسها نافية. وحاولت ترتيب أفكارها. نقلت انتباهها إلى الكنبة، ووضعت يدها على ساقها الاصطناعية، في محاولة للاسترخاء. ثم قالت:

- كان لأبي أخت، تعمل بوظيفة مساعدة في المدرسة، هل تعرفينها؟

- لست واثقة.

- اسمها "صوفيا".

- لا أتذكر أي "صوفيا".

كانت "ريان" عديمة الجدوى أكثر مما تخيلت "فيكتوريا"، بالإضافة إلى كونها سكيرة. سألت:

- ماذا عن "إيجور"، هل تذكرينه؟

جلست ثانية، وشبكت ساقيها.

- "إيجور"؟ لا أظن.

- كان فتى مشهورًا بالمدرسة. لقد تبادلتما القبلات خلال أسبوع النشاط في الصف السادس.

أغلقت "ريان" نصف عينيها، وهزت رأسها. أعطتها "فيكتوريا" الصورة التي عثرت عليها داخل الدفتر، لثلاثة صبية بالزي المدرسي، لا بد أنهم بالفسحة نظرًا إلى تعرق أجسادهم، وملابسهم المجعدة، والفناء خلفهم. كان "سانتياجو" يرفع إحدى ذراعيه بشكل عشوائي بينما يضع الأخرى على كتفي أصدقائه. الصبي الذي يتوسطهم أفضلهم مظهرًا، بشعره الأشقر، وعينيه الخضراوين اللامعتين، وابتسامته الصفيقة. كانت وقفته، وتشبيكه لذراعيه، من دون استناده إلى أي من أصدقائه، تمنحه مظهر القائد. أما من يقف على اليسار فهو يشبه "سانتياجو" رغم أنه أقصر قليلًا وممتلئ الجسم، بكتفين عريضتين وجبهة بارزة.

قالت "فيكتوريا" وهي تشير إليهم:

- لا بد أنه أحدهم.

نظرت "ريان" إلى الصورة بينما تسحب نفسًا من السيجارة. اختنقت ثم سعلت ببحة خففتها بجرعة ويسكي، قالت وهي تضع الكأس على المنضدة:

- يا إلهي، لقد تذكرته الآن. كيف نسيته؟ إنه هذا.

وأشارت إلى الصبي في المنتصف، وهي تلمس الصورة بتأثر شديد:

- كان لطيفًا للغاية.

قالت "فيكتوريا":

- كان "إيجور" و"سانتياجو" صديقين في الصف السادس.

- أجل، والآخر يدعى "جابريل"، والدته صديقة حميمة لوالدتي، فهما جاران. يمكنني محاولة الحصول على رقم تليفونها لاحقًا إذا أردت.

قال "جورج":

- أجل من فضلك.

واصلت "فيكتوريا":

- ثلاثتهم قاموا بطلاء الحوائط، والسيارات، وأشياء من هذا القبيل. هل ظلوا أصدقاء بعد مغادرة المدرسة؟

ابتسمت "ريان" نصف ابتسامة، كاشفة عن أسنانها السوداء قائلة:

- ألا تعرفين؟ لقد انتحر "إيجور" ذلك العام.

استغرقت "فيكتوريا" لحظة لتستوعب المعلومة:

- ماذا؟

قالت "ريان" دون الانزعاج من إخفاء سعادتها بقصها لتلك القصة:

- في شهر سبتمبر، على ما أعتقد. ألقى "إيجور" بنفسه من الطابق الخامس بالمدرسة وسقط بالفناء في أثناء الفسحة. استدعوا الإسعاف، لكن الوقت كان قد فات. فقد مات فور سقوطه، افترضوا أنه قد تسلق النافذة إلى الخارج ليطلي واجهة المدرسة فسقط من دون قصد.

ظل "جورج" و"فيكتوريا" صامتين، فواصلت:

- حينها، انتشرت شائعة أنه سيتم إغلاق المدرسة بسبب الحادث. لكن لم يحدث. فقط وضعوا أقفالًا على النوافذ. مفاتيحها مع المعلمين فقط.

- ولماذا قلت إنه انتحر بدلًا من قول إنه قد سقط؟

- لأن هذا ما أعتقده. لكنني لا أستطيع إثباته.

- هل كان "إيجور" يكره المدرسة؟ أو هل كان يعاني مشكلات؟

- لا أعرف.

- وأنت؟ هل كنت تحبين المدرسة؟

قالت:

- كانت الـ"أيكون" مثل أي مدرسة أخرى، كالجحيم.





"لا تتوقف "فيكتوريا" أبدًا عن إدهاشي. لم أتصور مطلقًا أن تستطيع العودة إلى جزيرة "جوفبرنادور". لكنها هنا، في المنزل الذي بدأ فيه كل شيء. أحيانًا، أتمنى دخول رأسها لأفهم كيف تفكر. كيف تشعر. كيف تتصرف. ثم أغير أمرًا أو اثنين لأجعل كل شيء مثاليًّا. لكنَّ الاثنين الآخرين يعوقان طريقي. يحاوطانها، يساعدانها، ويقدمان لها النصيحة. ربما يجب أن أنظر إليهما وكأنهما قطع على رقعة الشطرنج. وأستخدمهما لصالحي. وإذا شكلا تهديدًا كبيرًا، أزيلهما مرة واحدة وللأبد. ما زلت واثقًا أن كل شيء سيسير على ما يرام، لا يمكنني أن أغضب، ليس الآن. حتى ولو لم تعرف، فقد اقتربت جدًّا، اقتربت من الحقيقة، ومني. أرى "فيكتوريا" تعبر البوابة بعد أن ودعت "ريان" وبتوتر تسير نحو سيارة الأجرة، التي تنتظرها بإشاراتها الوامضة. فجأة، خطرت لي فكرة ملأتني حماسًا، كيف لم أفكر في هذا سابقًا؟ يبدو الأمر شديد الوضوح الآن! كتمت أنفاسي، وحاولت البقاء هادئًا. خفضت نظري متخيلًا القادم. لن يستغرق الأمر كثيرًا، ليس لوقت طويل".

18



اتصلت "فيكتوريا" بـ"بيلي" وطلبت إجازة. سألها باهتمام إن كان هناك أي أخبار عن "سانتياجو". فأكدت له أن كل شيء على ما يرام. لكنها بحاجة إلى الراحة قليلًا. فأمور كثيرة تحدث دفعة واحدة. في الطريق إلى المنزل، عانقت "جورج"، وارتاحت على صدره العريض، فبدت الشامات على عنقه كمجموعة من النجوم. حاولت إحصاء عددها في صمت، حتى تهدأ قليلًا. لكن هذا كان مستحيلًا.

كان يشغل تفكيرها أن صبيًّا في الثانية عشرة من عمره قد انتحر في مدرسة والديها. لماذا لم تسمع عن هذا قَطُّ؟ صحيح أنها لم تكن قد ولدت حينها، لكن رغم ذلك، كان لا بد أن تعرف.. كيف لم تذكر العمة "إيميليا" هذا؟ لقد تغير شيئًا في نفس "فيكتوريا" بعد تلك المحادثة. فحتى ذلك الوقت، كانت تتخيل "الأيكون" جنة، مكانًا مثاليًّا دمره "سانتياجو". لكنها لم تعد كذلك الآن.

عندما وصلا إلى "لابا"، نظرت عبر النافذة إلى الشارع المزدحم، إلى الموظفين، وأصحاب المحلات، ومجموعات المراهقين. يمكن أن يكون

"سانتياجو" وسطهم ولن تعرف أبدًا، شعرت بالعجز. أمام بنايتها، قبلت "جورج" قبلة سريعة وودعته ثم نزلت من سيارة الأجرة. استنشقت هواء وسط المدينة الملوث. وسارت بسرعة نحو المدخل، لكنها توقفت عندما رأت صبيًّا صغيرًا، يقف جانبًا ويبتسم بطريقة خبيثة وشيطانية. تراجعت "فيكتوريا" ووضعت يدها في جيبها، بحثًا عن المطواة. اقترب منها الصبي، تقطعت أنفاسها، فكرت في الصراخ، لكنها لم تفعل بل أغلقت عينيها بقوة، وأمسكت بشدة المطواة. كانت ضوضاء الشارع تعذب طبلة أذنها، وتفسد أي محاولة للتفكير. انتظرت لكنه لم يتقدم نحوها. وعندما فتحت عينيها، كان بالفعل يسير على الجانب الآخر من الشارع مبتعدًا. بدت الثواني المنقضية وكأنها دهر. كانت سيارة الأجرة لا تزال أمام بنايتها، فركضت نحو نافذتها متقطعة الأنفاس مترنحة، فزع "جورج" وسألها:

- ماذا حدث؟

- لا شيء، فقط أن..

فجأة غيرت رأيها:

- هل ترغب في الصعود معي؟

وافق "جورج"، بمزيج من المفاجأة والدهشة. كانت المرة الأولى التي تدعوه فيها "فيكتوريا". ولتميز المناسبة، عرض طهي طبقه المفضل، الإسباجيتي بصوص الطماطم.

كانا يتضوران جوعًا. وبينما كان "جورج" يضع الماء لتسخينه، انتهزت "فيكتوريا" الفرصة لتخبئ "أبو" وباقي حيواناتها ذات الفراء،

وزواحفها، ومجموعة الأشرطة في الخزانة. وجعلت التليفزيون على وضعية الصامت، وبدلت قناة الكارتون التي تشاهدها دائمًا. عندما جلس على الأريكة، وضعت رأسها على ساقيه. كان وجه ذلك الصبي في الشارع، نظرة "ريان" الاتهامية، الحي المتجمد عبر الزمن.. كل هذا يشعرها بالاختناق. هل أصيبت بالبارانويا؟ فكرت في كأس من الويسكي وسال لعابها. ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم جلست ثانية. كان "جورج" على بعد بوصات من وجهها. قالت بشجاعة:

- يجب أن تنصت إليَّ.

ومن دون تفكير، أخبرته بمشكلتها مع الكحول. لم تتوقف لتلتقط أنفاسها. ورغم فوران الماء وسقوطه على الموقد، فإن "جورج" لم يقاطعها. وفي النهاية، أكدت أنها قد توقفت منذ عامين، لكن لا يزال هذا يشكل تحديًا. وكل يوم يمر بلا شرب للخمر إنجاز. ابتسم "جورج" مداعبًا وجنتها قائلًا:

- شكرًا لك لإخباري.

وفي الحال بدا شاردًا وقلقًا، فسألته:

- ما الأمر؟

قال باعتيادية:

- لا شيء، لا تقلقي.

واحتضنها ثانية، قائلًا:

- أنا محظوظ لأنني قابلتك.

لم تفهم "فيكتوريا" السبب وراء قوله هذا لكنها فضلت ألا تسأل.

ظلا صامتين، تنفسهما متزامن. وبعد برهة، نهضت لتذهب إلى الحمام، واتجه "جورج" إلى المطبخ لطهي الإسباجيتي. لم يكن من السهل مصارحته، مثلما لم يكن من السهل العودة إلى المنزل الذي شهد أسوأ لحظات حياتها. لكنها نجحت في فعل هذا. وهي تشعر أنها أقوى الآن.

نظرت في المرآة، قررت خلع حمالة صدرها. التي كانت تجرح جلدها طوال الساعة الماضية. استندت إلى الحوض، وخلعت بنطالها الجينز أيضًا. ووقفت هناك بقميصها وسروالها الداخلي. لا تتسق ساقها الاصطناعية المعدنية مع باقي جسدها. بدت كنصف إنسان ونصف آلي. أسعدتها المقارنة وظنت أنها جميلة هكذا. فليست بحاجة إلى أن تصبح كاملة. ففي النهاية، من منا كذلك؟ فتحت باب الحمام، وسارت بالردهة. نظرة الدهشة على وجه "جورج" عندما رآها نصف عارية، تطوي ذراعيها على صدرها، ملأتها شجاعة. اتجهت نحوه، ثم انحنت على الرخامة. همست:

- أريدك.

بعدم تصديق لما تقوله، أغلق الموقد وقبلها. تجولت يده الساخنة على جسدها. تمددت على الأريكة فنظر إليها بإعجاب. ثم اقترب منها وقبلها. نزع عنها قميصها وخلع نظارتها ووضعها على المنضدة الصغيرة. شعرت "فيكتوريا" بقليل من التوتر، بسبب لعابه، وصياحه بسبب إثارته إثر

تقبيل عنقها. كان ثقل جسده يقطع أنفاسها. تراجع للخلف ليتأكد أنها بخير. قالت:

- استمر.

في محاولة منها لاستيعاب كل الشعور الذي تختبره. ثم انتقلا إلى غرفة النوم، كانت "فيكتوريا" خائفة وقلقة. لكنها أرادت تصديق أن الأمر يستحق. وبينما يلعق نهديها، نظرت إلى رأسه التي تتحرك في أنحاء جسدها. لهثت عندما حاول "جورج" التمادي، لكنه تراجع ووعدها بأخذ الأمور بروية. تشوشت الرؤية، تمعنت في كل ملمح بوجهه؛ عينيه اللامعتين، فمه المشدود ووجنتيه، فتحتي أنفه الملتهبتين. اعتلته لتتحكم في الأمر. ورغم عدم شعورها بالراحة، فإن نظرة "جورج" المنتشية زادت من سعادتها. كما لو أن هناك تيارًا كهربائيًّا يسري بجسدها. بعدها بدقائق، صاح "جورج" من السعادة والمفاجأة. فتحركت لتستلقي في قمة السعادة. كان أمرًا لا يصدق. لأول مرة في حياتها تصل إلى تلك الحميمية مع شخص. شعرت وكأنها قد اكتشفت شيئًا إضافيًّا عن نفسها. إلى جوارها، كان "جورج" يلتقط أنفاسه بينما يعانقها معتذرًا عن تسرعه. لم تعرف ماذا تجيبه. نظرت إليه وهو يستلقي متعرقًا على الفراش. كانت تشعر بالخجل وبالقوة. كانت تشعر بأنها امرأة.



19



لاحظت "فيكتوريا" التغير الذي طرأ على حجرة الكشف. فالصور على الحائط جديدة، وقد تم تغيير لوحتي المناظر الطبيعية بصورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود لعين من خلال عدسة مكبرة مشوهة، وأخرى لأوراق شجر جافة فوق أرضية من الطوب القديم. لم تعجبها الصور، وبخاصة صورة العين، التي بدت وكأنها تراقبها. كانت اختيارًا مقيتًا لمكان يبوح فيه الأشخاص بأدق أسرارهم. فوق المنضدة، كانت هناك زهرية زجاجية بها زهور بيضاء. تضفي لمسة شاعرية خاصة على الغرفة.

علق الدكتور "ماكس" عندما رآها تحدق إلى الزهور:

– هدية من أحد المرضى.

لم تهاده "فيكتوريا" قَطُّ. فلم يخطر ببالها أن الأطباء النفسيين يمكنهم قبول الهدايا. للحظة شعرت بالجحود لأنها لم تشكره على كل ما فعله من أجلها. أرادت أن تعتذر لكنها صمتت. وعندما جلست في مقعدها، أحست أن مقعد الطبيب أكثر قربًا من المعتاد. فنظرت إليه، وهي تباعد

بين ساقيها وتضع يديها عليهما. وبتعبير هادئ على وجهها، بررت سبب إلغاء الجلسة السابقة. وأطلعته على الأحداث الجديدة، المذكرات التي ألقيت من أسفل عتبة بابها، وقرارها بالعودة إلى منزل والديها بعد عشرين عامًا للتحدث مع "ريان". لم يبدُ متفاجئًا، فقط ابتسم بهدوء وسألها عن شعورها حيال ذلك.

- صعب.

قال بتعاطف:

- أتصور هذا. وماذا أيضًا؟

- في الحقيقة، كنت أظن أن شعوري سيكون أسوأ بكثير.. في لحظة، اعتقدت أنني لن أستطيع فعل هذا، لكن عندما كنت هناك، بخلاف شعوري بالرهبة، بدا كل شيء بعيدًا كل البعد عما عرفته وعشته. المدرسة، منزل والدي.. وكأنه عالم آخر.

أخبرته عن وفاة "إيجور"، وذكرت أنها تخطط للتحدث مع "ميريلا" والدة "جابريل" بمجرد أن تعطيها "ريان" رقمها. فقال:

- يمكنني الذهاب معك إن أردت.

قالت مترددة، وهي تخفض نظرتها:

- ليس هناك حاجة. فسيذهب "جورج" معي.

ابتسم الدكتور "ماكس"، مشبكًا أصابعه:

- بالطبع، بالطبع. كيف الحال معه؟

قالت بتلقائية قدر الإمكان إنهما سعيدان معًا. لكنها لم تشعر بالراحة في الاعتراف بفقدان عذريتها. فهي تجد التحدث مع طبيبها النفسي في أمر كهذا شديد الغرابة.

واصلت بتردد:

- لقد دعمني في كل ما حدث. من الجيد وجود شخص مثله إلى جواري.

قال الدكتور "ماكس":

- من الرائع أن تتحملي مسؤوليات جديدة، وتواجهي ماضيك. لكن التطرف في المشاعر أمر خطير. فبالنسبة إليك، إما كل شيء، وإما لا شيء. ففي زيارة حي والديك، لم تشعري بشيء. لكنك مع "جورج" تشعرين بكل شيء. الاندفاع هو ما يحركك. هل فكرت لماذا تتصرفين هكذا؟

أزعجها سؤاله بشدة. واصل الطبيب النفسي حديثه قائلًا:

- كل شخص يؤدي دورًا في حياتك يا "فيك". ذلك الكاتب، وجارك، ومديرك، و"أروز"..

- وأنت أيضًا؟

- وأنا أيضًا. و"سانتياجو"، بالطبع.

- لا يؤدي "سانتياجو" أي دور في حياتي.

- إنه يحاصرك لتستسلمي، يقتحم منزلك، يطلي حائطك، يلقي بأوراق من مذكراته أسفل بابك. كما لو كان يرغب في الإيقاع بك كأسيرة، ويقيم حوارًا معك.

- وماذا لو أنني لا أرغب في التحدث إليه؟

قال الدكتور "ماكس" بجدية:

- ربما لا تستوعبين الأمر. لكن بمتابعتك لكل هذا، فأنت تفعلين.



وصلت "فيكتوريا" إلى العمل مبكرًا. لم يكن المقهى مزدحمًا. لقد كانت فترة الهدوء بين فوضى الإفطار وفوضى موعد الغداء. سألتها "مارجو" عن أحوالها. لكن لم يكن لديها رغبة في التحدث. لقد أصابتها جلسة الدكتور "ماكس" بالتوتر الشديد. لأول مرة في حياتها، تفكر في البحث عن طبيب آخر. أو ربما تتوقف عن الجلسات وتكتفي بتناول الأدوية. فإذا كان بحاجة إلى اختبار تلك المناهج المباشرة، فليبحث عن فأر تجارب غيرها. فقد تعبت وسئمت من هذا.

ما تلا ذلك من أيام كان صعبًا على "فيكتوريا"، التي أحست بشعور فريد من الحرية عندما عاشرت "جورج". لكنها كانت بحاجة إلى بعض الوقت لتقيم شعورها. قالت له ذلك بوضوح في أثناء موعدهما مساء الخميس. فما زالت تعاني بعض المشكلات في الحميمية الزائدة. ورغم تفهمه للأمر، لكن سرعان ما اختلفت تصرفاته. فبدا منزعجًا في بعض اللقاءات، مشتتًا، وفي لقاءات أخرى، كان متوترًا وقلقًا. يحدق إليها كما لو كان يريد إخبارها شيئًا. لكنه ظل رومانسيًّا ومرحًا، يمدحها ويبوح بحبه. وعندما يتأخر، يعتذر مبتسمًا ويسألها بالجملة التي أصبحت مزحتهما: "هل كنت تنتظرين؟" لكنه توقف عن المجيء إلى المقهى في

المساء، بحجة أن لديه ترجمة يرغب في الانتهاء منها. استمرت الاتصالات بينهما، والمقابلات من حين إلى آخر. لكنها أحست أن شيئًا قد تغير. حاولت ألا تحزن، فالهدوء بعد تلك البداية المندفعة لا يعني الفشل، وعمومًا، لديها ما يكفي لتقلق بشأنه. لقد كان تحذير الدكتور "ماكس" صائبًا، بقراءة مذكرات "سانتياجو"، وبالبحث عن شخصيات من الماضي، كانت تشارك القاتل لعبته. ربما كان نبش الماضي هو بالضبط ما يريد "سانتياجو" أن تفعله. أحيانًا، كانت تفكر في نسيان كل هذا وإشعال النار في دفتر المذكرات، لكنها لم تستطع فعل ذلك.

في إحدى العطلات الأسبوعية، قررت البحث في تحقيقات الصحف القديمة عن الجريمة. ولدهشتها، اكتشفت أن كل ذكرياتها عن تلك الفترة، الخاصة بالمنطقة، والمدرسة، والمنزل، استقتها من صور الجرائد التي شاهدتها في السنوات التي تلت الحادثة، بوابة المدرسة، فناء المنزل، ممر السيارات على أحد الجوانب، وحتى الساحة المحلية، من تلك الصور بالأبيض والأسود، أسفل عناوين رئيسية براقة، قرأت المقالات بحرص، لكن لم يتم ذكر "صوفيا" في أي جريدة. اتصلت بـ"ريان" ثانية، لترى إن كانت قد حصلت على رقم والدة "جابريل". وبصوت بطيء، كما لو أنه قادم من زجاجة "جين"، اعتذرت "ريان" عن التأخير، قائلة إن الأسابيع القليلة الماضية كانت جنونية، حيث نجحت أخيرًا في تأجير المنزل وانتقلت في عجلة إلى آخر. ووعدتها بأن تتصل بها في القريب وتعطيها رقم تليفون "ميريلا". وبوجودها وحيدة بالمنزل، كانت في الساعات المبكرة من الصباح تقف أمام النافذة، تشاهد المارة عبر التيليسكوب، أو وسط

قصاصات الأوراق، وتقارير الجرائد القديمة، والصور، تحدق إلى باب شقتها المغلق، المغطى بالأقفال والمزاليج، كما لو كان سينفجر مفتوحًا في أي لحظة. كان صمت "سانتياجو" يعطل حياتها، ويصيبها بالكوابيس العنيفة في الليل، كشخص لا يملك سوى انتظار الموت.

يوم الأحد، اتصل "أروز" بـ"فيكتوريا" يدعوها لمعاينة شقة بجوار محطة مترو "كارديال أركوفيردي" فقبلت الدعوة. وسط طوفان من أشخاص نصف عرايا، يحملون المبردات وكراسي البحر ويسيرون باتجاه الشاطئ بجلبة كبيرة، يلاحقهم مزيج من روائح البطاطس المقلية وهواء البحر والعرق والرمل، مما أصابها بالصداع، رأت "أروز" يقترب. وكأنه من كوكب آخر، فقد كان يرتدي جينز غامقًا وقميصًا أسود بأكمام طويلة، عليه شعار "دي سي كوميكس"، يتصبب عرقًا من صدغيه وعنقه، حتى وهو يرفع شعره الطويل على شكل كعكة فوق رأسه النحيل.

زارا شقة للإيجار في شارع "دوفيفيير"، تسكنها ثلاث سيدات لطيفات للغاية، أوضحن كل شيء يخص تكلفة الخدمة والمرافق. وأخذنهما في جولة عبر الغرف، التي شملت مكتبة ضخمة بمجلدات عفنة الرائحة، وغرفة نوم أدهشت "فيكتوريا" بحائطها المغطى بصور إعلانية لفرق موسيقية من الثمانينيات. سألت أكثرهن فطنة إن كانا زوجين فعلًا. فأكد "أروز" أنهما كذلك وأمسك بيد "فيكتوريا" ليقبلها. قضيا فترة قليلة بالشقة، لكن إلقاء نظرة على حياة الآخرين الخاصة لم تعد مسلية كما كانت بالنسبة إليها. بينما يهبطان بالمصعد، دعاها "أروز" إلى منزله لتناول "إستروجانوف" سادة كالأيام الخوالي، فوافقت لأنها جائعة.

وكانت شقته كما هي، فوضوية، مليئة بأشياء عجيبة في أماكن غريبة، في الحمام، كانت هناك قائمة ترشدك كيف تتبول واقفًا في زي "الجيداي"، وستارة دموية بلاستيكية لمحبي فيلم "سيكو - المجنون". وبعد أن اختار موسيقى الموجة الجديدة لتشغيلها بينما يطهو وقدم الطعام لكليهما، قال إنها تبدو محبطة قليلًا وسأل:

- هل لا يزال هناك من يهددك؟

ترددت في الإجابة، وشعرت بالحرج والقلق. لقد نجح "سانتياجو" في تعذيبها. في تلك اللحظة، ودت لو تخبر "أروز" بكل شيء، وتكسر الحاجز السخيف لصداقتهما، لكن لم يكن الأمر بتلك السهولة. كانت تشعر بالتعب لمجرد التفكير في هذا، فاضطرت إلى قول:

- أنا بخير.

- و"جورج"؟

ترددت للحظة، ثم قالت محرجة، لتغلق الحديث في هذا الموضوع:

- نحن نحب بعضنا يا "أروز".

ثم ذاقت "الإستروجانوف" وجاملته قائلة:

- إنه جيد حقًّا.

أجاب ساخرًا:

- بعض الأشياء لا تتغير.

- حدثني عنك.

كاد يختنق وهو يبتلع طعامه، ثم سعل وقال:

- عني؟

- أجل، عنك. من أين أتيت؟ ماذا عن عائلتك؟ وكيف أصبحت على ما أنت عليه؟

ترك السكينة والشوكة، ومسح فمه بمنديل. تفهمت "فيكتوريا" شعوره بالمفاجأة. فبعد سنوات من الصداقة، تأخذ هذه الخطوة الآن.

- هل أبدأ باسمي؟

ابتسمت قائلة:

- بداية موفقة.

قال بعصبية، ثم جلس مباشرة:

-"فينيثيوس". "فينيثيوس ريزو"، تسرني مقابلتك.

ثم مد يده فصافحته.

- "فينيثيوس؟"، كنت أراك دائمًا "بيدرو" أو "إدواردو".

- أحب اسمي. أتعرفين أنه اسم الذكر الوحيد الذي لا يحتوي على الأحرف اللاتينية A أو E أو O أو R.

قالت وهي تهز رأسها نافية:

- لم أكن أعرف. ولماذا اخترت "أروز"؟

- بسبب "ريزو"، لقب أبي، فلهما الصوت نفسه في النطق، مثل كلمة "أرز" باللغة الإيطالية. لهذا كنت أحمل ذلك الاسم المستعار في المدرسة، ولم أشعر بالضيق إطلاقًا. في الحقيقة لقد بدأت في استعماله أنا نفسي.

بينما كانا يتناولان الطعام، أخبرها "أروز" أنه الابن الأكبر لخمسة إخوة، وقد نشأ في ولاية "برنامبوكو". كانت أمه ربة منزل، وعمل والده بالجيش. وقد سافر حول العالم، بوصفه مهندس طيران قبل أن يتقاعد. ثم أخبرها أنه قد اعتاد التجسس على حياة سكان المدينة الصغيرة التي عاش بها من خلال فجوات الحوائط الخشبية. وقد بدأ العمل في سن صغيرة، وتحتم عليه أن ينضج مبكرًا. لقد حطم قوانين العائلة، حينما أصر على تجربة حظه في المدينة الكبيرة. فلا يزال إخوته يعيشون في الشمال الشرقي. لكنه جمع أغراضه وانتقل إلى "ريو" ليدرس التمريض. ثم ترك دراسته الجامعية ليركز على الكمبيوتر. أدركت الآن لماذا لا يزال يحتفظ ببعض العادات الطفولية رغم تخطيه الثلاثين، فقد كانت طريقته لتعويض ما افتقده في طفولته. تمادى "أروز" في سرد تفاصيل حياته بينما يغسلان الأطباق، وعلمت "فيكتوريا" أنه ليس لديه من يتحدث إليه أيضًا.

ثم سألها وهو يجلس على الأريكة:

- وأنت؟ هل ستحكي لي عن نفسك؟

- أنت تعرف اسمي بالفعل.

- والبقية.

فكرت للحظة ثم قالت:

- ليس الآن.

عبس "أروز"، فقالت وهي تجلس إلى جواره:

- أشعر بضغط كبير، وكأنني سأنفجر في أي لحظة.

وضع يده على يدها للحظة، ثم قال:

- اسمحي لي بتقديم نصيحة لك. في كل مرة تشعرين بها أنك تحت وطأة ضغط شديد، فكري في "جورج مارتن".

- منتج فرقة البيتلز؟

- لا، بل كاتب قصص "لعبة العروش"، فأينما عانيت مشكلات في العمل، أو صرخ بوجهي عميل، أفكر به.

- لماذا؟

- حتى وقت قريب، كان مجهولًا لا يعرفه أحد. ثم تحولت القصص التي يكتبها إلى مسلسل تليفزيوني، وشاهدها الجميع وذاع صيته، وهذا أمر رائع بالطبع، لكن مواسم عرض الحلقات تتزامن مع إصدار القصص. لذلك يخشى الكثيرون وفاته قبل أن ينتهي من الكتابة. ولكن لا يملكون فعل شيء. إنه يستغرق وقتًا طويلًا في الكتابة، ومع كل هذا النجاح، لا يزال الانطوائي السمين نفسه. يدل مظهره على أنه يحب النوم كثيرًا، يأكل بشكل جيد، يشرب الخمر، ويتنزه مع رفاقه. تخيلي كم يحدق إليه الناس وهو في مطعم قائلين: "يجب أن تكون على مكتبك الآن لتكتب يا جورج مارتن. انسَ أمر الإسباجيتي وعد إلى المنزل وفكر في التنانين!"،

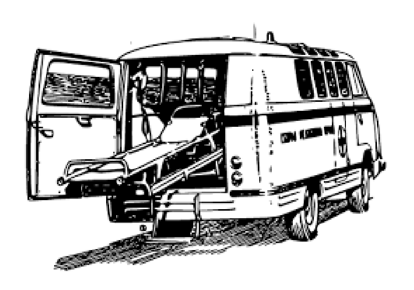
في الواقع، ذلك ما يقوله الناس دائمًا، وهذا مريع! إذا كنا نظن أننا نقع تحت ضغط، فلنفكر بوضعه.

ابتسمت "فيكتوريا"، لم تكن أفضل مواساة في العالم، لكن على الأقل كان "أروز" يحاول. ابتسم قائلًا:

– ليس الجميع "ستيفن كينج"، أليس كذلك؟ ذلك الرجل مثير للإعجاب. لا أعتقد أنه يحب الطعام، أو النوم، أو لعب ألعاب الفيديو، أو أي شيء من هذا القبيل. لذلك ليس هناك ما يشكل ضغطًا عليه. لكن لسوء الحظ، أظن أن حياتنا تشبه حياة "جورج مارتن" أكثر من حياة "ستيفن كينج".



20



كانت "فيكتوريا" قد سمعت من قبل عن منظمة "رابطة النوايا الحسنة"، وما تقدمه من رعاية اجتماعية. فتجولت هي و"جورج" مع أحد موظفيها، الذي يحمل قميصه شعارها، سلسلة على هيئة قلب كتب بداخله "السلام على الأرض، لأصحاب النوايا الحسنة"، بمركز "خوسيه دي بايفا نيتو" التعليمي، بحي "كاستيلو" وهو يشرح لهما ما يمارسه الأطفال المعدمون من أنشطة هناك في الفصول التعليمية وكذلك في الفناء.

استقلا المصعد حتى الكافيتريا التي كانت تكتظ بنحو مائتي طفل على الأقل، يلعبون ويتحدثون، وهم يتناولون بأنفسهم العشاء من البوفيه. وعلى منضدة بعيدة، كانت "ميريلا" في انتظارهما. سيدة أنيقة، بيضاء الشعر، بنظارات سميكة الإطار. ترتدي جينز وقميصًا أزرق يحمل شعار المنظمة. ترخي يدها التي ترتدي بها خاتمًا على ملف رفيع، بني الأوراق.

سألت، من دون أن تنهض لتحيتهما:

- هل تفضلان التحدث في مكان آخر؟ أرغب في مراقبة الأطفال، لكن يسعدني الذهاب إلى أي مكان.

مد "جورج" يده، وأشار إلى "فيكتوريا" لتجلس بجواره على المقعد، لكنها فضلت الجلوس على رأس المنضدة بالقرب من "ميريلا". ثم قالت:

- شكرًا على استقبالك لنا.

ركزت "ميريلا" عينيها السوداوين عليها قائلة:

- حتى أكون صادقة، لم أكن أرغب في هذا. فأنا أكره التحدث عن الماضي. فكبر سني يجعلني أتمسك بما تبقى لي من وقت في الحياة. وأنا سعيدة بما أفعله، وما لديَّ من إيمان، هذا المكان، وأطفالي ومنهم من سيغادر بعد قليل، في الثامنة مساء. إنهم أطفال لأبوين فقيرين، يعملان طوال اليوم، ليس لديهما من يأتمنانه عليهم. الحق أنني أتعلم الكثير من هؤلاء الأطفال. أكثر بكثير مما أعلمه لهم.

ساد صمت قصير. حركت "ميريلا" أصابعها ببطء، وبلا وعي، كانت تدفع الملف ذا الورق البني إلى الأمام وإلى الخلف.

قالت "فيكتوريا" بهدوء:

- كان ابنك صديقًا مقربًا من "سانتياجو" و"إيجور". وقد توفي "إيجور" وهو في الصف السادس. هل تتذكرين هذا؟

- كنت أسكن بشارع المدرسة نفسه، وكنت أول الحضور في ذلك اليوم، حتى قبل الإسعاف. صدقيني، ليس بالأمر الذي يمكن نسيانه، طفل بأجزاء جسد مشوهة ملقى في الفناء، ومغطى بالدماء.. سقط "إيجور" ملتويًا، ذراعاه وساقاه بجانب بعضها بعضًا، كما لو أنه قد سوى بالأرض، لقد نشرت الصحف تلك الصورة المريعة.

حاولت "فيكتوريا" بشدة ألا تتخيل المنظر.

أكملت "ميريلا":

- كانت علبة "الإسبراي" الذي قد بدأوا في استخدامه حينها بجواره. وعندما عرفت ما فعله "سانتياجو" بعدها بسنوات، تأثرت بشدة. فوسم وجه إنسان ميت بالطلاء الأسود أمر.. قاسٍ.

- هل ظل ابنك و"سانتياجو" صديقين حتى نهاية المرحلة الثانوية؟

قالت "ميريلا":

- أجل.. وانطباعي أن موت "إيجور" قد أثر في هذين الصبيين وجعلهما أكثر قربًا. فخلقا عالمهما الخاص. بعد ما حدث مباشرة، بدأ "جابريل" في الانغلاق على نفسه، وعندما كان في الرابعة عشرة، انتابته أولى النوبات النفسية. التي ازدادت سوءًا في الأعوام التي تلتها.

- ما رأيك في "سانتياجو"؟

- كان يبدو صبيًّا عاديًّا.

- هل ذكر ابنك السبب الذي من أجله فعل "سانتياجو" ذلك؟

- هل هناك أي سبب مقنع لاقتحام منزل، وقتل ثلاثة أشخاص وطلاء وجههم؟ لقد صدم "جابريل" مثل أي شخص منا.

لاحظت "فيكتوريا" أن "ميريلا" تتجنب تسمية "جابريل" بكلمة "ابنها"، مثلما فعل "أتيلا" مع "سانتياجو".

قالت "فيكتوريا":

- حدثيني عن نوبات ابنك.

- بدأت فجأة. كان أكثر قلقًا ومعذبًا. كنت أظنه أمرًا خاصًّا بمرحلة المراهقة. أحيانًا كان يغلق الحمام على نفسه مساء، لا يفعل شيئًا. أو يصاب بالغضب ويحدث نفسه. ذهبت به إلى الطبيب وتم تشخيص مرضه على أنه فرط حركة، مع أعراض ذهانية، وهوس جنسي. اندهشت بشدة.. فهو صبي صغير هادئ، ربيته كما أمر الرب، يحضر دروس الدين، وأتم مناولته الأولى. بدأت مراقبته عن قرب، كان يغلق على نفسه الحمام لسبع أو ثماني مرات في اليوم، لنحو عشر دقائق، ليستمني على ما أظن.

- هل خضع "جابريل" لأي علاج؟

- أجل، لكن لم يتحسن كثيرًا. لقد فقد تركيزه وانخرط في المشكلات بالمدرسة. ساء تحصيله الدراسي، كانت تقاريره المدرسية مريعة. دائمًا يعيد الاختبارات، ودائمًا يحصل على درجة الاجتياز فقط. لم تكن "الأيكون" مدرسة مرهقة. وقد وجه له أول اتهام هناك، حيث قابلت ثلاث فتيات المدير وقلن إن "جابريل" قد هاجمهن.

- هاجمهن؟

- بصرف النظر عن كل شيء، لم أصدق أن يفعل شيئًا كهذا. أحيانًا لا نبصر الحقيقة. قلن إن "جابريل" اقتحم الحمام وأسقط بنطاله، وحاول جعلهن يلمسن جسده و..

أغلقت "ميريلا" عينيها محرجة:

– لم تكن هناك كاميرات في الممرات، لهذا لم يكن لديهن أي دليل. تم إيقاف "جابريل" لأسبوع فقط، ونقله إلى فصل آخر.

استجمعت "فيكتوريا" نفسها ثم سألت:

– لكن هل كان هناك اتهام آخر؟

– تم قبول ابني في جامعة لدراسة الصيدلة، الرب وحده يعلم. لقد بدا الأمر وكأنه معجزة. لفترة، صدقت أنه قد تغير، لم يكن لديه أي أصدقاء، لكنه كان يبدو.. أكثر هدوءًا. لا أعرف. لكن حينها في الفصل الدراسي الثاني، اتهمت امرأتان، إحداهما طالبة والأخرى عاملة نظافة، "جابريل" باغتصابهما. وكان لديهما إثبات. تم فحص الطالبة جسديًّا. كان بها الكثير من الجروح. لقد ربط المسكينة بالأحبال وضربها بشدة. كذلك عثروا على حمضه النووي على كل جسدها. تم إلقاء القبض عليه، ومحاكمته ثم إدانته، بعد تشخيص حالته باضطراب في الشخصية. لم يذكر أحد هذا من قبل. لكن عندما تحدث مثل تلك الأمور، فإنها تحدث دفعة واحدة. أليس كذلك؟

دفعت بالملف بسبابتها نحو "فيكتوريا"، التي فتحته ونظرت بحزمة الأوراق القليلة. مع نسخة حكم إدانة "جابريل"، كان هناك تقرير طبي عنه من مصحة "هيكتور كاريلو" النفسية.

– أوصى القاضي باصطحاب "جابريل" إلى مستشفى السجن، عانيت كثيرًا. فقد كان كل ما لديَّ. لكنه كان يستحق، لما فعله بتلك النساء.. ثم اضطررت إلى تقبل أن "جابريل" منحرف، سادي، وليس هناك ما يغفر ذلك.

كان بصوتها برود صادم. قالت "فيكتوريا":

- أنا آسفة جدًّا.

- لا بأس، أنا سعيدة بأطفالي هنا.

- هل لا يزال ابنك في المستشفى؟

- للأسف، لا. فقد هرب.. منذ ست سنوات.

رفعت "ميريلا" نظارتها المربعة الشكل على أنفها قائلة:

- لا أعرف بالضبط ما حدث. لا أحد يعرف. يبدو أن نارًا قد اشتعلت بالمستشفى. فقد دوى الإنذار وحدثت جلبة رهيبة. واستغل "جابريل" الفرصة وهرب، متظاهرًا بأنه أحد الأطباء.

مالت "ميريلا" إلى الخلف ومدت يدها أسفل المنضدة. مظهرها الضعيف ذكرها بالعمة "إيميليا". ورغم أنها غاضبة منها، فإنها تفتقدها بشدة. قالت وهي تبتلع ريقها بصعوبة:

- لقد مات الطبيب الذي كان يعتني بـ"جابريل". قتله "جابريل" وغادر من باب منزله الأمامي.

- ألم يحاول ابنك خلال تلك الست سنوات التواصل معك؟

- إذا جاء بحثًا عني، فسأسلمه للشرطة أو للأطباء. باسم الرب، لا يستطيع "جابريل" العيش وسط مجتمع. لقد اغتصب على الأقل امرأتين. وقتل رجلًا، وهرب.. لقد فشلت، فشلت كأم، أنا أيضًا مذنبة.

قالت بحزن:

– من الأفضل ألا يبحث عني. هؤلاء الأطفال هم أبنائي الآن.

أعادت "ميريلا" يدها ثانية فوق المنضدة، وعدلت ظهرها، وكأنها لم تتأثر بكل ما حدث. ضبطت خصلة من شعرها، ونظرت مباشرة في عين "فيكتوريا" بلا أي تعبير على وجهها. قالت "فيكتوريا" كاذبة:

– لقد سلمتني الشرطة دفتر مذكرات "سانتياجو". لقد ذكر ابنك عدة مرات في يوليو 1993 ارتباط "سانتياجو" بفتاة يسميها "رابونزل". هل يعرفها "جابريل"؟

– لا أظن. الحقيقة أنني لا أعرف. محتمل. لم يكن يخبرني "جابريل" بشيء قَطُّ. وبعد وفاة "إيجور"، ساءت حالته. معرفته بهذين الولدين كانت أسوأ شيء حدث في حياته. الثلاثة ملعونون. لقد فقدوا طريقهم في الحياة، ولم يكن أي منهم سعيدًا.

نهضت "ميريلا"، منهية المحادثة. في طريق الخروج إلى الفناء، أخبرت "فيكتوريا" و"جورج" بالأطفال الأكثر قربًا من قلبها. عند المدخل، شكرتها "فيكتوريا" على وقتها وودعتها. ابتسمت السيدة العجوز ابتسامة صفراء، ثم استدارت. وسارت على الطريق المحاط بالأحجار الملونة حتى اختفت داخل المبنى.



21



"الثلاثة ملعونون". لم تستطع "فيكتوريا" إخراج تلك الجملة من رأسها. لقد كانت مصادفة مروعة أن ينتحر أحدهم في الصف السادس، ويعاني الآخر اضطرابًا نفسيًّا، ويصبح الثالث قاتلًا. كلما فكرت في ذلك، وجدت أن ما حدث يتجاوز المنطق فيما حل بالصبية الثلاثة من مآسٍ. كما لو أن قوة شيطانية قادتهم إلى مصيرهم، في دوامة من الجنون والوحشية. كان أمرًا محيرًا للغاية.

كان يوم الأربعاء التالي ممطرًا، فأخذت حمامًا ساخنًا، ارتدت كنزة ومعطف مطر، وضعت المطواة في جيبها، واستقلت الحافلة إلى دار المسنين، بينما تستمع لأغنية "تحت ضغوط" في سماعة الأذن. كانت العمة "إيميليا" تستلقي على الفراش، ونظارتها على طرف أنفها، تقرأ في الكتاب المقدس. وعندما رأتها، رفعت رأسها، ابتسمت وأومأت لها. لم تتقابلا منذ أسابيع. وهو ما لم يحدث منذ وفاة والديها. عندما احتضنت جسد العمة الضعيف، الذي تفوح منه رائحة العطر. أدركت "فيكتوريا" كم كانت

تفتقدها. كيف ابتعدت عنها كل تلك المدة؟ كيف سمحت لمحادثة عابرة أن تنسيها ما بينهما. باركتها العمة "إيميليا" عدة مرات كما تفعل دائمًا منذ سنوات، بعلامة الصليب، وبطلب الحماية من كل القديسين، الذين تحفظ "فيكتوريا" أسماءهم عن ظهر قلب. ثم احتضنت يدها وداعبت وجهها، وبنبرة مبهجة تدل على أنها أيضًا قد نسيت شجارهما، سألتها:

- هل من أخبار جديدة يا حبيبتي؟

لقد حدث الكثير، لكن رأت "فيكتوريا" ألا تخبرها. فأجابت:

- لا شيء.

فهمت العمة، فلم تسألها ثانية عن "صديقها". فقد كانت الموضوعات الحساسة مؤجلة حتى إشعار آخر. دار الحديث بينهما عن أحداث المسلسل الدرامي المسائي الأخيرة، وعن فضيحة الفساد التي سيطرت على نشرة الأخبار المحلية. مرت ثلاث ساعات في غمضة عين، وبعد منتصف النهار، دخلت الممرضة الغرفة، معلنة أن وقت الاستحمام قد حان.

قالت "فيكتوريا":

- سأساعدك.

في البداية، عارضت العمة "إيميليا" الفكرة لتتهرب، فلم تكن تحب التعري أمام أي شخص. عندما دخلت الدار، أثارت ضجة كبيرة لمنع الممرضات من خلع ملابسها. لكنها لم تتعنت هكذا مع "فيكتوريا"، التي سحبت غطاء الفراش، وساعدتها على النهوض، ثم أعطتها العكاز. وسارتا ببطء حتى الحمام. حيث فكت "فيكتوريا" شرائط ثوب نوم "إيميليا"،

وهي تتأمل ظهرها المتقوس قليلًا، بينما تضع الملابس على الحوض. ثم نزعت سروالها البيج الذي يصل إلى سرتها. وحملتها من إبطيها إلى رأس الاستحمام "الدش". ثم فركت جسدها المجعد بالصابون. بدا انزعاج العمة من نظرات "فيكتوريا" فأشاحت بوجهها بعيدًا. وساد صمت مطبق لعدة دقائق، حتى طرقت المرضة باب الحمام.

- هل أوشكت على الانتهاء؟

- هل حان وقت الغداء؟

جاء صوت المرضة مكتومًا عبر الباب:

- ليس بعد، لكن.. لقد وصل البريد، وهناك طرد لك.

ثم ضحكت بارتباك:

- مكتوب عليه "عاجل".

تركت "فيكتوريا" العمة "إيميليا" تمشط شعرها أمام المرآة، واتجهت نحو الباب، أدارت المقبض بيدها المرتعشة، وفتحت الباب قليلًا لتأخذ المظروف من المرضة. لم يكن ثقيلًا. وبمجرد أن لمسته، أحست أنها تعرف ما بداخله. لا يحمل أي علامات سوى الختم الأحمر، وليس هناك بيانات المرسل.

سألتها العمة "إيميليا":

- ما الأمر يا حبيبتي؟

ابتلعت "فيكتوريا" ريقها بصعوبة، سرت القشعريرة بجسدها، نظرت إلى عمتها. كان الألم يعتصر معدتها، لم تستطع التفكير في أي كذبة مقنعة لتخبرها بها. فتحت المظروف لتؤكد شكوكها. كان بداخله حزمة أوراق أخرى من دفتر المذكرات.

كررت العمة "إيميليا" سؤالها:

- أخبريني ما الأمر يا "فيكتوريا"، لقد شحب وجهك!

لقد خرج الأمر عن السيطرة، وتجاوز الحد منذ زمن طويل، حتى وإن حاولت "فيكتوريا" إنكار هذا. طوت المظروف أسفل ذراعها، ثم ساعدت العمة على ارتداء ملابسها. وأعادتها إلى الفراش، ثم جلست بجوارها تمامًا، وقالت بتوتر:

- لا بد أن تكوني صريحة معي. هل رأيت حزمة الأوراق هذه من قبل؟ هل استلمت بعضها بالفعل؟

- لا، أبدًا.. ما هذه؟ هل لها علاقة بـ"صوفيا"؟

دعم فضول العمة "إيميليا" أفكار "فيكتوريا". وفجأة، مثل اللغز، بدأت الأجزاء تترابط.

- استمعي لي فالأمر مهم. لقد واعد "سانتياجو" فتاة عام 1993، عندما كان يدرس في مدرسة "أيكون". ذكرها باسم مستعار هو "رابونزل"، ولا أعرف لماذا لم يذكر اسمها الحقيقي. كانت "صوفيا" تعمل بالمدرسة تلك الفترة.

ألقت "فيكتوريا" التلميح بحرص، فقد كانت تقتحم منطقة خطرة.

- بالطبع يمكن أن تجذب مدرسة مساعدة اهتمام الطلاب، وبخاصة الذكور..

عبست العمة "إيميليا"، وخفضت رأسها متمتمة.

سألتها "فيكتوريا":

- ما الأمر؟

- من غير المجدي إخفاء شيء عنك، أليس كذلك؟ فأنت عنيدة جدًّا.

- هل كانت مشاجرة أبي مع "صوفيا" بسبب طالب؟ بسبب شيء فعلته مع "سانتياجو"؟

سكتت العمة "إيميليا". زمت فمها، وبرقت عيناها، ثم قالت:

- لا أعرف كل التفاصيل.

ثم تنهدت وأضافت:

- كنت أفضل البقاء بعيدًا في ذلك الوقت. كانت "صوفيا" منحرفة، مجنونة. عندما تم تعيينها مساعدة، بدأت في مواعدة صبي أصغر منها بكثير، طالب. وعندما اكتشف والداك، حاولا التستر على الأمر، وإنهائه. فجنت "صوفيا" عندما فقدته، فتفوهت بأشياء مريعة، وتوعدت الجميع.. كان كابوسًا، لم أكن أعرف مَن ذلك الطالب، لكن عندما فعل "سانتياجو" فعلته، استنتجت. لم أخبر أحدًا قَطُّ، حفاظًا على سمعة العائلة، التي لوثتها "صوفيا" بالفعل. كما أنه لم يكن ليحدث فرق. هل أنت سعيدة الآن؟

لم تكن "سعيدة" اختيارًا موفقًا، كان أمرًا مقززًا، أن يكون "سانتياجو" في الثانية عشرة من عمره عندما واعد "صوفيا" التي كانت في التاسعة عشرة.

- هل ترسل إليك خطابات؟ هل هذا خطاب منها؟ هل تبتزك؟

أجابت "فيكتوريا":

- لا أحد يبتزني.

- وهذه الأوراق؟ ما هي؟

- لا شيء، ليس هناك داعٍ للقلق. الشرطة تتولى الأمر.

إذا ذكرت "سانتياجو"، فلن تتركها العمة "إيميليا" في سلام. وتحت إلحاح من العمة، وعدتها "فيكتوريا" بتكثيف الزيارة، وبإخبارها بأي جديد. ثم قبلت جبهتها، وغادرت دار المسنين، وهي تشعر وكأن رأسها سينفجر. الآن تعرف السبب وراء حدسها بأن العثور على "صوفيا" أمر مهم. فقد كانت السبب وراء ما فعله "سانتياجو". إنها "رابونزل"، الفتاة التي وقع في غرامها، لم تستطع "فيكتوريا" مقاومة فتح المظروف، وبسرعة قرأت الصفحات الجديدة، بينما كانت الحافلة تسير في طريق العودة إلى منزلها. وعندما وصلت، فكرت في إعادة قراءة ما قرأته بالفعل، حتى تفهم بشكل أفضل، لكنها شعرت بالغثيان الشديد، فاستلقت محتضنة "أبو"، وانتابها يقين مرير بأن الصبية الثلاثة ملعونون بالفعل، والسبب "صوفيا".

22



مذكرات "سانتياجو"

الجمعة، 20 أغسطس، 1993

لم يتسنَّ لي الوقت لأكتب هذا هنا من قبل، لكن كان هذا أسوأ أسبوع في حياتي. بداية، من أدائي السيئ جدًّا في امتحانات الفصل الثاني، بمادتي الرياضيات والتاريخ، الذي أكرهه. فلم يكن أبي يوجد كثيرًا بالمنزل، مما دفعني لاستغلال الهدوء، وقضاء معظم الوقت في الاختلاء بنفسي. رغم اختلاف الأمر عن وجود "رابونزل" معي، برائحتها، وصدرها، وفمها الساخن. لقد حاولت التحدث معها طوال الأسبوع، لكنها كانت تتجاهلني، وكأن ما حدث يوم السبت لم يحدث. كذلك مرت بجواري بالردهة يومي الثلاثاء والأربعاء، وتخطتني كأنها لم ترني. كان إحساسًا مقيتًا. لقد انتابتني كوابيس غريبة. كنت أستيقظ متعرقًا، وجسدي يرتعد. وقلبي يخفق بشدة. فأنا أفكر بها طوال الوقت، حتى في الفصل، كما لو أنها قد التصقت برأسي.

اليوم، في أثناء الفسحة، لم أحتمل وذهبت للبحث عنها. فوجدتها تخرج من مرحاض الطابق الثالث. ورغم أن الردهة كانت مكتظة، فإنني اتجهت نحوها، بلا خوف، وطلبت التحدث إليها، لعبت بتوتر في شعرها، ثم جذبتني من ذراعي إلى أحد الأركان. وقالت بصوت هادئ إنها تثق بي، وإن لدينا سرًّا، وإذا لم أستطع السيطرة على نفسي، فلن تدعوني إلى مخبأنا أبدًا. كنت أريد أن تمنحني قبلة فقط. لكنها لم تفعل ذلك حتى، بل انصرفت وهي تقول: "أراك قريبًا يا أميري"، ولمست وجهي كما يفعل أي صديق. لم يعجبني هذا، لكنني احترت فيما يمكنني فعله. بالطبع لا أستطيع إخبار والدي. ولن أخبر "إيجور" و"جابريل" لأنني وعدتها ألا أفعل. لهذا كل ما يمكنني فعله هو أن أكتب هنا، وأتمنى أن تكون "أراك قريبًا" عاجلة، فإلى متى يتحتم عليَّ أن أنتظر؟



الخميس، 9 سبتمبر، 1993

لا أظن أنني سأحتفظ بصداقة "إيجور" و"جابريل" ثانية. فهما مزعجان حقًّا. لقد اختفيا اليوم في أثناء الفسحة. وعندما وجدتهما بالفناء، بدآ في الهمس بجوار السور فلم أسمع شيئًا. لا أعرف ماذا حدث، لكنهما توقفا عن دعوتي لطلاء الحوائط، أو مشاهدة ألعاب الفيديو. وعندما صارحتهما بهذا الأسبوع الماضي، قالا إنني غير ناضج، لهذا لا يرغبان في التسكع معي. غضبت بشدة، ونعتهما بالصبيان، التي لم تجرب الممارسة بالفم قطُّ. فضحكا. ثم وجها لي مئات الأسئلة، لكنني لم أخبرهما بشيء. قال "إيجور" إنه مارس الجنس بالفعل، أما أنا فعذري غبي. لا بد أنها إحدى أكاذيبه.



السبت، 11 سبتمبر، 1993

لا يزال رأسي يؤلمني، لذلك أعرف أنه لم يكن حلمًا، لقد حدث الأمر حقيقة. بالأمس، عندما كنت أنصرف من المدرسة، أخبرتني "رابونزل" أنها ستكون بمفردها في المنزل اليوم. شعرت بالسعادة والإثارة. حتى إنني لم أنم بشكل جيد. بعد الغداء مباشرة، أوصلني أبي إلى "إيجور". وتوجهت إلى منزل "رابونزل". حيث تركت البوابة مفتوحة، وكانت تنتظرني في مخبأنا. وعندما وصلت إلى هناك، خلعت ملابسها، وكشفت صدرها. كان شعرها يغطي وجهها، وبفمها سيجارة لها رائحة الماريجوانا والجزء المشتعل بين شفتيها يشبه مصباح السيارة الخلفي. أعطتني السيجارة، لكنني أطفأتها، قائلًا إنني لا أرغب في أن أصبح مدمنًا. ضحكت "رابونزل" وقالت إن الماريجوانا لا تسبب أي ضرر، كما أنها لا تسبب الإدمان، لكنها تساعد على الاسترخاء فحسب. وهي تفعل ذلك بالفعل.

لم أشعر بشيء في البداية. طلبت مني أن أسحب نفسًا عميقًا، ثم أنفث الدخان. وجعلتني أخلع ملابسي أيضًا. فتجاورنا عاريين. كنت مستثارًا، أشرب البيرة التي قدمتها لي. وعندما أوشكت السيجارة على الانتهاء، أشعلت أخرى. شعرت بدوار خفيف فتوقفت، بعد أن شربنا على ما أعتقد نحو خمس زجاجات من البيرة، تبادلناها بيننا. لست متأكدًا من تسلسل الأحداث، فقد كنت أحاول أن أبدو هادئًا، رغم توتري الشديد داخليًّا. أمسكت يدي وأخذت تستنشقها، ثم وضعت أصابعي في فمها. وبعدها استلقت على المنضدة المستديرة، وفرجت ساقيها بشدة كشفت كل شيء. ثم طلبت مني لمسها. وفعلت ببطء، فصرخت وطلبت المزيد. وأن أقترب أكثر، كانت ساخنة ورطبة. تتلوى. وكأنها ستمتصني، ثم حان

دوري لأضاجعها، وعندما واجهت صعوبة في ذلك، ساعدتني. كان أمرًا رائعًا، رغم لهاثي، وصراخي. لكن إثارتي كانت عالية. وعندما انتهيت، استلقيت إلى جوارها وأنا أشعر بالإرهاق، كانت الطاولة تلتصق بي من شدة تعرقي، ورأسي يدور، كأنه يركض سعيدًا في المكان. بدا السقف مثل لوحة اتساع الكون التي ندرسها في حصة الجغرافيا، أسود اللون، وبه بعض النقاط الحديدية التي تبدو كالنجوم. ثم بدأت إحدى لمبات الضوء تتأرجح إلى الخلف وإلى الأمام وتحدثني، بعينها وفمها الذي يتحرك. وجدت ذلك جنونيًّا ومضحكًا. كان عقلي يؤلمني من شدة الضحك، وكنت متعبًا للغاية. تقريبًا أغفو. وعندما أطلت عينان من سقف الحائط. صرخت ونهضت، تنتابني قشعريرة شديدة. ثم اختفت العينان، لكن بعدها مباشرة، مر خلفي ظل وسقط شيء. كانت ضربات قلبي تتسارع، أحسست أنني أموت. ورغم عدم إيماني بالأشباح، فإنني لم أستطع التوقف عن الارتعاش. احتضنتني "رابونزل" وهدأت من روعي. وقالت إنني أتخيل فقط. وعندما أنارت الضوء، بدأت أهدأ، فأعطتني قطعة شيكولاتة. ثم ألقت إليَّ بفوطة، وأخبرتني أن أرتدي ملابسي بسرعة، وأرحل قبل أن يعود أحد. كنت لا أزال متوترًا. عندما عبرت الناصية، في طريقي إلى المنزل، نظرت خلفي، شعرت بأن هناك من يراقبني، لكنني لم أر أحدًا، فتقيأت.



الجمعة، 17 سبتمبر، 1993

بعد المدرسة، اصطحبني والدي إلى طبيب نفسي قريب من المنزل. كان يظن أنني أعاني بعض المشكلات، بسبب الكوابيس التي انتابتني طوال الأسبوع. أخبرته أنني بخير. لكن دون جدوى. وجه لي الطبيب العديد من الأسئلة، تحدثت كثيرًا عن أمي، وأكدت له أنني سعيد، ولديَّ الكثير من الأصدقاء في المدرسة. لن أخبر أحدًا عن "رابونزل". فإذا عرفوا سيفرقوننا. إنها حب حياتي.



الأربعاء، 22 سبتمبر، 1993

سأحاول أن أكتب كيف حدث كل هذا. لكنني لم أفعله متعمدًا. أعني، لم أفعله عن قصد، لكنني أيضًا لم أفكر بشكل صحيح. كنت أظنه سيكون يومًا عاديًّا. وعندما دق الجرس، لم أكن جائعًا، ولم أرغب في الذهاب لتناول الغداء. فليس هناك من يتحدث معي. لهذا بقيت بالفصل، لأنهي بعض الواجبات التي لا بد أن أسلمها لاحقًا. وكذلك بقي "إيجور" و"جابريل" أيضًا. أخرج "جابريل" علبة "إسبراي" من حقيبته، واتجه نحو الباب ليتأكد من أن الردهة خالية. ثم ألقى بالعلبة إلى "إيجور" وقال إنه سيذهب للمراقبة من السلم. ثم تسلق "إيجور" النافذة حتى حافتها، وهز العلبة وبسرعة بدأ في الطلاء. كان من الجنون فعل هذا في المدرسة. فسيتم فصله مؤقتًا، أو ربما نهائيًّا. فكرت في مغادرة الفصل، حتى لا أقع في المشكلات. لكنني كنت فضوليًّا فاتجهت نحوه، وسألته عمَّ يفعله. فقال إنه ينتقم. وبالفعل رسم حرف العين، وحرف الألف، ثم حرف الهاء وحرف الراء، والتاء المربوطة. سألته من هي العاهرة، فقال اسم محبوبتي "رابونزل". قال اسمها وضحك. لم أفهم ما يحدث على الإطلاق. سألته لماذا، ثم قال "إيجور" بفمه البذيء إن "رابونزل" عاهرة قذرة، قالها هكذا ببساطة، وسماها "رابونزل". صعقت. ألم يكن هذا اسمًا خاصًا بيننا فقط؟ قال "إيجور" إنه أقام علاقة معها. وإنها فعلت المثل مع "جابريل" والكثير من الصبية أيضًا. وحتى البنات. فقد أخبرته "لاريسا" أنها قد تحرشت بها. لا أعرف ما أصابني، لكن بمجرد أن كاد ينتهي "إيجور" من كتابة أحرف كلمة العاهرة، اندفعت نحوه، لأمسك بـ"الإسبراي". دفعني "إيجور" ورددت له الضربة بمرفقي، وعندما فقد اتزانه قليلًا، استغللت الموقف ولكمته في معدته، فتعثر إلى الخلف،

وحاول التشبث بأي شيء، لكن لم يكن هناك. ركلت قدمه علبة "الإسبراي" ثم سمعت صرخته تخفت بينما يسقط. وبعدها صوت الارتطام المريع، والصرخات الصادرة من الفناء. من شدة اليأس، قفزت عائدًا إلى الداخل، وركضت خارج الفصل. ثم أغلقت كابينة الحمام الصغيرة على نفسي وبكيت. كانت يداي ترتعشان، لم أتحلّ بالشجاعة لأغادر، حتى ظهر عامل النظافة ليتأكد من أن الطابق خالٍ بالكامل. وبعدها تم تعليق الدراسة.

اصطدمت بأبي، واقفًا مع باقي الآباء على بوابة المدرسة. كان الجميع في حالة صدمة. كانت هناك سيارة بيضاء، في جزء الفناء الذي سقط به "إيجور"، والأغطية البلاستيكية السوداء فوقه. وعند رحيلنا، ظهرت والدة "إيجور". توقفت سيارة أمام المدرسة، ونزلت منها، تصرخ وتبكي. منعتها باقي الأمهات من الاقتراب من الجثة، فبقيت هناك، تتلوى على الأرض، تنتحب وتقول إن حياتها قد انتهت، وإنها تريد أن تموت. شعرت باستياء شديد، في المنزل فعلت كما علمني أبي عندما توفيت أمي. وهو التفكير في الأشياء الجميلة التي تربطنا مع المتوفى. أغلقت عيني وفكرت في الدجاج المقرمش الذي اعتدنا تناوله في منزل "إيجور". دجاج مقرمش بالكاتشب، فبدأت أهدأ بالتدريج. على أي حال، لقد نال "إيجور" ما يستحقه.



23



إخبار الشرطة بكل شيء قرار صحيح. فـ"سانتياجو" يعرف عنوان دار المسنين. وإذا لم تكن "فيكتوريا" هناك، لتسلمت العمة "إيميليا" المظروف وقرأت تلك المذكرات البشعة. كانت تفكر في معرفته بوجودها هناك. بالطبع كان يعرف، وكأنه معها طوال الوقت. وعندما عجزت عن إخراج تلك الأفكار من رأسها، استلقت على الأريكة بما عليها من أوراق وقلم تظليل. بطريقة ما، لا بد أن والديها قد اكتشفا العلاقة القذرة بين "صوفيا" و"سانتياجو". تستطيع تخيل رد فعلهما. فالأمر بغيض ومقرف، خاصة أنه تم في مدرسة. وإذا انتشر الخبر وعرف الناس، لربما تم إغلاق "الأيكون". ولا بد أن "ماورو" قد اعتقد أن المشكلة قد حلت، بقطع الصلة مع "صوفيا"، ومنعها من مقابلة "سانتياجو". وضعت "فيكتوريا" خطًّا أسفل بعض أجزاء المذكرات التي تؤكد أن "صوفيا" هي "رابونزل". فحتى وإن كانت منازل الحي متشابهة، فوصف الجراج، "مخبأنا" كان مشابهًا جدًّا لجراج منزل والديها. منضدة خشبية، سقف أسود اللون، القليل من لمبات الإنارة المعلقة. لا بد أن "صوفيا" كانت ترتب

مقابلتهما عند وجود العائلة بالخارج. بعد ساعات من القراءة، شعرت "فيكتوريا" بالتعب، لكنها كانت بحاجة إلى التحدث مع أحد. فقد كان التفكير بصوت عالٍ يساعدها على تقييم الأمر. ركبت ساقها الاصطناعية، وارتدت جينز فضفاضًا وقميصًا مريحًا، ومشطت شعرها بسرعة أمام المرآة. وضعت المطواة وحزمة أوراق المذكرات في حقيبتها، استقلت الحافلة وهبطت في حي "فلامنكو"، بالقرب من ميدان "براكا دو روسيل". سارت لمسافة ثلاث بنايات، حتى وصلت إلى بناية "جورج". ثم خطر ببالها أنه ليس بإمكانها الذهاب إلى شقته من دون سابق إنذار. فقررت الاتصال به عند وصولها إلى شارع "روا دو كاتيت". ومع الجرس الثاني، أجاب "جورج". سألت:

- أين أنت؟

أجاب:

- في طريقي إلى المنزل، فقد ذهبت لرؤية أحد أصدقائي بالمستشفى. لماذا؟ هل حدث شيء؟

- صفحات جديدة.

- يا إلهي، متى؟

- اليوم.

- يمكنني المجيء إلى شقتك.

- ليس هناك داعٍ. سأقابلك في شقتك.

أغلقت الخط، حيث كانت قد وصلت إلى هناك بالفعل. دخلت أحد المخابز لإضاعة الوقت. جلست بجوار النافذة وطلبت كوبًا كبيرًا من الإسبريسو. ومن مكانها، كان بإمكانها رؤية مدخل بناية "جورج". بممره ورخامه الأخضر، وكذلك المارة في الشارع. تكره تلك الفترة من اليوم، حيث تغلق المحال أبوابها، ويذهب كل شخص إلى وجهته المختلفة بعد العمل. كانت تشعر بنوع من السكون عند حلول المساء. ظلت هناك لعشر دقائق، حتى رأت "جورج" يخرج من مبنى إداري رقم 53، ويضع شيئًا داخل جيب الحقيبة الجانبي. من على البعد، كان بإمكان "فيكتوريا" التعرف عليه، من طريقة سيره، وحركة ذراعيه. أخفض "جورج" رأسه وسار نحو بنايته رقم 61. تساءلت ماذا كان يفعل على بعد أربع بنايات من منزله، وقد أخبرها للتو أنه غادر المستشفى؟ حاولت الحفاظ على هدوئها، فلا بد أن هناك تفسيرًا. دفعت الفاتورة وغادرت المكان. مرت بالمبنى الإداري لإلقاء نظرة، ثم قررت الدخول وسؤال الحارس، الذي كان منجذبًا لمباراة كرة قدم يشاهدها على تليفونه. وفوق رأسه، كانت هناك لافتة ضخمة بكل أرقام المكاتب في كل طابق بالمبنى. تفحصتها "فيكتوريا" للحظات، من دون أن تعرف عما تبحث.

سألها:

- هل تحتاجين إلى مساعدة؟

قالت وهي تبتسم له:

– لا، أنا فقط.. كنت في المخبز على الجانب الآخر من الشارع، وظننت أنني قد رأيت صديقًا قديمًا من أيام المدرسة يخرج من هنا. لقد حاولت اللحاق به، لكنني لم أستطع. رجل أبيض يرتدي نظارات.

سألها:

– هل تقصدين "جورج"؟

– أجل! هل يعمل هنا؟

– لقد استأجر المكتب رقم 303 منذ أشهر قليلة.

– من المؤسف أنني لم أستطع اللحاق به، كنت أرغب في التحدث إليه بشدة.

– أعتقد أنه يسكن بالقرب من هنا، لكن لا أعرف أين.

– هل يأتي إلى هنا كل يوم؟

– لا، أحيانًا فقط.

نظر إليها بارتياب. ثم سأل:

– ما اسمك يا سيدتي؟ هل ترغبين في ترك رسالة له؟

رفضت "فيكتوريا"، وأعطته اسمًا عشوائيًّا ثم رحلت. لم تحصل على أي شيء آخر منه. على أي حال، لديها ما يكفي من الإجابات، لم يذهب لزيارة صديق. لقد استأجر مكتبًا بتلك البناية، لكن لماذا في منطقة سكنه نفسها؟ وقفت على الرصيف، قلقة، ثم قررت الاتصال بـ"أروز"، الذي أجاب في الحال، لكنها صمتت لثوانٍ. فلم تكن تعرف ما تريده بالضبط. فسأل:

- ماذا حدث يا "فيك"؟ هل أنت بخير؟

- لا أعرف.. الأمر أن.. إذا حدث شيء لي، فأريدك أن تعرف أنني ذاهبة لمقابلة "جورج"، الكاتب الذي تعرفت عليه من المقهى.

بدا "أروز" قلقًا أكثر من المعتاد:

- انتظري لحظة يا "فيك"، وضحي ما تقولينه! إذا كنت خائفة لا تذهبي لمقابلة ذلك الرجل.

من دون أن تجيبه، أغلقت الخط ووضعت تليفونها على وضعية الصامت. لا يمكن أن تستسلم الآن. دقت الإنتركم، واستقلت المصعد إلى الطابق السابع. كان "جورج" بانتظارها على الباب. يرتدي الملابس نفسها التي رأته بها؛ جينز وقميصًا أصفر بأكمام طويلة، لكنه قد خلع حذاءه.

قال مبتسمًا:

- عدت للتو. لقد وصلت سريعًا.

رغمًا عنها ابتسمت قائلة:

- لقد استقللت سيارة أجرة.

دخلت شقته، وتفحصت غرفة المعيشة بأثاثها البسيط، كانت حقيبته على الأريكة، اقترب منها "جورج" لكنها ابتعدت، فقبل وجنتها فقط.

قال وهو يدخل المطبخ:

- انتظري هنا لحظة.

مسحت أثر لعابه من على وجهها. لم تشعر بالراحة قَطُّ في البقاء هناك. الآن، كان يبدو أن كل شيء مخطط له لرسم صورة الكاتب المفلس، الذي يستعد للبدء من الصفر. هل كان هذا حقيقيًّا؟ حاولت "فيكتوريا" تذكر المرة الأولى التي ظهر بها "جورج" في مقهى "مورا". ربما في بداية العام.

قال "جورج" عائدًا بفنجانين، قدم أحدهما إلى "فيكتوريا":

- لقد صنعت بعض القهوة.

ارتشف منه ثم وضعه على المنضدة الصغيرة، حتى يستطيع لمس وجهها قائلًا:

- لقد افتقدتك حقًّا.

- وأنا أيضًا، لقد اتصلت بك بمجرد أن قرأت الصفحات الجديدة.

- لقد فعلت الصواب.

سألت بطريقة تلقائية:

- هل صديقك بخير؟

- أجل، لقد كان مجرد التهاب في الزائدة الدودية.

لم تكن "فيكتوريا" تعرف أيًّا من أصدقاء "جورج". رغم صداقتهما لعدة أشهر، فلم يتحدث عن أي منهم. فقط كان يشكو دائمًا من عدم عقده لصداقات قوية منذ عودته من أوروبا، مما جعل كذبته واهية. سألها:

- ماذا كتب في المذكرات هذه المرة؟

سلمته "فيكتوريا" الأوراق، حتى لا يرتاب ثم قالت:

- أنا واثقة أن "رابونزل" هي عمتي "صوفيا".

ثم أوضحت:

- كانت تتحرش بالطلبة، في جراج منزلنا. اكتشف أبي الأمر، وقطع علاقته معها. وانتهى بها الحال بالهرب إلى أمريكا.

علت الصدمة وجه "جورج":

- يا إلهي!

- هناك المزيد، لقد دفع "سانتياجو" "إيجور" من الطابق الخامس في أثناء مشاجرة. لم يكن انتحارًا.

- هل كتب هذا هنا؟

أومأت. فانحنى "جورج" على الأوراق، وبعد برهة، نظر إلى "فيكتوريا" قائلًا:

- احتسي قهوتك وإلا ستبرد.

التقطت الفنجان وتظاهرت بأنها ترتشف منه. فلم تكن لتشرب أي شيء يقدمه لها. ربما كانت تبالغ في ردة فعلها. لكن لا يمكنها المجازفة. بدا "جورج" مسالمًا وهو يقرأ، ويريح مرفقه على ركبته، وذقنه على إحدى يديه، لماذا يكذب إذن؟ نهضت "فيكتوريا" ودارت حول المقعد. ووقفت خلفه لتقرأ المذكرات معه. وعندما وصل "جورج" للجزء الذي دخل فيه "سانتياجو" الجراج مع "رابونزل"، انحنت لتشير إلى جملة فانزلق الفنجان من الصحن، وعندما انسكبت القهوة على كتفه، انتفض من

سخونتها الحارقة، وأسقط الأوراق ليخلع قميصه. وفي الحال اعتذرت "فيكتوريا"، فقال:

- لا مشكلة.

وبينما يمسح جسده بقميصه قال:

- على الأقل، لم تبتل الأوراق. سأعود في الحال.

لم يكن أمام "فيكتوريا" وقت طويل، هرعت نحو الأريكة وفتحت الحقيبة، في القسم الكبير كان هناك اللابتوب، ومقلمة، ومظلة سوداء. في الجزء الأيمن، كانت هناك زجاجة ماء. في الجزء الأيسر، كان هناك مفتاحان. أحدهما ماركة "تيترا" والآخر مفتاح عادي في سلسلة مفاتيح عادية. خبأت المفاتيح في جيب بنطالها الخلفي ثم أغلقت الحقيبة. والتقطت الكوبين ووضعتهما في المطبخ. حيث تناولت كوبًا من الماء. عاد "جورج" وهو يرتدي بنطالًا قصيرًا وقميصًا بسيطًا. سأل:

- ماذا ستفعلين الآن؟

- لا أعرف بعد.. ربما أذهب إلى الشرطة، بهذه الأوراق، قد يساعدونني في العثور على "صوفيا".

كانت بحاجة إلى مغادرة المكان بسرعة. قبل أن يلحظ "جورج" أن المفاتيح مفقودة.

وضعت يدها في جيبها لتتأكد أن المطواة هناك:

- كنت أريد معرفة وجهة نظرك فقط.

– هل كل شيء على ما يرام يا "فيك"؟ تبدين.. مختلفة.

– أنا في عجلة من أمري فحسب، لقد وعدت العمة "إيميليا" بأنني سأذهب لرؤيتها اليوم. وقد حل المساء.

سار "جورج" نحوها، بدا مرتابًا:

– لماذا لا تتصلين بها وتؤجلين الموعد إلى الغد؟

– لا بد أن أذهب اليوم حقًّا.

تنهد "جورج". ثم جعلها تعده بألا تتخذ أي قرارات متعجلة. وافقت "فيكتوريا"، وهي تحاول السيطرة على رغبتها الملحة بالخروج من هناك في أقرب وقت ممكن. اتفقا على أن يتقابلا في الغد، عندما تنتهي من عملها. وبينما تغادر البناية، غمرها شعور كبير بالراحة، رفعت بصرها إلى أعلى نحو نافذة "جورج"، لكنه لم يكن هناك. ولتطمئن، سارت حتى الناصية قبل أن تعود إلى المبنى الإداري. كان الحارس الآخر الذي استلم دوريته للتو جالسًا على مكتبه يقرأ الكتاب المقدس. واعتمادًا على حقيقة أن مئات الأفراد تدخل وتخرج يوميًّا من هذا المبنى، أمسكت "فيكتوريا" بحقيبتها وتجاوزت قاعة المدخل المغطى بالسجاد نحو المصعد. وبهدوء حيت الحارس، الذي بالكاد رفع بصره. بتوتر، صعدت إلى الطابق الثالث. كانت الردهة ضيقة وغير مميزة، بجدرانها المطلية باللون البيج، والسجادة العريضة السوداء. فوق معظم الأبواب أرقام ولوحة صغيرة تحدد السكان، مثل مكتب خدمات محاسبة "باياو"، أو "د. لويزا سامبايو"

جراحة أسنان. لكن على الباب 303، كتب الرقم فقط. باب خشبي عادي، من دون عين سحرية.

كانت يداها ترتعشان، وهي تخرج المفاتيح من جيبها. وببطء فتحت الباب. مبدئيًّا، كان المكان شديد الصغر، غرفة خالية من النوافذ. بها مقعد وبعض المجلات. لكن كان هناك باب آخر. أغلقت "فيكتوريا" باب المدخل، وسارت نحو الباب الثاني. للحظة تخيلت "جورج" خلفها، بتعبير غاضب وعاتب على وجهه. فنظرت بقلق لكن لم يكن أحد هناك.

كانت الغرفة الثانية أكبر قليلًا. بها الكثير من الصناديق الكرتونية المتكدسة، وخزانة مدمجة. على مسافة قصيرة في أحد الأركان، أسفل النافذة، يوجد مكتب معدني بأدراج، وكرسي مكتب بعجل. سارت فوق الأرضية الخشبية، تشق طريقها وسط الصناديق. كادت تتعثر فوق حزمة من الأوراق، فاضطرت إلى استخدام فلاش تليفونها لتنير الطريق. وجدت أن "أروز" قد اتصل بها أكثر من عشر مرات، وأرسل نحو مائة رسالة. فوق المكتب، هناك العديد من الملفات، ومفكرات وأقلام وثقالة ورق، وكمبيوتر قديم بشاشة عملاقة. فتحت "فيكتوريا" الملف الأول، كانت هناك صورة لها وهي تخرج من مقهى "مورا". تخفض رأسها، ترتدي جينز وقميصًا أسود. تم التقاط الصورة بعدسة بعيدة المدى. باقي الصور كانت لها، وهي تسير في طريقها من وسط المدينة إلى بنايتها في "لابا". وكأنه جهد عمل محقق خاص في فيلم بوليسي. جلست لتنظر بباقي الملفات. كانت هناك صور لها مع "أروز". وأخرى وهي تزور العمة "إيميليا" في دار

المسنين، كذلك وهي تدخل المبنى الذي تقع به عيادة الدكتور "ماكس". شعرت وهي تتطلع بكل صورة وكأن ذئبًا ينهش جزءًا منها.

في ملف آخر، عثرت على مقالات صحف عن قضية "الواصم"، وسيديهات كتب عليها أسماء البرامج التليفزيونية مثل "الرائع" 8\2002، "سيداد أليرتا" 7\2004، "ريتروسبكتيبا" 12\1998. في الدرج، كانت هناك صور يعود تاريخها إلى آخر ستة أشهر، جميعها مرتبة، وبمشابك الأوراق، ثبتت أوراق الملاحظات الملونة، وكذلك صفحات مطبوعة كتب بها:

"عندما أطلب شيئًا من القائمة، لا تنظر إليّ وتتجنب أي اقتراب جسدي. والغريب أنها لا تقيم أي صداقات مع الإناث. لا في العمل ولا خارجه. وإذا حاولت المضيفتان الأخريان التحدث معها، تصدهما في الحال. عندما سألت الموظفتين "ألين دانتاس" و"مارجو كامارجو"، وصفتا "فيكتوريا" بالغريبة. فبحسب "مارجو"، ليس لـ"فيكتوريا" غرائز جنسية. وقالت زميلتها: «أشك أنها أقامت علاقة حميمية أو قبلت أحدًا من قبل»".

تصفحت "فيكتوريا" الدفتر الممتلئ بتعليقات بالقلم الأحمر. اضطراب الشخصية الحدية. هكذا كان مكتوبًا في الصفحة الأولى. وفي الصفحة التالية، كانت هناك قائمة، تم شطب معظم عناصرها.

"نظرة سلبية للذات.

شعور دائم بالخواء.

أرق.

فقدان ذاكرة.

غضب شديد وغير مبرر أو صعوبة في التحكم بالغضب.

نوبات ذهانية.

نزعات هيستيرية".

بعد عدة صفحات، وبخط يد متعجل، جذب انتباهها تعليق محدد:

"تحاول "فيكتوريا" إخفاء مشكلة إعاقتها عندما تسير في المقهى. يبدو أنها تظن أن لا أحد يلحظ مشيتها غير المعتدلة".

- "فيكتوريا"؟

توقف قلبها، لكنها لم تصرخ. كان "جورج" يناديها من الردهة، غاضبًا. أخرجت المطواة من حقيبتها، لكنها شعرت بالأسى. لن تستطيع أبدًا الدفاع عن نفسها بهذه الطريقة. بحثت عيناها البائستان عن شيء فوق المكتب. أمسكت ثقالة الورق وبسرعة ارتدت إلى الخلف. لماذا لم تشك قَطُّ؟ "جورج" هو "سانتياجو". يبدو الأمر جليًّا الآن! لم يكن قدومه إلى المقهى ومحاولة تقربه منها من قبيل المصادفة. لقد خطط للأمر.. من أجل.. من أجل ماذا؟

كان مقبض الباب يدار بينما ترفع ذراعها. بالكاد كان "جورج" يخطو إلى الداخل، عندما ضربت "فيكتوريا" رأسه بثقالة الورق لترتطم. ألمت الصدمة يدها، وأفقدته توازنه. حاول "جورج" قول شيء، لكنها

وجهت إليه ضربة أخرى في ذقنه ووجنته. كانت غاضبة جدًّا ولم تتوقف إلا عندما انزلقت الثقالة من يدها وتدحرجت تجاه قدم "جورج". استلقى بلا حراك. ملتويًا، وجهه مغطى بالدماء. بيأس، مسحت يدها في ملابسها. اتجهت نحو النافذة، وانبطحت أرضًا، وهي تشعر بألم حاد من قمة ساقها الاصطناعية حتى فخذها. تجولت ببصرها وهي متقطعة الأنفاس، قلبها يخفق بشدة، في الغرفة الخانقة، لا يمكنها أن تفقد الوعي، ليس هنا مع "جورج". من تلك المسافة، لم يكن باستطاعتها تحديد إن كان حيًّا أم لا، ولم تمتلك الشجاعة للاقتراب منه. التقطت متعجلة بقدر استطاعتها الملفات، والصور، والصفحات المطبوعة. فكلها ستفيد كدليل ضده. وبحقيبتها المنتفخة، ركضت نحو الباب، وهي تتفادى المرور بجانب جثته، تخيلت أن "جورج" يستيقظ ويجذبها من قدمها، ممزقًا جزءًا من ساقها بفمه، حتى ينهي ما بدأه من عشرين عامًا. مختنقة، غادرت الغرفة من دون أن تنظر خلفها. استغرق المصعد وقتًا للوصول، وعندما وجدت الردهة خاوية، لم تنتظر هناك، وقررت النزول على السلم. كانت ساقها المبتورة، التي تشعر باحتراقها، تعيق سرعة هبوطها. انحنت على الدرابزين ثم نظرت خلفها، فقد سمعت جلبة. هل يهبط شخص ما السلم؟ حاولت الإسراع. وعندما وصلت إلى الطابق الأرضي، انطلقت بسرعة نحو الباب. ثم سقطت على الأرض. انتفض الحارس مصعوقًا. لكنها حملت الأوراق، نهضت وركضت بأقصى سرعة.

لم تفِد نسمة الهواء المسائية في شيء. وتقريبًا ثقبت سرعة السيارات المدوية طبلة أذنها. على الناصية الأخرى، وجدت حانة فدخلت. أعطت

البائع آخر ورقة نقدية من فئة الخمسين في محفظتها، وطلبت زجاجة فودكا. وبمجرد أن قدم لها البائع الزجاجة، فتحتها وشربت. شعرت بحرقة في حلقها من الكحول الرخيص، لكنه سكن في الحال ألم قدمها المبتورة. غادرت "فيكتوريا" الحانة ثملة. وبالتدريج دخل جسدها وذهنها في حالة انتشاء، خففت الأحزان وأنهتها.

واصلت السير، وهي تجر ساقها اليسرى وتستند إلى الرصيف القذر والجدران. برزت حزمة مكرمشة من الأوراق بين سحابتي الحقيبة. وعندما ضغطت "فيكتوريا" بشدة، تمزقت الأوراق إلى نصفين، وسقطت على الأرض. فانحنت لتلتقطها حتى لا تترك أي أثر خلفها. لكنها انقلبت على ظهرها، فحدقت إلى الحروف المتداخلة في الصفحات. وقرأتها بصوت عالٍ وكأنها تلقي قصيدة **"عمليًّا كان من المستحيل العثور على تسجيلات لأيام إدمان "فيكتوريا" للخمر"**. وجدت تقريرًا واحدًا للشرطة، بتاريخ 11 أكتوبر 2015، عندما اتصل مدير البناية في "إيبانيما" بهم، لأنها كانت نائمة ثملة تمامًا في الحديقة. استندت إلى إحدى السيارات لتنهض، وواصلت احتساء الخمر. كانت متعثرة على طريق "روا دو كاتيت"، تحتضن زجاجتها. ورغم معرفتها بأنها لن تستطيع الاستمرار لفترة طويلة، فإنها لم تهتم. فهي لا ترغب في العودة إلى المنزل، أو الذهاب إلى قسم الشرطة. كل ما كانت تريده فقط هو زوال الألم إلى الأبد. نهاية لكل مشكلاتها.

صاحت وهي تشعر بالتحرر من داخلها:

– اللعنة على "صوفيا"، اللعنة على "سانتياجو"، اللعنة على الجميع!

كادت سيارة أجرة تصدمها وهي تعبر الشارع في اتجاه ميدان "باركا باريس"، لولا أنه قد كبح فرامله في الوقت المناسب. ورغم ذلك لم تسرع الخطى رغم الصفير. في شارع "روا أغسطس سيفيرو" تأملها المتحولون جنسيًّا والعاهرات وهي تترنح وسط العربات المتوقفة. تعثرت ثانية وهي تصعد منحدرًا. ومن أثر الدوار، تكومت على الرصيف، وأخذت تشرب الفودكا وكأنها زجاجة رضاعة. ثم أخرجت ورقة أخرى من حقيبتها.

"بعد الحادثة، درست "فيكتوريا" في مدرسة "بوسيتيبو" حتى عمر الثانية عشرة. ثم التحقت بمدرسة "بيدرو الثاني" الثانوية في وسط المدينة، القريبة من مسكن "إيميليا" في حي "سانت كريستو". لم تكن شهادات سنواتها الدراسية جيدة. فتقريبًا كانت تحصل على درجات متوسطة في جميع المواد، فيما عدا الرياضيات. وقد رفضت التصوير بالمدرسة. بالتحدث مع معلميها في ذلك الحين، كان البعض يتذكرها لكن بسبب الحادثة، وليس لشخصها".

توقفت للحظة لتشرب الرشفة الأخيرة.

"في الفصل، كانت "فيكتوريا" منطوية، قلقة وسريعة التأثر. لم تحضر أي تجمع لزملاء دراستها القدامى. وقد استكملت تعليمها في فصول تعليم الكبار. يبدو أنه ليس لديها أصدقاء أو عشاق. ودائمًا تختفي ثملة".

في حالة السكر والانزواء، لعقت "فيكتوريا" قمة الزجاجة، ثم، بغضب حطمتها على الحائط. ثم فكرت في عنق الزجاجة المتبقي بيدها بعد أن قربته من رسغها الأيسر. فكرت في أن قطعًا بسيطًا سيحررها من كل الضغائن، وسيضع حدًّا لكل الأمور. وربما يلم شملها مع عائلتها. بلا

تردد، طعنت "فيكتوريا" ذراعها بالزجاج، لكن لم تشعر بالألم. فكرت في لفها حتى تعمق الجرح، لكن لم تتحلَ بالقوة. كما أنها لا تستطيع فعل هذا بطريقة صحيحة. ابتهجت وابتسمت بهدوء وهي ترى الدم يقطر من بين أصابعها ويسيل على الأرض. بعد عدة دقائق، توقفت ضحكاتها وصياحها، وحل بدلًا منهما شخير عميق.



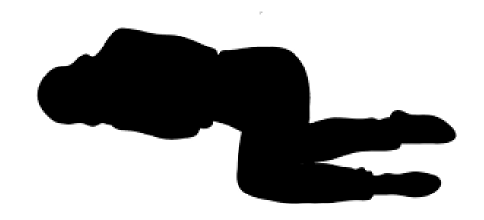


"كنت أراقب "فيكتوريا" وأنا أختبئ وسط السيارات، بمزيج من مشاعر الشفقة والغضب. لماذا يسير الأمر على هذا النحو؟ للحظة، تفاءلت وقلت ربما يجعلني ما حدث أعيد التفكير في خطواتي التالية، لأتصرف بحرص. فعندما كادت سيارة الأجرة تلك أن تصطدم بها، فكرت في التدخل. لكنني لن أسمح لها بإفساد الأمر كله بالنسبة إليَّ. ثم تحطيمها للزجاجة.. فإذا لم تجبن وحاولت قتل نفسها! لكان عليَّ أن أمنعها. الآن تنام وتشخر بصوت عالٍ. مما يجعلني أقترب منها باطمئنان. نظرت إلى كلا الجانبين، بطول الطريق الخالي تقريبًا، لم يكن هناك من يرانا. وبطرف حذائي، وكزت ظهرها. فاهتز جسدها الضعيف، لكنها لم تستيقظ. رائع، أخرجت علبة "الإسبراي" من حقيبتي، انحنيت وحركتها. فتردد صدى الكرة المعدنية في العلبة. عدلت وضعيتي بحيث لا تتمكن "فيكتوريا" من رؤيتي إذا فتحت عينيها فجأة. قربت الفوهة من راحة يدها ثم ضغطت،

بطريقة أداء شاعرية جميلة، حيث يمتزج الطلاء مع الغاز السائل، ويمتد ليصنع تلك الضوضاء الرائعة. تسسسس. لونت أصابعها الصغيرة، ذراعها الرفيعة النحيلة، وعنقها. غطيتها بالكامل. كدمية صينية. ثم تحركت نحو الجزء السفلي من جسدها. وعندما انتهيت، كانت بالكاد تبدو كالبشر. فقد كانت تشبه بقايا احتراق كبير أكثر. لكنني لم أنجز الجزء الأخطر بعد. وجهها، فحتى وهي ثملة، ربما تستيقظ وتتعرف عليَّ. لكنني بحاجة إلى فعل هذا، فهي تستحق العقاب. بسبب كل ما فعلته وتفعله بي. بحرص، طليت ذقنها، وفمها، وجنتيها، شعرها وجبهتها. حتى تغطت بالأسود تمامًا. للحظة، كانت تنذر بأنها ستستيقظ. تسسسس، تسسسس. لكن لم تنجح الضوضاء ولا الرائحة في إيقاظها. كانت طبقة الطلاء تتراكم على وجهها. وتمتد أسفل الرصيف. كانت تبدو كلوحة فنية".



24



كانت قطرات الماء تتساقط على وجه "فيكتوريا"، عندما أفاقت من غيبوبتها وفتحت عينيها، لتشهق كمن أوشك على الغرق. وأول ما خطر ببالها هو أن "جورج" قد مات، وأنها من قتلته. مستلقية على فراش مستشفى منخفض، حدقت إلى السقف الأبيض، وكل ما اكتسى من حولها باللون الأبيض من جدران، وأغطية، وملابس، وأجهزة. لكن ليس لون أحمر شفاه تلك المرأة التي ترتدي زي ممرضة، وتنحني عليها محدقة إلى وجهها، لتبتعد وهي تقول:

- يسرني أنك أفقت.

ثم أضافت وهي تتخلص من الملابس القذرة التي كانت تمسكها:

- سأخبر الطبيب.

كان رأس "فيكتوريا" يؤلمها، والمذاق المر اللزج في فمها، يصيبها بالغثيان. كل جسدها يؤلمها، وخاصة رأسها، وصدرها، ومعدتها. اقترب منها شخصان؛ "أروز" ومعه.. استغرقت بعض الوقت لتتعرف على الرجل حليق الرأس، ذي القميص الضيق، بعضلات ذراعيه المغطاة

بالكثير من الوشم. إنه "جاكسون"، جارها. فتحت فمها وبصعوبة شديدة، حركت شفتيها الجافتين لتسأل:

- منذ متى وأنا هنا؟

أجاب "أروز" بقلق:

- منذ ساعات قليلة.

- لا أستطيع تذكر ما حدث.

قال "جاكسون":

- ستكون معجزة لو استطعت. لقد كنتِ في حالة مزرية.

تتبعت "فيكتوريا" نظرته فرأت الضمادة على رسغها الأيسر. للحظة، عاودها الإحساس بألم الزجاج المنغرس في لحمها. هل فعلت ذلك حقًّا؟ اقترب "أروز" أكثر، ثم سألها:

- بماذا تشعرين؟

أرادت أن تقول: "بألم مريع". لكنها بدلًا من ذلك سألت:

- كيف جئت إلى هنا؟

قال "أروز":

- لقد انتابني الخوف عندما اتصلت، ولأنني لا أعرف عنوان مسكن "جورج"، اتجهت مباشرة إلى بنايتك وحاولت الاتصال بك. كنت أطرق الباب عندما ظهر "جاكسون" فطلبت مساعدته.

أوضح "جاكسون":

- خرجنا للبحث عنك في "لابا". من حسن الحظ، لقد رأتك صديقة لي. تحترف البغاء في ميدان "باركا باريس". لم أتخيل قَطُّ أنك هكذا. فأنت هادئة للغاية دائمًا.

رمقه "أروز" بنظرة حادة، ثم قال:

- كنت ترتعدين، وذراعك تنزف. فقررت نقلك إلى المستشفى. ما الذي حدث يا "فيك"؟

لم تعرف بماذا تجيبه. أبقت رأسها ثابتًا على الوسادة الكبيرة. وقد علق بذهنها صورة واحدة. صورة "جورج" ملقى على الأرض، غارقًا في دمائه.

قالت وكأنها تتحدث مع نفسها، وليس معهما:

- لقد قتلت "جورج".

- ماذا؟

حاولت ترتيب أفكارها، ثم أخبرتهما بكل ما استطاعت تذكره. المفاتيح التي سرقتها، المبنى الإداري، والصور، والأوراق المطبوعة، ارتباكها وهي تهبط سلالم المبنى، وانهيار قواها حتى قبل أن تستطيع الوصول إلى الطابق الأرضي. أين ذهبت بعد ذلك؟ يؤكد الصداع والمذاق المر في سقف حلقها أنها كانت ثملة. ثملة للغاية. لكنها لم تستطع تذكر شرائها للخمر، ولا سباتها في الشارع.

سألت بفضول:

- أين حقيبتي؟

قال "أروز":

- لقد وضعتها جانبًا.

- يجب أن تتصل بالشرطة، بالمأمور "أكينو" من مركز شرطة الدائرة الاثنى عشر. فهو يعرف كل شيء عن قضيتي.

قال "أروز":

- وأنا أيضًا يا "فيك".

ثم أخفض عينيه، وقال بصوت مسموع:

- أعرف ماضيك. بعد أن أخبرتني بأنك مهددة. كان لا بد أن أفعل شيئًا. فأجريت بعض البحث عن حياتك، ووجدت كل شيء على الإنترنت. هل عاد القاتل للبحث عنك؟ هل هو مَن يهددك؟

ربما لا يعرف "أروز" أمر المذكرات، ولا طلاء حائط غرفة نومها. لكنه يعرف ما يكفي لجعلها تشعر بالخجل. ورغم آثار الثمالة، فإن الرغبة الملحة في احتساء الخمر عاودتها من جديد. ضغطت "فيكتوريا" على الفراش لترفع نفسها، لكن ألم وخز القسطرة في يدها لم يساعدها. قال "جاكسون":

- من الأفضل ألا تتحركي.

قالت:

- لا بد أن يعرف المأمور. فأنا أعتقد أن "جورج" هو "سانتياجو".

دهش "أروز" وسأل:

- ماذا تعنين؟

- أحضر حقيبتي.

عندما ابتعد عن الفراش، فتح الطبيب الباب، وبصحبته تلك الممرضة. وبطريقة آلية، وجهت ضوءًا صغيرًا في عين "فيكتوريا". وطلبت منها أن تفتح فمها، ثم قاست الضغط. قال الطبيب:

- أنت مصابة بالجفاف، لكن المحلول سيساعدك، ستظهر نتيجة بعض التحاليل اليوم في وقت متأخر، ربما مساء، سأعطيك مهدئًا وستنظفك الممرضة.

- تنظفني؟

"يا إلهي، أنا بحاجة إلى الفودكا"، فكرت في هذا بينما تتطلع إلى عين الطبيب الباردة. عاد "أروز" بالحقيبة في يده. ثم قال بحذر:

- "فيك". ألا تتذكرين أيًّا مما حدث بعد أن ثملتِ؟ ألم يقترب منكِ أحد في الشارع؟

هزت رأسها نافية، وهي تشعر بألم قاتل في جبهتها:

- لماذا؟

أحكم "أروز" قبضته على الحقيبة، بينما كان "جاكسون" ينظر إلى فتحة صدرها بوقاحة. بهتت "فيكتوريا" عندما خفضت نظرتها، ورأت صدرها ملطخًا باللون الرمادي. ثم لاحظت تأثرهم المتجهم، رفعت يدها إلى وجهها. كانت بشرتها كالبلاستيك، مغطاة بطلاء جاف. شعرت بدوار. ورغم استنفادها لكل طاقتها، لفت جذعها حتى تنهض من الفراش. قال الطبيب:

- اهدئي، اهدئي. ستؤذين نفسك.

أكد لها "أروز":

- كل شيء على ما يرام.

لكن "فيكتوريا" لم تستمع له. رفعت نفسها إلى أعلى مستندة إلى مرفقيها، وتهيأت للنظر إلى انعكاس صورتها بالنافذة. كانت آثار الطلاء لا تزال على وجهها، الذي نظفته الممرضة. كوحش خيالي على مقدمة سفينة. بيأس، نزعت القسطرة وأنزلت قدمها من على الفراش. جذبها الطبيب والممرضة. ودفعاها لترقد ثانية. منعتها أنفاسها المتقطعة من المقاومة. وعندما فتحت فمها لتصرخ، تفتت طلاء بشرتها الجافة، وسقط على ملابس الممرضة التي كانت تتقدم نحوها وفي يدها حقنة. لم تكن "فيكتوريا" ترغب في النوم. لكن جفنيها كانا ثقيلين حتى قبل أن يعمل المهدئ.



يهمس "بيلي" للعمة "إيميليا"، الجالسة على مقعد بجوار الفراش:

- وضعها كارثي.

و"أروز" على الجانب الآخر يحكي للمرة الألف كيف وجدها مستلقية على الرصيف بين سيارتين، يغطيها الطلاء، وذراعها تنزف، ودمها يتساقط حتى قدمها. كان الدكتور "ماكس" و"أكينو" يستمعان إليه بانتباه. ولعدة مرات، كتب المأمور بعض الملاحظات، ووجه إليه بعض الأسئلة عن عدة تفاصيل معينة. لا، لم يرَ ولا "أروز" ولا "جاكسون" أي مشتبه به بالمنطقة. أجل، كانت حقيبتها إلى جوارها. أجل، كان الطلاء قد جف بالفعل عند وصولهما. تحدثوا لأكثر من نصف ساعة، ورمقوها بنظرات اهتمام واتهام أيضًا.

شعرت "فيكتوريا" بالخزي. لقد أصبحت حياتها الخاصة على الملأ، في تحريات الشرطة حيث يذكر الجميع إفاداتهم. كانت ذروة تداخل الأصوات فرصتها لتأسى على حالها. أين كان عقلها عندما بدأت كل هذا؟ كيف صدقت للحظة أن بإمكانها أن تحب مثل الناس الطبيعيين؟ أخافتها فكرة الوقوع في حب "جورج". عندما أنهى "أروز" حديثه، تصفح المأمور الأوراق التي كانت في حقيبة "فيكتوريا"، وسأل بضع أسئلة أخرى. لم تكن هناك حاجة إلى إعادة تكرارها. بمجرد أن اتصل "أروز" بالمأمور "أكينو"، وأخبره بمهاجمتها لـ"جورج"، وفرضية أنها تعتقد أنه "سانتياجو"، حضر المأمور إلى المستشفى بسرعة، وانتظر حتى تفيق "فيكتوريا" لتخبره بعنوان المبنى الإداري، ثم أرسل سيارة شرطة إلى هناك. وفي أثناء الانتظار، واصل المأمور الاستجواب، يحلل كل الإفادات كما لو أن شيئًا جديدًا يمكن أن يظهر فجأة. إذا كان "جورج" قد مات، فمن قام بطلائها؟ هناك شيء غير منطقي. وبصوت عالٍ، قرأ "أكينو" إحدى أوراق "جورج":

"يزور كلاهما الشقق للاستعلام هل هي للبيع أم للإيجار. في البداية، كنت أظن أنهما سيستأجران شقة معًا. لكن اتضح أنها مجرد لعبة. وسيلة للتجسس على الحياة الخاصة للناس، أنها بالتأكيد محاولة يائسة من "فيكتوريا" حتى تتجنب الوحدة. حقيقة أو خيال".

توقف ليسأل:

- من يعني؟

كست الحمرة وجه "فيكتوريا".

قال "أروز":

- أنا. نحن نفعل هذا، لكن..

واصل المأمور القراءة:

"هربت "فيكتوريا" صارخة عندما اقترب منها صديقها. دفعته وابتعدت. لأول مرة تغضب بمثل هذه الحدة. لكن هذا يعني أن فكرة الحب مرفوضة تمامًا بالنسبة إليها. تتحكم الانفعالات في تصرفات "فيكتوريا" تمامًا، وليس عقلها. فقد عبست وهربت كالأطفال. تخضع علاقاتها لحدة متأرجحة بين المثالية والاستهتار".

قال الدكتور "ماكس":

- ليس هناك حاجة إلى قراءة هذا بصوت عالٍ يا سيدي.

قالت "فيكتوريا":

- هناك أمر.. أمر واحد هو ما يزعجني، خط اليد مختلف، ليس هو الخط الذي.. كتب به مذكراته.

- ربما تغير خطه عبر السنين.

تدخلت العمة "إيميليا" قائلة:

- إنه "سانتياجو". ليس لديَّ أدنى شك. ذلك الصبي مختل تمامًا. لقد دمر عائلتنا، وقتل والده، والآن يسعى خلفك، ماذا يريد أكثر من ذلك؟

لم يجب أحد عن سؤالها، بعدها بلحظات، رن تليفون المأمور. ترك "أكينو" الأوراق على غطاء الفراش وخرج ليجيب على تليفونه. في أثناء الدقائق القليلة التي ترك الغرفة بها، انتهزت العمة "إيميليا" الفرصة لقول خطبة عن أنه لم يكن من المناسب أن تخفي "فيكتوريا" كل ما حدث عنها. ووافقها الدكتور "ماكس". وعندما عاد "أكينو"، قال:

- لقد اقتحم رجالنا شقته ومكتبه، وعثروا على عدة أدلة، لقد ترك حتى اللابتوب الخاص به. سنجمع كل هذا لنحلله. إنها فرصتنا الحقيقية لحل اللغز.

- و"جورج"؟

- لم يتم العثور عليه. وحسب الحارس، غادر المبنى بعدها بدقائق وهو ينزف. وقد عرض عليه المساعدة لكنه رفض.

شعرت "فيكتوريا" بالراحة، على الأقل ليست قاتلة. لكن سرعان ما تحولت الراحة إلى حزن شديد. فالمرجح وبقوة الآن أن "جورج" هو من قام بطلائها. واصل المأمور:

- المشتبه به هارب. لم نعثر على أي بطاقة أو مال. إذن لا يوجد حتى الآن ما يمكننا من الاستدلال عليه. هل لديك أي صورة له؟

لم يكن "جورج" يحب التصوير كما أخبرها، وقد كانت هذه إحدى النقاط المشتركة بينهما.

أجابت بعصبية:

- لا.

- سأطلب مرافقة حراسة لك عند خروجك من المستشفى، من فضلك تجنبي البقاء بمفردك، أو الخروج ليلًا في الأيام القليلة المقبلة.

قالت العمة "إيميليا":

- سأبقى معها.

تطوع الدكتور "ماكس" و"أروز" وقالا، في نفس واحد:

- وأنا أيضًا.

قال "أكينو":

- عظيم. من الجيد وجود أصدقاء بجانبك. وحتى يظهر "جورج"، يجب أن تتوخي الحذر بشدة. فنحن لا نعرف مَن هو. أو ما يستطيع فعله الآن، بعد أن كشفنا أمره.



25



لم تغادر "فيكتوريا" المنزل بعد ما حدث لعدة أيام. فقد كان العالم بالخارج يشكل مصدر تهديد لها. فالكل في نظرها قاسٍ، خطير، ولديه دوافع خفية. طالت لياليها ولم تهنأ بنوم جيد، فكوابيس "سانتياجو" تجتاحها. مرة يظهر بلا وجه، وأخرى أكثر سوءًا يشبه فيها "جورج"، أو يضحك مثل "أروز"، أو يبالغ في إيماءاته مثل "بيلي"، وكأنه خليط من عدة رجال. كانت تستيقظ مذعورة تصرخ، متقطعة الأنفاس، لتقوم العمة "إيميليا"، التي انتقلت للعيش معها في شقتها ذات غرفة النوم الواحدة حتى "يتم حل الموقف"، بتهدئتها. منعها ضعفها من المجادلة، رغم شعورها بأن هذا الوضع قد يستمر إلى الأبد. فمن الجيد وجود شخص بجانبها، حتى ولو عجزا عن إقامة حوار طبيعي بينهما. فكلما حاولت تجاذب أطراف الحديث مع عمتها، كانت "فيكتوريا" تشعر وكأنها تستجوبها، تحاكمها وتدينها. في زيارتهما الأسبوعية، يتجنب "أروز" التحدث عما يؤلمها، بينما يصر الدكتور "ماكس" على فعل ذلك. لا تخفي العمة "إيميليا" عدم إعجابها بـ"أروز"، ودائمًا تصفه بالمزعج، الجاهل،

المهووس بـ"فيكتوريا". تقضي "فيكتوريا" الوقت معه إما في التحدث عن أمور عادية، أو كما اعتادا في تأمل الأشخاص عبر التيليسكوب، واختلاق قصص حولهم. تساعدها تلك التخيلات المرحة على الانفصال عن الواقع قليلًا. لقد قلل "أروز" ارتداءه للملابس الصبيانية، وحلق شعره. كما أنه يطلق النكات على تعبيرات وجه العمة "إيميليا" عند قدومه. تحب "فيكتوريا" تعامله معها بطريقة طبيعية. فالتعبيرات القلقة من قبل عمتها والدكتور "ماكس"، الذي لا تتوقف العمة عن مدحه، تغضبها.

بدل الطبيب الأدوية بأخرى أقوى تأثيرًا، فأصبحت حساسة ومشوشة. كثيرًا تشعر بطنين في أذنها بسبب ضوضاء الشارع، وتتحسس عينيها من ضوء الشمس، مما يجبرها على إغلاق جميع الستائر والاختباء أسفل الأغطية. وفي لحظات نادرة، عندما تتجسد أفكارها، تواجه ما حدث برعب حقيقي. لقد قبلت "جورج" وعاشرته. والأسوأ، لقد وثقت به. وأخبرته بأشياء لم تخبر بها أي شخص من قبل. والآن "جورج" هارب، وهي حتى لا تعرف من هو. من حين إلى آخر، تفكر في مغادرة الشقة للبحث عنه، لكنها لا تعرف كيف تفعل هذا ومن أين تبدأ.

لقد أحرزت تحريات المأمور "أكينو" بعض التقدم، كان الأمر أشبه بكابوس لا نهاية له.

يوم الأحد، استغل "أروز" فرصة خروج العمة "إيميليا" لتناول الغداء مع "بيلي" وأخبرها أنه حصل على بيانات المكتبة التي ادعى "جورج" أنه عمل بها في لندن. وأعطاها ورقة كتب عليها رقم تليفون.

أوضح "أروز":

- لقد كذب. اتصلت بإحدى الموظفات، صحيح أن بعض البرازيليين قد التحقوا بالعمل هناك، لكن لم يكن أي منهم يحمل اسم "جورج". وصفته جسمانيًّا لها، لكنها لم تتعرف عليه. يمكنك الاتصال بالمكتبة إذا أردت.

"فيكتوريا" لا تتحدث الإنجليزية، لذلك شكرت "أروز" على إجرائه للمكالمة. فأضاف:

- طلبت منها إرسال صور من عمل هناك من البرازيليين. لكنني لا أعول كثيرًا على هذا. ولا أعرف ماذا أفعل غير ذلك.

أجابته "فيكتوريا" وهي تحاول إخفاء إحباطها:

- لا مشكلة. لقد فعلت الكثير بالفعل.

- يؤسفني كل ما حدث يا "فيك"، أنا آسف حقًّا. فهو لم يكن يستحق ثقتك.

فهمت ما كان يريد "أروز" قوله بين السطور. أنا أستحق ذلك. تفكر في الأمر الآن. كان من الغباء أن تثق بسرعة شديدة بشخص قابلته في المقهى، وتشركه في كل تفاصيل حياتها.

- هل ما زلت تحبينه؟

أغضبها السؤال:

- لا، بالطبع لا.

قال "أروز" وهو ينهض من على المقعد، ليجلس بالقرب منها على الأريكة، بعد أن أمسك يدها ونظر مباشرة في عينيها:

- جيد، فأنا أحبك يا "فيك"، وأحب الاعتناء بك.

- "أروز" أنا..

- أعرف أنكِ تعتبرينني مجرد صديق، لكن يمكن أن يتغير ذلك، أليس كذلك؟

تفحصت تجاعيد وجهه التي تشي بعمره، عظمة أنفه البارزة، وعينيه القلقتين المتوترتين. لم تنجذب "فيكتوريا" له إطلاقًا. ولا حتى الآن بعد التغييرات التي أحدثها، فهي تحب وجوده في حياتها إلى الأبد، ولكن كصديق فقط. واصل حديثه:

- لا داعي للتسرع، ربما في وقت..

قالت:

- لا، أريدك أن تفهم هذا، لا أريد أن أخدعك.

- فهمت.

بعد ذلك بوقت قصير، غادر. عندما عادت العمة "إيميليا"، كانت "فيكتوريا" تشعر بالإرهاق من المناقشة، كما لو أنها استمرت لساعات، فذهبت لتستلقي حتى تغفو. رقدت في الفراش وأمسكت بتليفونها تتأمل عبر الكاميرا العمة "إيميليا" وهي تجلس على الأريكة وتحل الكلمات المتقاطعة. لسبب ما، غفت. وعندما استيقظت، كان المساء قد حل بالفعل. فأخذت حمامًا، ثم جلست على المقعد أمام النافذة. وعبر التيليسكوب، كان يمكنها رؤية سيارة الشرطة التي وضعها "أكينو" لحراستها تقف على ناصية الشارع. ومن تلك المسافة، استطاعت رؤية الضابطين على المقاعد الأمامية بالسيارة يلعبان الورق ويضحكان، وكأنهما ينتظران مرور الوقت. كان إحساسها بأنها مراقبة يشعرها بالسوء، وبأن شيئًا سيئًا

يمكن أن يحدث في أي لحظة. وكأنها عاجزة عن حماية نفسها. ومع ذلك، أين "سانتياجو"؟ لماذا اختفى منذ الصباح الباكر بعد أن طلاها؟ فليس بإمكانها تصديق أنه قد استسلم.

أحيانًا تعاودها أفكارها عن "صوفيا". رغم فقدان شغفها بتلك القصة بأكملها، فشعورها بالاستياء كان لا يزال قويًا. لقد تحدثت في هذا مع الدكتور "ماكس"، بالجلسات التى أصبحت تعقد بغرفة معيشة منزلها. كان يصر على أن تتحدث عن مخاوفها، أو بحسب كلماته، عن خوفها من الخوف. فيسألها ممن تخاف بالضبط، لكن لم يكن بإمكانها أن تجيبه. فهل تخاف من "سانتياجو"، "صوفيا"، "جورج"، أم من الكل في الوقت نفسه؟ هناك شيء آخر، أمر لا يمكن صياغته بالكلمات. ببساطة تشعر في شقتها بالأمان. واصل حديثه:

- ينبع خوفك من الخروج إلى الشارع من مشكلة فقدان الثقة. فقد وثقت بـ"جورج" وتألمت. وتعتقدين أن "سانتياجو" بالخارج يتحين الفرصة.

- أحيانًا أعتقد أن كل ما يريده هو أن يدفعني للجنون. ولقد نجح. كأنه يتركني أعيش حتى ينتقم من عائلتي عن طريقي، لأنهم أبعدوه عن "صوفيا".

- بأي طريقة يدفعك إلى الجنون؟

- أستيقظ وأنا مرهقة بالفعل. أجلس على التيليسكوب وأراقب ما يحدث بالخارج، أتفحص نوافذ جيراني.. وقبل أن أنتبه، تكون ساعات قد انقضت.

ترك الطبيب فترة يسودها الصمت، قبل أن يلتفت نحوها، وبهدوء يسألها:

- و"أروز"؟

خفضت نظرتها دون أن تجيب.

- هل كان يزورك؟

- أحيانًا.

- هل حاول تقبيلك مرة ثانية؟

- لا، لا، فقط..

قال:

- ربما عليك الابتعاد عنه قليلًا، لقد ذكرت عمتك أنكما تشاجرتما.

ظنت "فيكتوريا" أنه من الخطأ أن تتواصل العمة "إيميليا" مع طبيبها المعالج بشكل مباشر، فظلت صامتة.

أضاف الدكتور "ماكس":

- بالكاد تعرفين شيئًا عنه.

- ماذا تعني؟

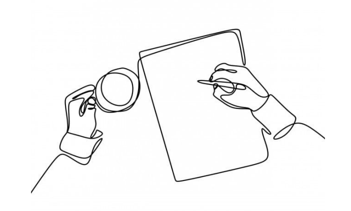
- فضلًا عما تكسبه لك هذه الصداقة من عادات، قد تكون علاقة سامة. فقد بدأت زيارة شقق الآخرين مع "أروز"، وهو من أقرضك التيليسكوب أيضًا.

انتقل الدكتور "ماكس" إلى الأريكة، ليقترب منها أكثر، ثم لمس قدمها قائلًا:

- أنت بحاجة إلى قضاء الوقت مع أشخاص تثقين بهم، مثل عمتك، وأنا.

امتدت الجلسة إلى خمس عشرة دقيقة أخرى. وعندما رحل، شعرت "فيكتوريا" بالراحة.

26



"جورج" ليس "سانتياجو".

عانت "فيكتوريا" طوال الصباح صداعًا نصفيًّا شديدًا، فأعطتها العمة "إيميليا" كوبًا من الماء وأقراصًا لا تعرف اسمها. وبعدها بدقائق في موعد الجلسة، وصل الدكتور "ماكس". انتهزت العمة الفرصة لتعيد كلامها عن ضرورة عودة "فيكتوريا" إلى العمل. ثم دق جرس الباب، وكان المأمور "أكينو" يحمل أخبارًا.

سأل الدكتور "ماكس":

- هل أنت متأكد؟

قال "أكينو":

- حصلنا على تقرير فحص الأدلة الجنائية لجهاز اللابتوب الخاص به، اسمه "جورج أبنارا". حصل على درجة الماجستير في الصحافة الاستقصائية في إنجلترا. وعاد منذ عامين إلى البرازيل.

رغمًا عنها، شعرت "فيكتوريا" بشيء من الارتياح. على أي حال لم يكذب في كل شيء. نهضت العمة "إيميليا" من مقعدها، اتكأت على عكازها، واتجهت نحو الأريكة لتقترب أكثر من المأمور.

واقفًا، حرك "أكينو" يده بقلق قائلًا:

– ما استطعنا التوصل إليه هو أنه قد تخصص في الصحافة الجنائية، وكان مهتمًّا بالكتابة عن القضايا الشهيرة التي حدثت في البرازيل. لا يهتم بالقتلة، بل بالضحايا. لهذا بدأ في التردد على المقهى، حتى يتعرف عليك. أخبرنا صديق قديم له أنه كان مهووسًا بقضيتك، وكان ينوي تأليف كتاب عنها.

– إذن فالأوراق التي عثرت عليها..

– نتائج بحثه. حتى وإن لم يكن هو "سانتياجو"، فأنا لا أستبعد أن يكون هو من قام بطلاء حائطك وفعل الباقي.

– لماذا يفعل شيئًا كهذا؟

– ليعيدك إلى الأحداث، ويوقظ الماضي.

حدقت إلى عين الدكتور "ماكس"، وتذكرت قوله: "إن سانتياجو يجبرك على الاشتراك بلعبته".

– ومقتل "أتيلا"؟

هز "أكينو" كتفيه قائلًا:

– لا نعرف بعد.

سأل الدكتور "ماكس":

- هل هناك أي معلومات عن مكان وجود "جورج"؟

- منذ الحادثة، لم يستخدم حسابه البنكي ولا بريده الإلكتروني.

قالت العمة "إيميليا":

- كيف يمكن أن يختفي شخص هكذا؟ أمر شديد الغرابة.

- لم يستخدم تليفونه أيضًا. ويبدو أنه ليس لديه بطاقة ائتمان.

حدثت "فيكتوريا" نفسها بأن هذا شيء آخر لم يكذب بشأنه.

قال "أكينو":

- ربما يستخدم النقود في مكان اختبائه. وإذا كان الأمر كذلك، فسيظهر إن آجلًا أو عاجلًا.

سألت العمة "إيميليا":

- إذا لم يكن "جورج" هو "سانتياجو" فلماذا يختبئ؟

أخذ "أكينو" نفسًا عميقًا. ثم قال:

- حسنًا، لقد تحريت أيضًا عما إذا كان قد تم العثور على جثة خلال الأسابيع القليلة الماضية، تتناسب مع وصفه، لكن لا شيء حتى الآن.

وجهت له العمة "إيميليا" والدكتور "ماكس" المزيد من الأسئلة. وكان "أكينو" يجيب باقتضاب، وبرغبة في المغادرة، رفض دعوة العمة "إيميليا" لتناول القهوة. وبينما كان على وشك الانصراف، قال لـ"فيكتوريا":

- لا أعتقد أن هناك ما يهددك بشكل مباشر الآن، لذلك ليس هناك ما يستلزم استمرار الحراسة.

فهمت "فيكتوريا" قصده ولم تمانع. فحتى في منزلها تتجول والمطواة في جيبها، لأنها لا تثق بالشرطة. بعد ذلك، في غرفة نومها، اجتاحها شعور بالراحة، فبطريقة ما، خففت معرفة أن "جورج" ليس "سانتياجو" من ألمها. لكن سرعان ما رفضت تلك الفكرة، فليس هناك ما يبرر فعلته. اتجهت نحو النافذة، كان يوم ثلاثاء حارًّا. وحتى في المساء، لا يزال الشارع مكتظًا بمن يرتدي كنزات وسترات. رفعت نظرها حتى استطاعت رؤية محطة البنزين. لم تعد سيارة الشرطة على الناصية.

أجرت "فيكتوريا" بحثًا عن الصحافة الاستقصائية وأشهر الجرائم على الإنترنت. وقبلها كانت تتحرى عن اسم "جورج أبنارا" ووجدت سيرة ذاتية مقتضبة له. وحسب معلومات من جامعة "ميناس جرايس" الفيدرالية، حصل "جورج" على درجة علمية في دراسات الاتصال. كانت هناك روابط عن "جورج أبنارا" الأب، طبيب الأعصاب. كما عثرت "فيكتوريا" على رقم تليفون عيادته. ومن دون تفكير، اتصلت بالرقم. رن التليفون للحظات قبل أن تجيب امرأة. وقالت إن الدكتور "أبنارا" قد توفي منذ سنوات، وقد أصبح المكان الآن عيادة أسنان. وعندما أغلقت "فيكتوريا" الخط، شعرت برغبة مفاجئة في شرب مشروب قوي، لكنها قاومت الإغراء. كانت ساقها المبتورة تحترق. وكذلك عثرت على تفاصيل كتاب "بدم بارد" للكاتب "ترومان كابوتي"، وكتاب "خمسون عامًا من الجرائم"، عن أشهر القضايا في البرازيل. وبينما تواصل البحث، وجدت أحدث دراسة عن جرائم "الواصم".

ترددت قليلًا قبل فتح الرابط. كانت كاتبة المقال صحفية تعمل لدى مجلة شهيرة. وقد ذكرت بجانب استعراضها العام لتفاصيل الوفيات في الماضي مقتل "أتيلا" والد "سانتياجو".

ذات مرة، قال الدكتور "ماكس":

- لا يمكن تغيير قسوة الماضي.

وقد كان محقًّا. أثارت قراءة ذلك المقال شجونها. وسرعان ما أحست برعشة، وارتفاع في درجة حرارتها ودوار، فنادت العمة "إيميليا"، التي قادتها إلى الحمام. ولدت المياه المثلجة القشعريرة في جسدها. فانهارت باكية، عاجزة عن التوقف. لقد خرجت حياتها عن السيطرة. ولا تعرف كيف يمكنها المقاومة مجددًا. كانت منهكة. وفجأة أظلمت الدنيا.

عندما حاولت فتح عينيها، تبينت ظل الدكتور "ماكس" في ضوء النافذة المتسلل، مستلقيًا على الجانب الآخر من الفراش، يسند مرفقه إلى المرتبة. ظل صامتًا حتى استعادت "فيكتوريا" وعيها، ثم قال:

- لقد فقدت الوعي.

لم تقل شيئًا. ظلت ساكنة حتى أدركت سبب ضيقها. لم يقترب منها الدكتور "ماكس" جسديًّا هكذا من قبل. كان يرتدي ملابس عصرية، قميصًا أبيض مطويًّا داخل بنطال غامق، حافي القدمين. يبرز شعر صدره من خط عنقه. شعره رطب ومعطر، وكأنه قد خرج من الحمام للتو. للمرة الأولى، رأته كرجل، وخطر بذهنها صورته وهو يمارس العادة السرية على مقعد عيادته. قال:

- لن يفيدك البحث عن تلك القصة. يمكننا عقد جلسات يومية إذا أردت.

كان يحدق إليها بطريقة لم تعجبها، لكنها رفضت تصديق أن طبيبها منجذب جنسيًّا لها. هزت رأسها في محاولة للتخلص من تلك الأفكار البذيئة. ولا، لا ترغب في جلسات يومية. ثم أضاف:

- انسي أمر "صوفيا" وما فعلته بتلك الصبية. انسي أمر "جورج"، اتركي الأمر للمأمور. لا داعي لأن يكون أحدهم ماضيك يا "فيكتوريا".

بعد الظهر، جاء "بيلي" لزيارة قصيرة واصطحب العمة "إيميليا" إلى المتجر. بعدها بدقائق، دق الإنتركم، دهشت عند سماع صوت "أروز". فلم يزرها صديقها منذ بضعة أيام. فتحت الباب وانتظرت، متكئة على المقبض، بينما يصعد السلم.

قال وهو يفتح ذراعيه:

- لقد تحولتِ إلى مصاص دماء. منذ متى لم تري ضوء الشمس؟

أجابت "فيكتوريا"، بابتسامة مصطنعة:

- احترس حتى لا أعضك.

كان "أروز" يرتدي جينز، وقميصًا أزرق فاتح اللون، وحذاء بدون رباط. كما لو أنه قد غادر المكتب للتو. تقدم خطوتين ليلقي نظرة في الشقة، ثم سأل:

- هل عمتك هنا؟

- لقد خرجت، لكنها ستعود سريعًا، لماذا تسأل؟

ابتسم:

- لن تصدقي، لقد عثرت على "صوفيا".

فقدت "فيكتوريا" اتزانها للحظة. كان قلبها يخفق بشدة، يضغط على رئتيها ويقطع أنفاسها. قال "أروز":

- "صوفيا لاندرز". هذا هو لقب زوجها الأمريكي.

قادها من ذراعها نحو الأريكة. تصبب العرق من راحة يدها، وعنقها، وإبطيها، ومن بين ثدييها. لم تستطع منع نفسها من السؤال:

- كيف عثرت عليها؟

قال "أروز":

- لقد بحثت عن كل من تزوج أمريكيين من البرازيليات، ما بين عامي 1997- 1998، وفحصتهن واحدة واحدة. لهذا استغرق الأمر وقتًا. هل تريدين معرفة الأمر الأكثر أهمية؟

أومأت "فيكتوريا". قال:

- لقد عادت إلى البرازيل منذ ثلاث سنوات. إنها تعيش هنا في "ريو دي جانيرو".

27



في السادسة ونصف صباحًا، كان بإمكان "فيكتوريا" وهي بغرفتها سماع شخير العمة "إيميليا". ومن دون تفكير، أخذت بعض المال من محفظة عمتها، واتجهت نحو الباب. للمرة الأولى تغادر الشقة منذ أسابيع، والغريب أنها لم تكن خائفة، فضلًا عما كانت تشعر به من صعوبة بسيطة في التنفس بسبب الأدرينالين. استقلت سيارة أجرة إلى شارع "سانت كليمنت" حيث تقع مدرسة "القديس إناسيو". كان الآباء وأولادهم يتوافدون إلى المدرسة بالسيارات والدراجات، أو سيرًا على الأقدام. ورغم كرهها للازدحام، فإنها قد اتجهت نحو المدخل، حيث ينظم فردان بالزي الرسمي دخول الطلاب.

بالأمس، أراها "أروز" ملف "صوفيا لاندرز" الشخصي على وسائل التواصل الاجتماعي. كانت المرأة تبدو في أوائل الأربعينيات من عمرها، ابتسامتها باهتة، ينسدل شعرها البني الجاف على كتفيها متجاوزًا حدود الصورة، بخصلة واحدة بيضاء مثل شخصيات الكارتون الشريرة. لها أنف "ماورو" الصغير نفسه، وشفاه فمه الرفيعة. اقتصر ما دونته من بيانات على عام 1975 الذي ولدت به، والمدينة التي عاشت بها، "ريو دي جانيرو". كانت معظم مشاركتها عن الأدب، وأزمة المكتبات في البرازيل،

وتأثير دور النشر الصغيرة ومتوسطة الحجم، ومقالات ومراجعات نقدية منشورة في مجلات أدبية، وصور لأغلفة ثلاثة أو أربعة كتب ترجمتها من الإنجليزية. وكذلك صور لها في بعض الأماكن الجميلة أو وسط أصدقائها في مقاهٍ أو في بعض الفعاليات. وفي تلك التي تظهر فيها هيئتها كاملة، كان شعرها يصل إلى خصرها، "رابونزل". ورغم أن ذوقها الشخصي كان واضحًا، فإن ملفها لم يكن يحوي إلا القليل جدًّا عن حياتها. في إحدى صور السفر، على رصيف ميناء وبحر مضطرب في الخلفية، كانت تعانق رجلًا أصهب بعينين باهتتين. في الغالب زوجها الأمريكي. يبتسمان ويتبادلان نظرة متواطئة. هل كان زواجهما خدعة؟ أم أنها توقفت عن غواية الأطفال منذ زواجها؟ في ألبوم صور قديم يعود إلى عام 2014، هناك صور للزوجين وطفلين ببشرة سمراء، توأم صبي وفتاة في الثالثة أو الرابعة من عمريهما. تضمنت التعليقات أسفل الصورة "تهانينا"، "خلقتم لبعضكم بعضًا"، و"عائلة جميلة". وأخيرًا، في صورة تعود إلى عام 2016، كانت "صوفيا" تحتضن الطفلين في فناء مدرسة وحديقة في الخلفية. وبعد بحث، توصلت "فيكتوريا" إلى أن الشعار الذي يحمله الزي المدرسي خاص بمدرسة "القديس إناسيو".

مر الوقت واحتارت متسائلة: "ما الذي أفعله هنا؟"، وكأنها تبحث عن إبرة في كومة قش. هل لا يزال التوأم يدرسان هنا، هل سيحضران اليوم؟ كانت بالفعل قد بدأت تفقد الأمل، عندما توقفت سيارة فضية اللون أمام مدخل المدرسة. فتح الباب الخلفي وهبطت فتاة صغيرة لكنها تبدو أكبر قليلًا من تلك التي بالصورة، تضع حقيبتها على ظهرها، وتمسك بحافظة

طعام حمراء في يدها، ربما في السابعة من عمرها، تضع طوقًا بشعرها القصير، وترتدي جوربًا يصل إلى الركبة أبيض اللون. شقت "فيكتوريا" طريقها عبر كل الأطفال، واقتربت من السيارة، بينما يتهيأ الصبي للنزول ومرافقة أخته، كانت نافذة المقعد الجانبي مفتوحة، ومن مقعد السائق لوحت لهما امرأة قائلة:

- يوم سعيد في المدرسة.

ثم انتظرت دخولهما حتى اختفيا داخل المبنى.

عجزت "فيكتوريا" عن إصدار أي رد فعل، إنها "صوفيا" حقًّا. تلاقت أعينهما للحظة، قبل أن يغلق زجاج النافذة الكهربائي ثانية، وتبتعد السيارة. أشارت إلى سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يزيد من سرعته. وعند الوصول إلى متاجر "كوبال دو هومايتا"، وجدت السيارة. ولاحقتها في شارع "جارديم بوتنيكو"، حتى اتجهت يمينًا ودخلت أحد الجراجات. دفعت "فيكتوريا" الأجرة ونزلت. رأت "صوفيا" تعطي مفاتيح السيارة إلى العامل وتحدثه بلطف، ثم مرت على مقربة ربما أقل من متر بجانب "فيكتوريا"، التي تحفزت للاقتراب منها. كانت "صوفيا" تسير بحماس ولكن ليس بتعجل. دخلت مخبزًا في المبنى المقابل. طلبت شيئًا وجلست على إحدى الطاولات في الخلف. تفحصت "فيكتوريا" قائمة الأسعار وكأنها زبونة، حتى تهدئ من وتيرة توترها. كانت تقلصات قدمها المبتورة تؤلمها أكثر من أي وقت مضى. اتجهت النادلة نحو طاولة "صوفيا"، بشطيرة وكوب من العصير. أحست "فيكتوريا" أن لحظة المواجهة قد حانت. فجلست أمامها قبل أن تبدأ بالأكل.

سألت وهي تضع كوب العصير، بنبرة فضولية ليست فظة:

- معذرة، هل نعرف بعضنا؟

قالت "فيكتوريا" بتلعثم:

- أنا "فيكتوريا"، ابنة أخيكِ.

ابتعدت "صوفيا" بشكل عفوي، وانكمشت في مقعدها، وحدقت إلى وجه "فيكتوريا"، التي كانت تنظر إليها وكأنما تبحث عن تشابه في تركيبتها الجينية. إن "صوفيا" تشبه أخاها أكثر، فلها العينان الناعستان أنفسهما، وصدغ الوجه المجوف. كما ذكرها هدوء ردة فعلها بوالدها. فقالت "فيكتوريا" لتكسر صمتها:

- أريد التحدث معكِ.

- كيف عثرت عليَّ؟

- لم يكن الأمر سهلًا، لكن..

قاطعتها "صوفيا" قائلة:

- انسي الأمر، فلست مهتمة، اذهبي من فضلك.

لم تتحرك "فيكتوريا". جعدت "صوفيا" منديلها الورقي، ثم تركته على المنضدة ونهضت.

- انتظري.

نظر العاملون وبعض زبائن الطاولات المجاورة إليهما. فعادت "صوفيا" للجلوس.

- ماذا تريدين مني؟

احتارت "فيكتوريا"، ربما عليها أن تقول: "اعترفي بالحقيقة"، لكنها قالت:

- ربما يجب أن أتصل بالشرطة يا "رابونزل"!

أجابت "صوفيا" وهي ترمش بتوتر:

- ماذا؟ عمَّ تتحدثين؟

- أعرف أنك "رابونزل"، المرأة التي أحبها "سانتياجو".

عقدت "صوفيا" ذراعيها متحفزة. فواصلت "فيكتوريا":

- كنت تعملين بالمدرسة. وعندما اكتشف والدي، هربتِ إلى أمريكا. والآن تتخفين لأنك خائفة.

ثبتت "صوفيا" نظرتها عليها قائلة:

- دعيني وشأني.

ثم نهضت مرة ثانية، وعلقت حقيبتها في كتفها.

قالت "فيكتوريا" بينما تبتعد:

- ماذا عن التوأم، هل هما ولداكِ؟ أم أنهما مجرد حجة لتقتربي من ضحايا آخرين؟

رمقتها "صوفيا" بنظرة كراهية. وأشارت بسبابتها في وجه "فيكتوريا"، قائلة بحدة:

- ابتعدي عن عائلتي. وإلا سأستدعي أنا الشرطة!

ثم أسرعت بالخروج. حاولت "فيكتوريا" أن تهدأ وتتناسى من حولها. وبعد أن قبلت كوب الماء الذي قدمته لها النادلة، ندمت على تقديم نفسها إلى "صوفيا". فستأخذ الطفلين الآن وتختفي مرة أخرى. منعها توترها الشديد من العودة إلى المنزل. وعلى تليفونها، كانت هناك العديد من المكالمات من العمة "إيميليا" والدكتور "ماكس"، لكنها لم تكن ترغب في التحدث إليهما. فكرت في أن تستقل سيارة أجرة وتذهب إلى قسم الشرطة، لكنها ترددت. فنبرة صوت "صوفيا" الغاضبة والمنزعجة لا تشبه نبرة شخص مذنب. أم أنها لا تشعر ولو بقدر ضئيل من تأنيب الضمير؟

قررت "فيكتوريا" العودة إلى المدرسة عند خروج الطلبة في الثانية عشرة والنصف. كان هذا يعني أنه لا يزال أمامها ثلاث ساعات. غادرت المخبز لتتجنب نظرات الفضول، وذهبت للجلوس في مقهى. ولدهشتها، كانت تتضور جوعًا. لذلك طلبت قطعة كرواسون ثم أخرى بينما تنتظر. كيف ستتصرف "صوفيا" عندما تراها مرة أخرى عند بوابة المدرسة؟ هل ستسبب مشكلة، أم ستعترف أخيرًا بالحقيقة؟ ربما تتبادل هي وزوجها القيام بدورة التوصيل من وإلى المدرسة. وإذا حدث ووجدته بدلًا منها، فستجرب مدخلًا آخر.

نظرت إلى تليفونها. كانت الثانية عشرة وعشر دقائق. فدفعت الفاتورة وغادرت. سارت لمسافة بنايتين في الشمس الحارقة، تتصبب عرقًا بغزارة.

عند المدرسة، وجدت سورًا منخفضًا في الظل، شديد القرب من البوابة فجلست. والمفاجأة أنها وجدت العربة الفضية تصطف مع باقي السيارات المنتظرة لموعد خروج الطلبة. نهضت "فيكتوريا"، وانتظرت حتى تراها "صوفيا"، التي أوقفت السيارة ثم نزلت وصفعت الباب. وجذبت "فيكتوريا" من ذراعها بقوة، قائلة:

- ماذا تفعلين هنا؟

في هذه اللحظة، خرج طفلاها من البوابة، وأرغمت "صوفيا" نفسها على الابتسام، ثم قالت:

- انتظرا بالسيارة.

سألتها الفتاة الصغيرة:

- مَن هذه يا أمي؟

فكرت للحظة ثم قالت:

- صديقة جديدة لوالدتك.

ومن دون طرح المزيد من الأسئلة، اتجها إلى السيارة.

حاولت "صوفيا" أن تهدأ وقالت:

- لم يعد ذلك يهم بأي شكل من الأشكال. لماذا لا تواصلين حياتك، وتنسين كل هذا؟

- لأن "سانتياجو" يهددني، بسببك.

- يهددك؟

قالت "فيكتوريا" بصدق:

- يجب أن أفهم.

فكرت "صوفيا" ثم قادتها إلى السيارة، وفتحت باب المقعد الجانبي قائلة:

- ادخلي.

ترددت "فيكتوريا". هل تحاول "صوفيا" قتلها؟ أمام الطفلين؟ وكأنها قرأت أفكارها. فقالت:

- فلنتحدث، أليس هذا ما تريدينه؟

ظلت "فيكتوريا" صامتة طوال الطريق. كانت "صوفيا" تسأل طفليها عن يومهما بالمدرسة، كما لو أنه يوم عادي. فسردا تفاصيل ما حدث وكأنها مغامرة عظيمة: حصة اللغة البرتغالية، حصة التربية البدنية، حيث كادت الفتاة الصغيرة تؤذي نفسها، ثم حصة الرياضيات، المفضلة لديها. بدت "صوفيا" كأم مثالية، كانت تتحدث بوعي مع طفليها. لا تشبه حتى من بعيد تلك الصورة السادية التي استحوذت على فكر "فيكتوريا". عندما اقتربوا من شارع "فراني" في حي "بوتافوجو"، اتصلت "صوفيا" بالمنزل وعلى مكبر الصوت، طلبت من المربية أن تهبط لتأخذ الطفلين. وبعدها بدقائق، أصبحت "فيكتوريا" و"صوفيا" بمفردهما في السيارة. سألت "صوفيا":

- أين تسكنين؟

- لا داعي لأن تقليني إلى المنزل.

- أين تسكنين؟

فكرت بقدر من المرونة، وإلا لن تحرز أي تقدم. فأخبرتها بعنوانها، وبقلق، علمت أنهما هكذا قد أصبحتا متعادلتين. وفي أقل من ربع ساعة، مرت في صمت مطبق، وصلتا إلى "لابا". كان لانخفاض درجة المكيف ميزة خيالية. أوقفت "صوفيا" السيارة على بعد أمتار قليلة من بناية "فيكتوريا". قالت وهي تهز كتفها:

- كنت أخشى أن تتعقبيني دائمًا، فأنا أحيا بسعادة مع زوجي وطفليَّ لكن.. من حقك أن تسأليني.

اندهشت "فيكتوريا"، رغم أنها لم تكن تعرف ماذا تقصد.

قالت "صوفيا":

- كنت في الحادية عشرة عندما ذهبت للعيش مع أخي. كان هذا في عام 1986. في ذلك الوقت، كان يعيش هو و"ساندرا" معًا في "إيبا دو جوفيرنادور" فعشت معهما. طفلة صغيرة مرعوبة، وحزينة بسبب فقدان والدي بشكل مفاجئ.

كانت "صوفيا" تنظر أمامها وهي تتحدث، وتثبت نظرتها الغامضة، على نقطة بعيدة في زاوية الشارع. تململت في مقعد السيارة الجلدي، ثم أكملت:

- في إحدى ليالي ذلك العام، ذهبت "ساندرا" إلى الفراش معي. لتحميني من الوحوش وتطمئنني كما قالت.. ثم.. احتضنتني وبدأت في لمسي.. شعري، خلفية عنقي، فمي، ثم بطني.

تجمدت "فيكتوريا" عاجزة عن إصدار أي رد فعل.

أمسكت "صوفيا" بمقود السيارة ثم قالت:

- كل ليلة كانت تلمس جزءًا أبعد قليلًا. تضع يدها في سروالي وتلعق عنقي. وفي أثناء النهار، تعود العمة "ساندرا" وكأن شيئًا لم يحدث. وكأنني كنت أتخيل كل ذلك.

قالت "فيكتوريا":

- أنت كاذبة.

كان نطق "فيكتوريا" للجملة مثيرًا للشفقة.

- لقد استمر الأمر لشهور، وذات ليلة، جعلتني "ساندرا" أنزف بشدة، فقررت إخبار أخي. رغم أنني لم أكن أفهم معنى ما كان يحدث. لكنني ظننت أن بإمكاني الوثوق به. قال "ماورو" إن أمله قد خاب بي، وإن عليَّ ألا أخبر أحدًا بتلك الكذبة، وإنني مخطئة بشدة. وكل ما فعلته أنا هو أنني تقبلت هذا. كنت في الحادية عشرة. ماذا كان يمكن أن أفعل غير ذلك؟

مدت "صوفيا" يدها إلى لوحة القيادة وأخفضت درجة المكيف، فازدادت قتامة وثقل الأجواء. وشعرت "فيكتوريا" بأنها تختنق فعليًّا.

- ذات ليلة، عندما حدث ذلك ثانية. أتذكر أنني أشحت بوجهي بعيدًا، وحاولت التفكير في شيء آخر. ثم رأيت.. أخي يقف عند الباب، ويثبت نظرته عليَّ. حينها فقط، أدركت أنه أيضًا متواطئ، عن طريق مشاهدته لنا.

- لا أصدق كلمة واحدة مما ذكرت.

قالت "صوفيا":

- طلبت أن أخبرك بالحقيقة. لقد استمر ذلك الجنون لأعوام. كانت تنتابني الكوابيس باستمرار، وكنت أجد صعوبة في عقد صداقات مع الفتيات بالمدرسة، وفي الاقتراب من الناس. لكنني لم أربط بين هذا وما كان يحدث لي في المساء. كيف يمكن أن تخبري شخصًا بهذا؟ لقد حاولت إقناع نفسي بأن ما يحدث عادي، وأن العمة "ساندرا" حنون، رغم أنني كنت أتألم بعدها. رغم أن أخي كان قد بدأ يطالبها بفعل المزيد والمزيد معي.. أحسست بأنني المذنبة، وليس هما.

ارتجفت "فيكتوريا". شعرت بالخوف من "صوفيا"، رغم أن "صوفيا" كانت أصغر حجمًا منها.

قالت "صوفيا":

- عندما بلغت السادسة عشرة، توقفا. بدا وكأنني لم أعد ذات نفع.

كانت لا تزال تنظر إلى الأمام، ثم ضغطت شفتيها المرتعشتين معًا. وقالت:

- حاولت مواصلة حياتي. نسيان كل شيء. تعرفين كيف هو الحال.. لقد قللت من شأن خطورة الاعتداء. وأقنعت نفسي بأن معظم ذلك كان من

نسج خيالي، أو أنني ربما كنت أبالغ. ففي النهاية، كانت سمعتهما طيبة في الحي، فهما مالكا المدرسة.. كان "إيريك" طفلًا جميلًا. فلم أستطع إفساد كل شيء. فاختلقت آلاف الأعذار للتبرير، وظننت أن السيئ قد انتهى.

أخيرًا، أدارت رأسها وواجهت "فيكتوريا"، بعينين داميتين، وصوت مختنق:

– لكن ليس الأمر بهذه السهولة أبدًا. لم أستطع الحفاظ على أي علاقة، كنت أشعر بالغثيان عند التفكير في تقبيل شخص، أو معاشرته، أو أي نوع من الحميمية. لم يكن سبب ما فعلته مفهومًا بالنسبة إليَّ. شعرت بالذنب، بالخزي. وبأنني قد ارتكبت خطأً بطريقة ما. واصلت العيش معهما، بعد أن بلغت الثامنة عشرة، وقبلت وظيفة في "الأيكون". عشت فترة سعادة، كنت أحب العمل مع الأطفال، ورؤية "إيريك" يكبر، وأنت عندما ولدتِ، كنت ألطف شيء في الوجود، وظننت أن الأمور قد تغيرت.

بحثت "فيكتوريا" عن أي ملمح للانحراف في تعبيرات "صوفيا". أي علامة على أنها تستمتع بإعادة حكي كل ذلك. لكنها لم تجد غير الحسرة والاستسلام.

– فقط في عام 1996، حيث كنت أعمل بالمدرسة لمدة ثلاث سنوات، اكتشفت أنني لست ضحيتهما الوحيدة.

سالت دمعة "صوفيا" على وجنتها:

– ذهبت في رحلة إلى "بوثيون"، مع بعض الأصدقاء، لكننا عدنا إلى "ريو" قبل الموعد المحدد. وعندما وصلت إلى المنزل، سمعت أنينًا في الجزء الخلفي. وببطء اتجهت نحو الجراج..

كان تجعد وجهها يكشف مقدار توترها وشعورها بالرعب:

- على المنضدة، مارست "ساندرا" العلاقة الحميمية مع صبي صغير جدًّا، لم ينبت شعر جسده بعد. كان أحد طلاب المدرسة. لم أصدق ما رأيته. حاولت الالتفاف حول الجراج. فرأيت أخي.. جالسًا على مقعد، يشاهد كل ما يحدث من خلال فتحة في الجدار، ويمارس العادة السرية. وبجواره كاميرا على حامل ثلاثي.

شعرت "فيكتوريا" بالخواء، لم تستطع حتى البكاء. واصلت "صوفيا":

- لم أنم تلك الليلة. نهضت في الساعات الأولى المبكرة وذهبت إلى الجراج. فوجدت المنضدة في مكانها المعتاد، لكنني وجدت صندوقًا به نيجاتيف صور، لاعتدائهما على العديد من طلاب المدرسة. فتيات وصبيان. كأنهم لعبة جنسية وتسلية لكليهما. في إحدى الصور، كانت "ساندرا" تمارس مع ولدين. أحدهما هو من انتحر بعدها بسنوات في المدرسة. شاهدني "ماورو" وأنا أبحث في الصندوق. وتشاجرنا بعنف. هدد بقتلي. وطردني من المنزل في الحال.

جففت "صوفيا" دموع وجهها بيدها المرتعشة:

- قررت كسر الصمت. وذهبت لطلب المساعدة من الشخص الوحيد الذي يمكنني الوثوق به. "إيميليا".. تلك المرأة البائسة كانت عمتي. وبدلًا من أن تصدقني، قالت إنني كاذبة ناكرة للجميل. وفضلت الحفاظ على سمعة العائلة، بدلًا من مواجهة سر العائلة القذر. كانت تفضل تصديق أنني أختلق الأمر برمته. ولم يكن معي الصور لأثبت ذلك. لهذا هربت. هربت من نفسي.

أخيرًا استطاعت "فيكتوريا" التحرك. هزت رأسها. لكنَّ شيئًا بداخلها كان يتبدل. تبدو القصة مقنعة، بقدر رعبها، لم تكن "صوفيا" تكذب.

سألت "فيكتوريا" رغم أن الأمر لم يكن مهمًا:

- أين الصور؟ إذا لم تكن بحوزة الشرطة، التي فتشت المنزل بعد وقوع الجريمة، فالوحيدة التي بإمكانها الاحتفاظ بها هي "إيميليا".

تبادلتا النظرات في صمت. تحركت "فيكتوريا" في مقعدها لتريح قدمها الاصطناعية المتعبة. كانت تشعر بالرغبة في الهرب.

- في سنواتي الأولى بأمريكا، كان كل ذلك يعذبني. "ساندرا" و"ماورو" مجرمان متواطئان، قاسيان. هي معتدية مستغلة، وهو متلصص، يستخدمان الأطفال لإشباع رغباتهما الجنسية. فكرت في الإبلاغ عنهما. لكن لم يكن معي دليل. الآن أعرف أن اتهامًا كهذا كان ليدمر سمعتهما، حتى من دون تقديم ما يثبت ذلك. لو فعلت لوفرت حماية للطلبة، ولك وكذلك أخيك. لكنني كنت جبانة، وخائفة، وأشعر بالخجل. وأعاني. كنت أظن أن الشرطة لن تصدقني من دون الصور. فعمتي لم تصدقني. وكنت بالفعل قد عانيت الكثير. ثم قابلت زوجي، "فريد"، وتزوجنا.

ابتسمت "صوفيا"، لكن سرعان ما عاد التعبير الصارم. وحزنت عيناها:

- عندما شاهدت الأخبار عن الجريمة، كنت مشتتة. لم يكن أخوك يستحق الموت. لم يقترف أي ذنب. ولا أنت فعلت.

- لا أصدق.

كررت "فيكتوريا"، رغم أن صوتها يشي بالعكس:

- لم يكن والداي هكذا.

عاجزة عن تحمل المزيد، فتحت باب السيارة ونزلت. كانت قلقة من عدم تحمل قدمها المرتعشة لوزن جسدها، لكن وللغرابة، شعرت بالقدرة والقوة. تسبب هواء الشارع الساخن في تبخير نظارتها.

قالت "صوفيا" قبل أن تصفع "فيكتوريا" الباب:

- هناك أمر لم أخبرك به. في اليوم الذي عدتُ فيه من "بوثيوس"، ورأيتهما في الجراج، يعتديان على الصبي، رأيت أيضًا..

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت:

- رأيتك، كنت في الثانية من عمرك، تجلسين بعينين جاحظتين بجوار أخيكِ، تشاهدين كل ما يحدث.. بينما يلتقط هو الصور، لقد جعلك ذلك الوحش تشاهدين ما يفعلانه من أمر مريع بالجراج. أنت إحدى ضحاياهما أيضًا يا "فيكتوريا".



28



اقتحمت "فيكتوريا" الشقة، وتركت الباب مواربًا. كان جسدها يحترق، وكأنها داخل قدر يغلي. فوجدت العمة "إيميليا" جالسة على مقعد بجوار التليفون الأرضي فوق المنضدة الصغيرة. والدكتور "ماكس" واقفًا يكتب بسرعة شيئًا في تليفونه.

قالت العمة "إيميليا" بقلق:

- حبيبتي، كنا نبحث عنك! أين كنت؟ ماذا حدث؟

لم تجب "فيكتوريا"، فقد كانت تشعر بالألم والغدر. خارت قواها فسمحت للدكتور "ماكس" باحتضانها، فسار بها حتى الأريكة ليجلسها بعناية، لكنها رفضت الجلوس قائلة:

- لقد عثرت على "صوفيا". أمي هي "رابونزل"، أليس كذلك؟

طوت العمة "إيميليا" يديها على ركبتيها، ورفعت رأسها بهدوء ثم قالت:

- عمَّ تتحدثين؟

مسح الدكتور "ماكس" عرق جبهتها بمنديل قائلًا:

- حرارتك مرتفعة.

بإصرار، حاولت "فيكتوريا" أن تبدو هادئة، رغم استحالة ذلك. وهي تنظر إلى الدكتور "ماكس"، الذي كان يطوقها بذراعه، وعلى وجهه نظرة اهتمام:

- أريد أن تخبريني بالحقيقة.

قالت العمة "إيميليا":

- أخبرتك ألا تبحثي عن "صوفيا"!

- لقد اشترك والداي معًا.. في غواية الطلاب.

- ما هذا الهراء؟!

عادة، كانت تميز كذب العمة "إيميليا"، لكن ليس الآن بوجهها الثابت، الذي لا يعبر عن شيء. لقد وصلت "فيكتوريا" إلى طريق مسدود. إلا لو اعترفت عمتها، حينها ستختار من تصدق.

أصرت العمة "إيميليا" على قولها، وهي تنظر إلى الدكتور "ماكس" على أمل أن يقول شيئًا. لكنه ابتعد بحذر عن "فيكتوريا".

- إن "صوفيا" كاذبة شريرة.

قال وهو يتجه نحو الثلاجة:

- سأحضر بعض الماء.

عاودت النظر مجددًا إلى عمتها، وقالت متقطعة الأنفاس:

- أخبرتني "صوفيا" أنهما قد اعتادا التقاط الصور في الجراج. صور لها وهي تمارس العلاقة الحميمية مع الأطفال. كيف لم تعثر الشرطة على تلك الصور؟

- كان والدك رجلًا صالحًا، لقد أحب والدتك، وأحبك وأحب أخاك! كيف تشكين في هذا؟

من الصعب تصديق أن عمتها تكذب في أمر شديد الخطورة كهذا بذلك الوجه الخالي من التعابير. لكنها بحاجة إلى إثبات، دليل على أن كل ما قيل مجرد مجموعة من الأكاذيب اللعينة. في داخلها، كانت تتمنى أن تكون "صوفيا" كاذبة.

قالت العمة "إيميليا" بحزم:

- ليس هناك صور أبدًا.

- كفى كذبًا أيتها الملعونة.

تفاجأت "فيكتوريا" بذلك الصوت العميق، وأدارت رأسها لتبحث عن مصدره. للحظة، اعتقدت أنها تتخيل أشياء، لكن في المطبخ، كان الدكتور "ماكس" يقف بهيئة مختلفة، رافعًا قامته وذراعاه معلقتان بجانبه. يصدر من فمه، بوجهه المتوتر، صوتًا مزعجًا متواصلًا، يشبه صرير الأسنان.

سألت العمة "إيميليا" باندهاش:

- ماذا قلت؟

من دون أن يجيبها. اقترب ثلاث خطوات منها، ثم صفعها. عند سماعها للصوت المفاجئ، كانت "فيكتوريا" ترغب في أن تنشق الأرض وتبتلعها. وعندما همت بفتح فمها، لاحظت أن الدكتور "ماكس" يحمل سكينًا في اليد الأخرى.

صاح قبل أن تستطيع العمة "إيميليا" إصدار أي رد فعل:

- أخبريها!

ثم جذبها الدكتور "ماكس" من رأسها، ووضع السكين على رقبتها:

- أخبريها!

حاولت "فيكتوريا" النهوض من الأريكة، لكنها عجزت عن الوقوف على الأرض فهوت.

قال الدكتور "ماكس" بصوت أجش، بعد أن تبدلت رباطة جأشه، بغضب قاسٍ:

- لم تفعل "صوفيا" أي شيء.. لقد كانت "ساندرا". أنت تعرفين الحقيقة!

تقطعت أنفاس العمة "إيميليا"، وبالكاد كان صوتها مسموعًا قائلة:

- لا أعرف عما تتحدث.

ظلت ساكنة، وثبتت يدها على المقعد منتحبة، توتر الدكتور "ماكس". وكأنه تذكر فجأة أنها إنسانة. نظر نحو "فيكتوريا". ثم قال محدقًا إليها:

- لم أصدق عندما أحبتني "رابونزل". بابتسامتها الرائعة، بصوتها.. لم أستطع المقاومة. ذلك الحنان، اللذة..

ارتبكت "فيكتوريا"، هل اختلط عليه الأمر، أم هي من تشوش ذهنها؟ ثم انتابها ذعر مفاجئ. هل الدكتور "ماكس" هو "سانتياجو"؟ هي والعمة "إيميليا" بمفردهما في الشقة مع قاتل عائلتها. الرجل الذي يعرف كل شيء عن حياتها.

حاولت "فيكتوريا" التحدث، وهي تبحث في جيبها بيأس عن المطواة:

- لا تفعل أرجوك.

أمسك الدكتور "ماكس" مقبض السكين بقوة، كان يهدد بذبح العمة "إيميليا" مع أي حركة فجائية:

- ماذا فعلتِ بالصور؟ أخبريها، أيتها العجوز الشمطاء.

انفجرت "فيكتوريا" في الصراخ، رغمًا عنها. كان عقلها يرتجف، وكأن رأسها قد شج بآلة حادة. للحظة، كانت تتمنى أن يسمعها أحد ويتصل بالشرطة. حرك "ماكس" السكين بعيدًا، ثم دفع العمة "إيميليا" من فوق المقعد. حاولت أن تستند إلى العكاز لكنها تدحرجت على الأرض. فصرخت "فيكتوريا" طلبًا للنجدة.

قال الدكتور "ماكس":

- أغلقي فمك وإلا قتلتها، الآن!

على الفور، كتمت "فيكتوريا" صوتها، وحاولت أن تستند إلى الأريكة وتنهض مرة أخرى، رغم الوخز الشديد في ذراعيها وصدرها، وشعورها بالحكة في جسدها. لكنها سقطت، وارتطم رأسها بالأرض. شعرت بالدوار

وبالتشوش، وانتابتها نوبة هلع. حاولت بيأس أن تمد يدها لتصل إلى جيب بنطالها الداخلي، لكن خارت قواها. وبعد جهد كبير، نجحت في الإمساك بمقبض المطواة بين أصابعها.

كانت العمة "إيميليا" لا تزال على الأرض، متكئة على الحائط. ورغم ذلك، قالت بصوت هادئ، كما لو أنها ميتة بالفعل:

– في تلك الليلة، عندما وصلت إلى المنزل، عثرت على صندوق الصور في الحال.. مفتوحًا.. بجوار جثة "ماورو". كان هناك الكثير من الصور المخزية والمقززة.. مبعثرة على أرضية غرفة النوم بالكامل. وضعت كل شيء في سيارتي قبل وصول الشرطة.

صرخ الدكتور "ماكس":

– كنت تعرفين!

– كان أمرًا مخزيًا.. لقد حرقت كل شيء.. كل الصور.

مع تشتت الدكتور "ماكس" بينهما، تحركت "فيكتوريا"، وانقضت عليه وفي يدها المطواة. لكنه رفع ذراعيه بسرعة، وتفادى الضربة. رمى بالسكين في الهواء، فأصاب "فيكتوريا" في جانب بطنها، فسقطت على الأريكة من شدة الدوار، وانزلقت المطواة بعيدًا عنها. حاولت إيقاف تدفق الدم بوضع يدها على الجرح. اندفع الدكتور "ماكس" نحوها بغضب، كان ضخمًا ومخيفًا، يبدو انعكاس ظله في الضوء كعملاق يحمل فأسًا.. أشعث الشعر، بعد أن اختفى الرجل الذكي المحترم الذي كان يعالجها

طيلة تلك السنوات. بانهزام، تراجعت فتعثرت في السجادة، زحفت وخط دمها المتقطر من قميصها الممزق أثره على الأرض.

ثبتها الدكتور "ماكس" على الجدار، حاولت دفعه بعيدًا، لكنها لم تقوَ. أجفلت، مرتعبة، قالت متلعثمة وهي تضغط الجرح بيدها:

- ساعدني، أنا بحاجة إلى طبيب.

استندت العمة "إيميليا" إلى وسائد الأريكة بعكازها، في محاولة للوقوف، سارت ثلاث خطوات نحوه، ثم رفعت عكازها كالسيف. لكنه استبق الضربة وجذبها من ذراعيها. ثم لكمها بقوة شديدة، فتورم وجهها أسفل عينها اليسرى تمامًا بلون أحمر. ونزف فمها نتيجة قطع بشفتها العليا. وسال الدم من أنفها. وكأن وجهها قناع مطاطي مرعب.

قالت العمة "إيميليا" وهي ملقاة على الأرض، شبه فاقدة للوعي، وعينها المتورمة ترتعش:

- اقتلني، فأنا أستحق ذلك. لكن اذهب بها إلى المستشفى، بحق الرب!

خارت قوى "فيكتوريا". فرفعت ذقنها، وفتحت فمها في محاولة لاستنشاق الهواء، أحست بأنها تموت، ستنزف حتى الموت هنا أمام عمتها، والرجل الذي قتل كل عائلتها. ليس هناك سبيل للنجاة. سينهي ما بدأه منذ سنوات. لم تكن تعرف لماذا تركها تعيش كل تلك المدة. لماذا لم يقتلها تلك الليلة، مع والديها وأخيها؟ بالعكاز، ضرب الدكتور "ماكس" العمة "إيميليا" ضربة أخيرة أسكتتها. ثم اتجه نحو "فيكتوريا" مرة ثانية.

انحنى ليحرك إصبعه بحنان على جبهتها، قائلًا وهو يضع يده خلف عنقها، ويرفع رأسها بهدوء:

- أنت تذكرينني بها بشدة.. "رابونزل".. كنت أريد حمايتك لكن.. لم تسر الأمور على ما يرام.. كلتاكما.. وقعتما في الحب وأنا.. لم أستطع.. مشاعري نحوك..

أمام عجزه عن المقاومة، قرب الدكتور "ماكس" وجهها ثم قبلها، قبلة متوترة، بائسة. خنقتها للحظات. شعرت بالاشمئزاز فأشاحت بوجهها بعيدًا، حاولت أن تبصق. لكن لعابها سقط بجوار فمها. ثم أحست أن باب الشقة قد فتح، هل سمع أحد الجيران صراخها طلبًا للنجدة؟ نظرت إلى الدكتور "ماكس" الذي يحدق إليها، مخلفًا ظهره للباب، ويتحدث بشكل متواصل. لكنها لم تستطع سماع ما يقوله. فقد دخل شخص ما، وعندما عبر من خيط النور المتسلل من النافذة، تعرفت عليه.

انطلق "أروز" ناحية الطبيب، وقفز عليه وسحبه من رقبته. فقد الدكتور "ماكس" اتزانه وسقط جانبًا، لكنه كان يقبض على السكين بقوة، أمسك "أروز" برسغه ومنعه من توجيه الضربة، ثم لكمه في بطنه، تدحرجا معًا على الأرض، كان "أروز" أطول، لكنه أنحف أيضًا. خدش الدكتور "ماكس" ذراع "أروز" بالسكين. فضربه في وجهه. طار السكين في الغرفة، وهوى بجوار المنضدة الصغيرة. ورغم ما تشعر به من ألم، مدت "فيكتوريا" ذراعها لتمسك به. كان الدكتور "ماكس" يضرب رأس "أروز" الذي يعتليه في الأرض، لكن "أروز" استدار ودفع الدكتور "ماكس" بعيدًا. مررت "فيكتوريا" السكين نحو "أروز"، فطعن في الحال

في صدره بضربة واحدة. أوقفت الطعنة الدكتور "ماكس" عن العراك، خار جسده واندفع الدم من فمه قبل أن يسقط على الأرض، ميتًا، ساكن العينين. بسرعة، استطاع "أروز" تخليص نفسه، ثم ساعد "فيكتوريا" على النهوض. فتفقدت نبض عمتها، ووضعت رأسها على صدرها، وبرفق صفعتها على وجهها وهي تقول بقلق:

– استيقظي، استيقظي.

شعرت بالراحة عندما سعلت العمة "إيميليا". عاد "أروز" من المطبخ، بمناشف رطبة، لف إحداها حول خصرها في محاولة لإيقاف نزيف جرح "فيكتوريا". ثم طلب منها أن تساعده في لف الأخرى حول ذراعه.

قال "أروز" وكأنما يحدث نفسه:

– لقد مات. كل شيء على ما يرام.

ببطء، فتحت العمة عينيها، واستعادت الوعي. وبتعثر قالت:

– سامحيني.. لقد فعلت كل ذلك من أجل مصلحتك يا عزيزتي.

– لقد دمرتِ حياة "صوفيا". اختلقتِ قصة انحرافها. وبسببك كنت غافلة تمامًا عن الشخص الذي عذبني!

سبب غضبها ألمًا شديدًا ببطنها. سند "أروز" العمة "إيميليا" حتى الأريكة، ونظر إلى "فيكتوريا"، التي كانت تتلوى من الألم. كان لون قميصها الأبيض قد استحال إلى لون الدم الأحمر تمامًا.

– لا بد أن تذهبي إلى المستشفى في الحال.

وافقت. فقد فقدت الكثير من الدماء. كانت قلقة وخائفة، لكنها كانت تشعر بالراحة أيضًا.

حثته العمة "إيميليا":

- استدعِ الإسعاف.

قال "أروز" وهو ينهض:

- ليس أمامنا وقت كافٍ. سأقلها أنا.

وبحرص، ساعد "فيكتوريا" على النهوض قبل أن يحملها بين ذراعيه. كان وجهها على بعد سنتيمترات من وجهه. نظرت إليه. أرادت قول الكثير. أن تعتذر له، وتشكره. حملها عبر الباب، وبدأ في هبوط السلم. أغلقت "فيكتوريا" عينيها، فقد كانت تشعر بالأمان بين ذراعيه. تتقلب بين فقدان الوعي واستعادته. لكنها تشعر الآن بأن كل شيء سيصبح على ما يرام. بالتدريج، استعادت هدوءها، رغم الألم الشديد. وعندما وضعها بالسيارة وأغلق الباب، غابت عن الوعي.





"أقود السيارة منتبهًا إلى مؤشر السرعة، بينما أنتظر استعادة معدل نبضات قلبي من جديد. لقد فعلتها. في المرآة، أرى "فيكتوريا" مستلقية على المقعد الخلفي. يستكين رأسها على الباب، وقد أغرقها العرق والدم. تغفو وتنتبه، وتغفو وتنتبه، في حالات متباينة من الوعي. وتئن بخفوت. بعد عدة دقائق، سألت إن كنا قد اقتربنا من المستشفى. وأجبتها ليس بعد. متعبة لدرجة أنها لا تنظر من النافذة، ولا تدرك بعد أننا لن نذهب إلى المستشفى. لو لم أضع الكاميرات، ما استطعت الوصول في الوقت الصحيح. كاد "جابريل" يفسد كل شيء. لقد ساعدته على الهرب من تلك المستشفى، وأحضرت له الوثائق التي حولته إلى الدكتور "ماكس". وتخلصت من طبيبها السابق حتى يستطيع التقرب إلى "فيكتوريا"، ويسلمها لي. لكن "جابريل" خانني، ومنح "فيكتوريا" ثقة زائدة، جعلتها عاهرة مع الجميع. لكن لا بأس، لقد مات، وهي هنا معي. سأصلح كل شيء، تشير الساعة

إلى الرابعة مساء. سأواصل القيادة على طريق "لينا فيرميلا" السريع، حتى أصل إلى "إيها دو جوفيرنادور". وبعدها بدقائق، نكون بالمنزل، المنزل الذي شهد بداية كل شيء. أضغط الزر، فتنفتح البوابة ببطء، أنظر في المرآة الخلفية ثانية، وأراها تنظر إليَّ. لكن وجهها مختلف، تعلوه نظرة رعب رهيبة. ابتسمت لها، قائلًا إنه ليس هناك داعٍ للخوف. سيصبح كل شيء على ما يرام. لكنها أصيبت بنوبة صرع. لا بد أن أسرع، وأعبر البوابة بأقصى ما يمكنني. لقد خدشت الطلاء، لا يهم، خرجت من السيارة في ثوانٍ، وها أنا أفتح الباب الخلفي. أحاول جذب "فيكتوريا" من ذراعها. لكنها تقاوم وتحاول عضي كحيوان متوحش. صفعتها على وجهها. وفعلت ذلك ثانية بقوة أكبر. فطارت نظارتها، ثم أمسكتها وسحبتها، فتحت باب الجراج بقدمي. ووضعتها على المنضدة، وأنرت الأضواء. قلبي يقفز من السعادة. لقد وصلنا أخيرًا. لقد عدت مع محبوبتي "رابونزل". نحن الاثنان فقط. في مخبأنا.



29



كان الجراج مكدسًا وخانقًا، تفوح منه رائحة هواء البحر، والأثاث الصدئ. على مسافة بوسط مساحته المستطيلة، كانت "فيكتوريا" ترقد فوق منضدة خشبية بسيطة، مثبتة على الأرض بمسامير قديمة. وقد مُدت ساقاها ورُبطت كاحلاها، وفوق رأسها، قيدت ذراعاها بأحزمة جلدية، أفقدتها الإحساس بكتفيها. متسارعة الأنفاس، حدقت إلى السقف الأسود، بكتلته المتشابكة من الأنابيب وأضواء المصابيح التي تؤذي عينيها. نظرت جانبًا بحثًا عن "أروز". تقريبًا من دون نظارتها، كان من المستحيل رؤية أي شيء. لكن بحسب ما تسمع من أصوات، فلا بد أنه خلفها في مكان ما.

سألت "فيكتوريا" والعرق يلهب عينيها:

- ماذا تفعل؟ بحق الرب، أنا..

رأت ظلًّا ضخمًا على السقف، ثم ظهر "أروز" أمامها. وقال بهدوء:

- أنا هنا.

- "أروز"، استمع إليَّ..

أمسك ذقنها بقوة، واعتصرها قائلًا:

- لا تناديني بـ"أروز".

شعرت "فيكتوريا" بلهيب حارق بوجهها وظهرها. قالت بحذر:

- أرجوك، خذني إلى المستشفى.

داعب "أروز" وجهها الملتهب بشدة حيث ضربها. ثم غادر الجراج لدقائق، وعبر الباب الموارب، تسلل بصيص من الضوء، غمر أركان المكان، الذي كان غارقًا منذ قليل في الظلام. سرت القشعريرة بجسد "فيكتوريا" حينما أدركت أنه قد أعد لكل شيء مسبقًا. على الجدران، مئات الوسوم لكلمات عشوائية. لم تستطع قراءتها من تلك المسافة. وعلى الأرض في أحد الأركان ما يشبه كومة من الأوراق. حاولت غلق عينيها قليلًا حتى تركز، فتبينت جسد إنسان بين أسمال بالية، تتكئ رأسه على الحائط. صرخت مذعورة:

- "جورج"؟

عاد "أروز" للظهور من جديد عند الباب، ثم قال:

- لا فائدة من الصراخ، إنه مخدر.

- ماذا فعلت به؟

من دون أن يجيب، اتجه "أروز" نحوها، ومعه ست زجاجات من البيرة. وقد رفع شعره لأعلى. أشعل سيجارة ماريجوانا ونفث الدخان. ثم وضع السيجارة بين شفتيها. فبصقتها "فيكتوريا" بغضب.

قال بهدوء:

- لنمرح قليلًا، هل تريدين اللعب؟

أعاد إشعال السيجارة قائلًا:

- هذا ما اعتادت قوله لتدعوني إلى هنا. لقد كانت رائعة.

ابتسم "أروز". فتح علبتيَّ بيرة وشرب إحداهما. ثم ضغط بالأخرى على فم "فيكتوريا"، ورفعها حتى تنهمر البيرة في حلقها. كانت تبتلعها بسرعة وكأنها تغرق، تختنق، وتسعل كثيرًا. حتى أصابها مذاق الكحول بالرغبة في التقيؤ.

- لماذا تفعل هذا؟

قال متألمًا:

- كنت سعيدًا جدًّا مع محبوبتي "رابونزل". لقد أقسمت أن تظل معي للأبد. وعدتني بأن تهرب معي لكن.. عندما بلغت السابعة عشرة، هجرتني، قالت إن كل شيء قد انتهى.. لم يعد لي فائدة..

ثم أجبرها "أروز" على سحب نفس من السيجارة، وفتح علبة بيرة مجددًا. وقال لها مرة أخرى وهو يتحدث بالنبرة نفسها المعتادة بينهما دائمًا، مما أثار قلقها أكثر، بصوت حنون وشجي في الوقت نفسه:

- حاولت بجد أن أفوز بك. عندما رأيت أنك تشبهينها كثيرًا. أنقذت حياتك. لكنك لم تعجبي بي إطلاقًا. لم تثقي بي قَطُّ. فضلتِ بيع نفسك لذلك الكاتب الملعون. كان مريعًا أن أضطر إلى مشاهدة تبادل الحب

بينكما في شقتك، ولا أفعل شيئًا حيال ذلك. لقد وثقت به. أخبرته بأشياء لم تخبريني بها قَطُّ.

نظرت "فيكتوريا" إلى "جورج" ثانية. وفكرت لو أفاق لربما تنجو، لكنه لم يكن يبدي أي حركة. ظهرت نقاط سوداء أمام عينيها، وبدأ رأسها يرتج مرة أخرى. مما يعني أنها ستفقد الوعي مجددًا. كان "أروز" يقف أمامها، وبصرامة قال:

- أنا من كان يجب أن تقعي في حبه.

ثم انحنى ولعق عنقها. شعر بالإثارة، فواصل حتى أذنها ثم هبط بسرعة ثانية. ودفن أنفه بين ثدييها، وأخذ نفسًا عميقًا.

- لا.. أرجوك لا تفعل.

صرخت "فيكتوريا"، عندما رفع قميصها وقبل صدرها. وبقدر كرهها له، استجمعت قوتها وقاومت، تحركت بعنف رغم ربط معصميها، أطبقت يديها وصاحت، قلصت جسدها بالكامل، لكن من دون جدوى. دار "أروز" حول المنضدة. ووقف بالقرب من قدميها. وفك الأربطة حول كاحليها. نزع سروالها وثنى ساقيها إلى أعلى بعنف. بعدها بثوانٍ، ترك ساقيها واقترب منها أكثر. ورفع السكين إلى عينيها. قائلًا:

- باعدي بين ساقيكِ جيدًا، وإلا سأستخدم هذا.

شعرت بالاختناق، بالعجز، بالعزلة. كانت بحاجة إلى إيجاد طريقة لجذب انتباه الجيران. لكن الجراج في مكان منعزل من المنزل. كان هذا أسوأ من الموت. مستسلمة لمصيرها، نفذت ما طلبه، ووجدته يقترب منها

أكثر فأكثر. صرت أسنانها من الألم. كان الجزء السفلي من جسده ثقيلًا مثل كيس الرمل. لم يكن هناك ما يمكنها فعله. بينما يستعد، تمكنت من فك يدها اليسرى من الرباط بهزة واحدة مفاجئة، ثم أخفضت ذراعها. شعرت بحرقة تسري في كتفها، كالتيار الكهربائي. وبدلًا من أن تصل يدها نحو الرباط الآخر لتحرر يدها اليمنى، مدتها إلى "أروز" تدعوه. وقالت بصوت مبحوح ومُغرٍ:

- انتظر، أعطني يدك.. يا أميري.

حاولت بكل قوتها أن تبتسم. تطلعت بعينيه، وفرغت فاها في محاولة لإغوائه. لم يتحرك "أروز"، نظر إليها من بعيد. كما لو كان يخشى الاقتراب. فقالت:

- أنا بحاجة إلى مشروب آخر.

ثم أغلقت عينيها وأمالت رأسها في محاولة لإسقاط شعرها على وجهها، كما فعلت "ساندرا" ثم قالت:

- إنها أنا.. حبيبتك "رابونزل". أنا هنا من أجلك.

تبدلت ملامحه. في لحظة، ظهر الطفل الصغير بعينيه الغائرتين. ابتعد عن "فيكتوريا"، ووضع السكين جانبًا وهو يرتعد. فتفاءلت. أمرته قائلة:

- قبلني..

اتجه نحوها بتردد، كطفل خائف أعزل، فاغرًا نصف فمه، تلمع عيناه. عندما لمست "فيكتوريا" يده، انتفض. كان جسده باردًا. داعبت أصابعه، وواصلت حتى ذراعه، عنقه، ثم ذقنه. وبلطف، جذبته نحوها، من مؤخرة رقبته. وهي تثبت نظرتها عليه. وكررت:

- قبلني يا أميري، فأنا أريدك.

انحنى عليها. وبينما كان على وشك تقبيلها، تغيرت ملامحه واكتست بمزيج من الاحتقار والسعادة. وعلى بعد سنتيمترات من وجهها، ابتسم قائلًا:

- هل تظنين حقًّا أن بإمكانك خداعي؟ ستتركيني مثلها تمامًا.

لجزء من الثانية، شعرت "فيكتوريا" بالفتور التام. إذن، لم تنجح خطة إغواء القاتل. اجتاحتها رغبة مجنونة في الضحك. كانت متعبة جدًّا. بحاجة إلى بعض الراحة فقط. لا يهم أي شيء آخر، ولا حتى الموت. على الأقل فسينهي كل هذا. جفلت عيناه. كانا شديدي القرب حتى إنه كان باستطاعتها أن تشم رائحة أنفاسه.

قال ممسكًا بالسكين من جديد:

- عندما علمت أنك تتسكعين مع "جورج"، حاولت إبعاد ذلك اللعين. لكنك لم تعطيني أدنى فرصة. لقد خاب أملي بك، ولو ليلة واحدة. ليلة واحدة فقط كالأيام الخوالي. بعد ذلك لن أحتاج إليك مرة ثانية.

برؤيتها المشوشة، بدا الأمر كالحلم. ازدادت النقاط السوداء أمام عين "فيكتوريا"، سينتهي كل شيء عند هذا الحد. سيغتصبها ثم يقتلها مباشرة. وعندما تبلغ العمة "إيميليا" الشرطة عن اختفائها، سيكون قد فات الأوان بالفعل. خلع "أروز" بنطاله وسرواله. وباعد بين ساقيها، ببطء بينما يستعد لمعاشرتها، خفضت "فيكتوريا" ذراعها الحرة، ومالت إلى اليسار قليلًا. وفكت فخذها من الساق الاصطناعية، بالكاد كان الصوت المعدني ملحوظًا. وقد عملت على تغطيته بصيحة ألم. وبأطراف أصابعها،

لمست الجزء العلوي من الطرف الاصطناعي، وتمددت لأسفل أبعد قليلًا. حتى نجحت في الإمساك به بيدها اليسرى، اقترب "أروز" منها، مكررًا بهمس: "هل تريدين اللعب؟ هل تريدين اللعب؟ هل تريدين اللعب؟".

استعد لها. وقبل أن يقترب أكثر، لفت "فيكتوريا" جسدها على المنضدة، واستجمعت كل قوتها، وضربته على رأسه بالطرف المعدني، فأصاب كعب الساق الاصطناعية جبهته، واخترقها محدثًا جرحًا بجلده. ترنح "أروز" وسقط على ظهره. لم تهدر الوقت، فكت "فيكتوريا" الرباط الذي كان يقيد اليد الأخرى ثم نهضت. وهي تشعر بألم شديد يبدأ من أسفل ظهرها، وينتهي بعنقها. ثم ألقت بنفسها على الأرض ويدها ممدودة، لتقلل إصابتها بسبب السقوط قدر الإمكان، ورغم الألم غير المحتمل، لم تتوقف. زحفت نحو الساق الاصطناعية التي سقطت في الجانب الآخر من الجراج. اتكأت على الحائط، ونجحت في النهوض. استعاد "أروز" وعيه. حاول الوصول إلى السكين، لكن "فيكتوريا" ضربته بالساق الاصطناعية على ظهره. وعندما حاول حماية نفسه، تلقى ضربة أخرى في وجنته أحدثت جرحًا عميقًا. وعندما أدركت أنها لن تستطيع الحفاظ على توازنها. ألقت بنفسها فوق "أروز". وأمسكت الساق الاصطناعية بكلتا يديها، ورفعت ذراعيها، ثم هوت بها على رأسه فحطمته مثل المدقة والهاون. شعرت باحتراق كتفيها، لكنها لم تتوقف عن ضربه إلا عندما بدأت الساق المعدنية في التفكك. سكن "أروز". وعندما نظرت إلى أسفل. كان كل ما استطاعت رؤيته كتلة داكنة غير واضحة المعالم من اللحم والدماء والشعر.

30



بصعوبة، كان بإمكان "فيكتوريا" تصديق أنها قد نجت. عندما أفاقت بالمستشفى، كانت العمة "إيميليا" بجوارها، ترعاها لكن بصمت. لقد احتلت الأحداث الأخيرة صفحات الجرائد الرئيسية الأولى، وكأن ما حدث خيال. كانت بحاجة إلى بعض الوقت لتستوعب كل ذلك. لا تعرف كيف واتتها القوة لتجر نفسها إلى داخل المنزل، وتتصل بالنجدة، قبل أن تفقد وعيها. ثم عثرت عليها الشرطة ملقاة على الأرض بغرفة المعيشة.

كما تم العثور على "سانتياجو" ميتًا في الجراج، و"جورج" مقيدًا بأحد الأنابيب، في حالة مزرية. وقد تم نقلهما سريعًا إلى المستشفى.

في وقت مبكر من المساء، دخل المأمور "أكينو" الغرفة ليخبرها أن "جورج" قد تعافى، وأنه ينتظر بالخارج، ويرغب في التحدث إليها. عبر النافذة، نظرت "فيكتوريا" إلى السماء. كان يومًا جميلًا صافيًا. حيث غمر ضوء الشمس "ريو دي جانيرو"، وانعكس من الأبراج الزجاجية بوسط المدينة. قالت:

- دعه يدخل.

دقيقة وظهر "جورج" بالباب، على عكازين، بملابس المستشفى البيضاء، ووجه شاحب، وانتفاخات عميقة أسفل عينيه، وجرح على وجنته. ورغم كل ذلك، ابتسم عندما رآها. سار بضع خطوات ثم توقف بجوار الفراش، مستندًا إلى العكازين. نظر إلى الضمادة على عنقها. قائلًا:

-"فيك".. كيف حالك؟

أجابت:

- على قيد الحياة.

كان هذا حقيقيًّا. لقد اكتسبت قوة شخص قضى فترة طويلة أسفل الماء، ثم صعد إلى السطح أخيرًا. ألقى "جورج" نظرة على كل الأجهزة المتصلة بها، ثم أخفض رأسه قائلًا:

- لقد أفسدت الأمر بشدة. تقربت إليك لسبب خاطئ.. لكنني لم أتخيل مطلقًا.. أن أغرم بك. وعندما حدث ذلك، توقفت عن الكتابة في الحال. لأنك لا تستحقين ذلك النوع من التشهير. حاولت إخبارك بالحقيقة. مصارحتك.. لكن كان أمرًا شديد الصعوبة، ربما اعتقدتِ أنني "سانتياجو".. وأنني من طلى الحائط.. كنت أخشى أن أفقدك. هل تفهمين؟

لم ترد، فواصل حديثه:

- في تلك الليلة، حاولت اللحاق بكِ، لأشرح لكِ وأعتذر. لكن ظهر "أروز" فجأة، واختطفني يا "فيك". احتجزني كرهينة كل ذلك الوقت،

وعذبني، وجه إليَّ ملايين الأسئلة، عما فعلته لأفوز بحبك.. وكيف استحوذت عليك.

هز رأسه وكأنه يحاول إعادة ترتيب أفكاره:

- لكن الآن.. لدينا الفرصة لننسى كل ما حدث.

انحنى، وأمسك بيدها بين يديه، قال وهو ينظر في عينيها:

- أنا أحبكِ يا "فيك". أحبكِ كثيرًا. هل يمكن أن نبدأ من جديد؟

مال "جورج" ليقبلها، لكنها أبعدت وجهها قليلًا. وقالت:

- بعد كل ما حدث.. لا أعرف.

بدت نظرة خيبة الأمل في عينيه. تبادلا النظرات في صمت. وفجأة، أضاء وجه "فيكتوريا"، وقالت:

- لكن ربما يمكنك مساعدتي. فأنا أريد أن أكتب قصتي بنفسي.



صدر من سلسلة كتب مختلفة:

	العنوان	المؤلف	البلد
.1	المدينة الخفية	أوندياكي	أنجولا
.2	اسمى نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
.3	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.4	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.5	جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.6	شرخ في الحائط	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.7	نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
.8	مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
.9	سأنتقم لموتك	كارما ريرا	أسبانيا
.10	الدبلوماسى	إليت أليشكا	ألبانيا
.11	قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتسة	ألمانيا
.12	لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
.13	سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
.14	يومًا ما سنقول لبعضنا كل شيء	دانييلا كراين	ألمانيا
.15	الحب في خمسة فصول	دانييلا كراين	ألمانيا
.16	طريق الوحدة	بينيدكت ويلز	ألمانيا
.17	حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
.18	أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
.19	مصنع الأحذية	چيفري لويس	أمريكا
.20	عندما كنتُ أنتِ	مينكا كينت	أمريكا
.21	جريمة في المنزل المفتوح	كاتى سايس	أمريكا
.22	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
.23	اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
.24	حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	إنجلترا
.25	ثم ابتلعه الحوت	أمير أحمدي أريان	إيران
.26	لا صديق سوى الجبال	بهروز بوتشاني	إيران/ كردستان
.27	خالدو طهران	على ريزا طاهرى أراغى	إيران
.28	الموت والبطريق	أندرى كوركوف	أوكرانيا
.29	تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
.30	بقايا يوم صيفي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
.31	بيت من زجاج	ويندي إرسكين	أيرلندا
.32	عملية البنك الأيرلندي	ريتشارد أوراو	أيرلندا
.33	مشعلو الحرائق	جان كارسون	أيرلندا
.34	قصص من أيرلندا	مجموعة مؤلفين	أيرلندا
.35	الوردة البيضاء.. الغابة السوداء	إوين دمبسى	أيرلندا
.36	جريمة الساحر	أرنى ثورارينسون	أيسلندا

37. شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
38. عاصفة الشمال	إينار كاراسون	أيسلندا
39. الفخ	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
40. المصيدة	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
41. القفص	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
42. امرأة على حافة العالم	ستينون سيجورذاردوتير	أيسلندا
43. رسائل إلى هيلجا	بريجيسفين بيريسون	أيسلندا
44. الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
45. أسود صقلية	ستيفانيا أوشى	إيطاليا
46. حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
47. من هو لو؟	أوتافيو كابيلاني	إيطاليا
48. أحلام سعيدة يا صغيري	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
49. العزلة	كلاوديو مورانديني	إيطاليا
50. يومًا ما	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
51. سيارة اسمها نصر	إيلمار تاسكا	إستونيا
52. الرجل الذي تحدث الثعبانية	أندروس كيريفاك	إستونيا
53. أرق من الجلد	أوزما إسلام خان	باكستان
54. مرثيات وطن	أياد أختار	باكستان
55. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
56. امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
57. بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
58. كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
59. الروليت الروسي	رافاييل مونتيز	البرازيل
60. عائدة إلى الشمس	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
61. امرأة في الظلام	رافاييل مونتيز	البرازيل
62. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
63. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
64. الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
65. ماذا فعلت غدًا؟	برونو فيرا أمارال	البرتغال
66. بين يديك	إينيس بيدروسا	البرتغال
67. أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
68. فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
69. التعساء	ديميترى فيرهولست	بلجيكا
70. صانع الملائكة	شتيفان بريجس	بلجيكا
71. مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
72. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
73. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
74. أحلام محطمة	بيولنت سينوكاك	تركيا

75. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
76. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
77. توباز	هاكان جنيد	تركيا
78. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
79. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
80. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
81. الطلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
82. تانجو إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
83. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
84. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
85. الشيطان امرأة	هاندى ألتايلى	تركيا
86. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
87. لون الغواية	هاندى ألتايلى	تركيا
88. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
89. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
90. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
91. جريمة أبي	هاكان جنيد	تركيا
92. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
93. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصلي إردوغان	تركيا
94. الدرويش	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
95. حكايات العمة روزا	سيفجي سويسال	تركيا
96. الوكالة السرية	ألبير جانيجوز	تركيا
97. نجم المساء	إسكندر بالا	تركيا
98. ذات ظهيرة في يني شهير	سيفجي سويسال	تركيا
99. نيران الجحيم	ألبير چانيجوز	تركيا
100. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
101. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
102. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
103. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
104. الجريمة المنسية	فيكتوريا هانيشوفا	التشيك
105. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
106. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
107. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
108. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
109. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
110. الحب في زمن الاحتباس الحراري	جوزيف بانيك	التشيك
111. القضية لم تنتهِ بعد	ميخال سيكورا	التشيك
112. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود

113. العقل المدبر	ديفيد أوجنر	جواتيمالا
114. آزوري	ك. سيلو دويكر	جنوب أفريقيا
115. المنتحر	أولجا سلافينكوفا	روسيا
116. في انتظار الطوفان	رومان سنشين	روسيا
117. عودة السوفيتي	زبيلسكي باسترناك وفيريماي بيا	روسيا
118. رسائل سبتمبر	برايونى رحيم	زيمبابوى
119. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
120. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
121. يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
122. شجرة التين	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
123. الحياة هنا	ميرال قريشى	سويسرا
124. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
125. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
126. كاتبة وكاتب	فيولا رونر	سويسرا
127. المتلعثم	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
128. لصوص المقابر	فرانسين ماري ديفيد	سويسرا
129. كالمان	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
130. جريمة عيد الميلاد	أندريه روزلاند	السويد
131. جريمة الذئب الوحيد	هينينج مانكل	السويد
132. جريمة تفجير الأولمبياد	ليزا ماركلوند	السويد
133. عُرف مدى الحياة	إيميلى شيب	السويد
134. بكين.. بكين	شيو تسى تشين	الصين
135. بنات الصين	يى مِاى	الصين
136. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
137. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
138. سبع ليال في حدائق الورد	يى مِاى	الصين
139. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
140. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
141. أيام.. شهور.. سنوات	يان ليان كه	الصين
142. المبنى 21	تشو داشين	الصين
143. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	صربيا
144. حمام البلقان	فلاديسلاف باياس	صربيا
145. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
146. جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
147. أخي الكبير	ماهر جوفن	فرنسا
148. ندبات	دالي ميشا توريه	فرنسا
149. فرقة غريبة الأطوار	صوفي إيناف	فرنسا
150. المجاعة البيضاء	آكى أوليكانين	فنلندا

151. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
152. حديقة الكلاب	صوفي أوكسانين	فنلندا
153. جريمتي الأولى	لينا ليهتولاينين	فنلندا
154. من عدوها؟	لينا ليهتولاينين	فنلندا
155. اعترافات مؤجلة	ماجيلا بودوين	فنزويلا
156. الكاتدرائية السوداء	مارسيال جالا	كوبا
157. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
158. أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
159. العودة إلى الوادي المظلم	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
160. فتاة كازابلانكا	إن كولي جان بوفان	الكونغو
161. حارس الشانزليزيه	جُوز	كوت ديفوار
162. فنانو الذاكرة	چيفري مور	كندا
163. حتى تذوب الثلوج	كريستيان قواي بوليكوين	كندا
164. جريمة الابن الصالح	جونج يو جونج	كوريا
165. العملية "سمكة الفيل"	أوتو أوزولس	لاتفيا
166. الثامن عشر من نوفمبر	باولز بانكوفيكيس	لاتفيا
167. رسائل من امرأة مجهولة	زيجموندز سكوينش	لاتفيا
168. أمى عميلة سرية	أوندراش فورجاتش	المجر
169. صانع الزجاج	إرميس لافازانوفسكى	مقدونيا
170. القنَّاص	بلايز مينيفيسكى	مقدونيا
171. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
172. القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
173. د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
174. الجريمة المكسيكية	إكتور آجيلار كامين	المكسيك
175. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
176. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
177. جريمة العروس الهندي	كارين فوسوم	النرويج
178. جريمة على حافة البحيرة	كارين فوسوم	النرويج
179. سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
180. حرية حزينة	فريدريكه جيزفاينر	النمسا
181. ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا
182. منزل وسياراتان وطفل	تانيا رايخ	النمسا
183. حزن غير محتمل	بيتر هاندكه	النمسا
184. ثقل العالم	بيتر هاندكه	النمسا
185. في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت	بيتر هاندكه	النمسا
186. عودة مطولة إلى الوطن	بيتر هاندكه	النمسا
187. أعيش مع شبح	لورا فرويدنتالر	النمسا
188. أختى قاتلة متسلسلة	أوينكان بريثويت	نيجيريا

189. فتاة نيبال الثرية	شيوانى نيبانى	نيبال
190. دكّان الساري	عبدالله خان	الهند
191. أحزان هندية	روبا باجوا	الهند
192. جوى سبيدبوت	تومى فيرينيجا	هولندا
193. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
194. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
195. عمدة أمستردام	هيرمان كوخ	هولندا
196. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
197. أجمل فتاة في چنوة	إيليا ليونارد فايفر	هولندا
198. قلق الأمسيات	ماريكا لوكاس رينفيلد	هولندا
199. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
200. توماييني	كلارا موماني	كينيا
201. بذلة فضاء برتقالية اللون	لويد ماركهام	ويلز
202. المدينة الخاوية	جاري رايموند	ويلز
203. كتاب نيبو الأزرق	مانون ستيفان روس	ويلز
204. لماذا قتلت أعز صديقاتي؟	أماندا ميكالوبولو	اليونان
205. جزيرة الفئران	كريستوس إيكونومو	اليونان
206. شيء ما سيحدث	كريستوس إيكونومو	اليونان

صدر من كتب عامَّة:

207. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
208. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
209. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
210. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
211. الشاي: ثقافات.. طقوس.. حكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
212. لماذا تنتفض الشعوب؟	جيرو فون راندوف	ألمانيا
213. الرمان: تاريخ وحكايات من حول العالم	بيرند برونر	ألمانيا
214. القمر	بيرند برونر	ألمانيا
215. السادات.. شميت: حوار الأزمات	كارل جوزيف كوشيل	ألمانيا
216. مستقبل النسوية	مجموعة مؤلفين	إنجلترا
217. إسكتشات مصرية	جيريمايا لينش	إنجلترا
218. شذرات من التاريخ المصري	آرثر بروم	إنجلترا
219. تشرنوبل: 01:23:40 الحقيقة كما حدثت	أندرو ليذربارو	إنجلترا
220. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
221. الهندى الأحمر الأيسلندى	جون جنار	أيسلندا
222. القرصان الأيسلندى	جون جنار	أيسلندا

223. البيئة: لغز المستقبل	أندري سنار ماجنسون	أيسلندا
224. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
225. زيارة لمكتبات العالم: أشهر مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
226. ضد أمازون	خورخي كاريون	إسبانيا
227. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
228. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
229. خيالات الشرق	إيسا دى كيروش	البرتغال
230. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	ديفيد فان ريبروك	بلجيكا
231. علم كرة القدم	مجموعة محررين	البرازيل
232. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
233. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
234. كيفية حساب بصمتك الكربونية	دويين باهتشجى	تركيا
235. النشوة المادية	جى. إم. لو كلوزيو	فرنسا
236. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
237. الأسماك.. ما لا نعرفه عن عالم البحار	بيل فرانسوا	فرنسا
238. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
239. ماركيز: لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه	كونرادو زولواجو	كولومبيا
240. متسلقو الجبال	لويس كونساليز سارمينتو	كولومبيا
241. الخبز	بردراج ماتفيجيتفيتش	كرواتيا
242. دليلك إلى لعبة الحبار	بارك مين جون	كوريا
243. الجري	ثور جوتاس	النرويج
244. سوفيتستان	إيريكا فاتلاند	النرويج
245. الحدود	إيريكا فاتلاند	النرويج
246. النيل	تاريى تفيت	النرويج
247. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
248. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا
249. النسوية للرجال	ينس فان تريخت	هولندا
250. ذلك المريض: عن مرضى غيروا حياة أطبائهم إلى الأبد	إلين دي فيسر	هولندا
251. الدهون: العضو السرى	مارييت بون وليزبيت فان روسوم	هولندا